دعوة الحق

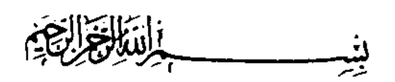
السنة الثامنة ـ العدد ٩٥ ـ العام ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م



بقلم
أحمد محمد جمال
أستاذ التفسير بجامعة أم القرى

تصدرها رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة





- روي عن النبي ﷺ انه قال :
«أوصيكم بالشباب خيرا ، فانهم أرق أفئدة – لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة ، فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ» ثم تلا قوله تعالى : ﴿فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾* .

- وروي أن أبا سعيد الخدري – الصحابي الجليل كان اذا رأى الشباب مقبلا قال : مرحبا بوصية رسول الله ﷺ . . امرنا ان نحفظ لكم الحديث – وان نوسع لكم في المجالس .

* الحديد آية ١٦ .



المقدمـــة

في سنة ١٣٩٥هـ أصدرت كتيباً بعنوان (من أجل الشباب) وتجدد طبعه سنة ١٣٩٧هـ ثم سنة ١٤٠٨هـ - وكانت الناشرة له دار الرفاعي لصديق العمر ، ورفيق الدراسة الاستاذ عبد العزيز الرفاعي .

وفي سنة ١٣٩٩هـ أصدرت الدار نفسها لي كتيِّباً آخر بعنوان (الشباب : دراسات ولقاءات) .

وهذا هو الكتاب الثالث الذي أكتبه عن الشباب . . عن همومه ومشكلاته ، ومسؤولياته وتبعاته ، وعن واجب الأسرة والمجتمع نحو تربية الشباب وتوجيهه ومراقبته ، وتشجيعه على التفكير والسعي والاجتهاد .

ولعل بعض القراء يعجبون : لماذا كل هذا الاهتمام بالشباب ؟

والجواب حاضر : فنحو خمس وعشرين سنة أمضيتُها مدرساً في جامعتيْ الملك عبد العزيز بجدة ، وأم القرى بمكة المكرمة - لمادتيْ الثقافة الاسلامية وتفسير القرآن الكريم - عاملٌ مهم ، وحافزٌ قوي للتعرف على الشباب . . همومه وخواطره ، مشكلاته ومخاوفه ، آماله وأحلامه ، اعتراضاته على مجتمعه وأسره ، واسباب انحراف بعضه ، واعوجاج سلوكه .

ثم يأتي - مع التدريس بالجامعتين خلال ربع قرن -

الاشتغالُ بالكتابة في الصحف والمجلات السعودية والعربية والإسلامية . . مما يفتح باباً واسعاً للقراء من الشباب من الجنسين – للكتابة التّي بمشكلاتهم وحاجاتهم ، لإجابتهم على رسائلهم ، وتناول قضاياهم بالبحث والدراسة على صفحات المجلات والجرائد . .

إذاً فاهتمامي بالشباب طبيعي وموضوعي ، وأنا اكتب عنهم من وسط ميدانهم ، وصميم حياتهم ، وقلب معركتهم مع آبائهم وأمهاتهم ومدرّسيهم ورؤسائهم .

وسيجد القارىء – باذن الله وعونه – عبر صفحات هذا الكتاب حديثاً صريحاً عن الشباب ، وحواراً مفتوحاً معهم في كل ماطرحوه من مشكلات وقضايا ومسائل تتعلق بدنياهم ، أو تتصل بدينهم .

والله المسؤول ان يتقبَّل مني هذا العمل الخالص لوجهه الكريم ، ويمنحني فضله ورضاه .

احمد محمد جمـــال

ذو القعدة ١٤٠٩هـ
يونيــو ١٩٨٩م

الفصل الأول
تمهيد للحديث عن الشباب

الشباب حقوقه وواجباته ؟

تعودت رابطة العالم الاسلامي - بمكة المكرمة - منذ قيامها قبل نحو خمسة عشر عاما إحياء موسم ثقافي تلقى فيه المحاضرات ، وتعقد الندوات خلال عشرين ليلة ابتداءً من منتصف ذي القعدة الى ٥ من ذي الحجة كل عام .

وكان حظي - في الموسم الثقافي لعام (١٤٠٣هـ) - الحديث عن (الشباب : حقوقه وواجباته) على المستوى العربي والاسلامي ، وكان موعدي مع المستمعين - من مواطنين ووافدين لاداء فريضة الحج - ليلة الخميس ١٤٠٣/١٢/١هـ - بالمركز الاعلامي في حدائق الزاهر - بعد صلاة العشاء[١] .

لاريب أن الشباب هو ثروة الأمة - كل أمة - ثروتها البشرية الغالية العزيزة ، بل هم أعز رصيد في ميزانيتها تُبنَى عليه آمال الغد القريب والبعيد .

ومن حقنا أن نردد دائماً : (الشباب . . الشباب) ونتساءل دائماً عنه حالاً ومآلا ، ونعقد من أجله الندوات والمؤتمرات : بحثاً في مشكلاته ، ودراسة لمطالبه ، وإصلاحا لمفاسده ، وتسديداً لخطاه خلال سيره نحو

---

(١) كانت الدعوة موجهة إلى من فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الامين العام المساعد لامين الرابطة بتاريخ ١٤٠٣/١١/٩هـ .

المستقبل . . الذي هو (مستقبل) الأمة والدولة والمجتمع كله !

من حقنا – بل من واجبنا – أن نفعل كل ذلك . وأن نهتم كل هذا الاهتمام ، وان نفكر كل هذا التفكير . . من اجل الشباب فالشباب اليوم بين أيدينا وأمام اعيننا : «أطفال» أو «صبية» او «غلمان» يمرحون ويسرحون بين المنازل والمدارس ، والشوارع والأسواق ، وملاعب الكرة وأندية الأدب . .

ولكنهم غداً هم الحكام والولاة ، وهم الرؤساء والوزراء ، وهم ضباط الأمن وقضاة المحاكم ، والقادة العسكريُّون .

واذا كانت المجتمعات العربية والاسلامية تشكو الآن انهياراً داخلياً في كل مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والثقافية – كما تقرر ذلك خلال ندوة المركز العربي للدراسات الأمنية بالجزائر المنعقدة في شوال ١٤٠٣هـ[٢] – فالسبب الاول والاوحد هو اهمال المسؤولين عن الشباب من آباء وامهات ومدرسين ومدرسات ، وقادة توجيه اعلامي ، ورؤساء اندية وجماعات واحزاب ثقافية وسياسية ودينية – اهمالهم التربوي والتعليمي والتوجيهي لهؤلاء الحكام والرؤساء والوزراء والقضاة وضباط الأمن والقادة

---

(٢) يراجع كتابنا (خطوات على طريق الدعوة) ص/١١١ ففيه حديث مفصل عن هذه الندوة .

العسكريين . . عندما كانوا اطفالاً وصبياناً وشباباً . .

وصدق المثل القائل : (كما تزرع تحصد) والمثل الآخر : (انك لاتَجْنِي من الشوك العنب) !

ونحن المسلمين - أمة القرآن الكريم والرسول العظيم - نمتلك منهجاً تربوياً تعليمياً للشباب . . لاتمتلكه أمة أخرى سابقة او لاحقة . . الا ان تتبع توجيه القرآن وخطى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته اجمعين .

ولانريد ان نطيل الاستدلال بآيات القرآن واحاديث الرسول في موضوع إعداد الشباب لمستقبل الأمة علمياً وخُلقياً - وحسبنا أن نذكرٍّ بما قصَّه القرآن عن موقف لقمان الأب من ابنه في وصاياه العظيمة الكريمة التى بدأها بتثبيت العقيدة الخالصة الموحدة للخالق عز وجل : ﴿**يابُنَيَّ لاتشركْ بالله إن الشرك لظلم عظيم** . .﴾* .

ثم جعل يربيِّ (التقوى) في قلبه لئلا ينحرف يميناً او شمالاً عن صراط الله المستقيم ظاناً أن الله لا يعلم شيئاً من تصرفات الخَلقْ . أو أنه لا يحاسبهم عليها قلَّتْ ام كثرتْ : ﴿**يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكنْ في صخرة ، أو في السموات أو في الأرض - يأت بها الله - ان الله لطيف خبير**﴾* .

---

* سورة لقمان آية ١٣ .

* سورة لقمان آية ١٦ .

وبعد التوجيه الى التوحيد والتقوى ذهب لقمان ينشيء في نفس ابنه التعُّود على إقامة الصلاة لانها الطريق الى ذكر الله دعاءً ورجاءً ، وتحميداً وتكبيراً ، ولان الله عز وجل مع عباده الذاكرين له بعونه وحفظه وتوفيقه - ثم التعُّود على العزائم والمكارم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من اجل اصلاح المجتمع ، مع الصبر الجميل على متاعب هذه التربية الجماعية المهمة الخطيرة ، الى جانب التحلّي بالتواضع للناس ، والتخلي عن الكبرياء ورفع الرأس وتصعير الخد ، وان يكون خطابه مع من يتحدَّث اليهم بنصح او دعوة الى الخير ، بصوت خفيض يحبِّب اليهم الاستماع اليه والاقتناع بما يقول :

- **﴿يابنيَّ أقم الصلاة ، وامرْ بالمعروف ، وانهَ عن المنكر ، واصبرْ على ماصابك ان ذلك من عزم الأمور . .﴾** .

- **﴿*ولاتصعر خدك للناس ، ولاتمْشِ في الأرض مَرَحاً - إن الله لايحب كل مختل فخور . .﴾** .

- **﴿واقْصِد في مشيك ، واغضضْ من صوتك - إن أنكر الأصوات لصوت الحمير . .﴾** .

ولا يكتفي القرآن بهذا النموذج الابوي التربوي لتحقيق اهتمام الآباء بأبنائهم - ذكوراً وإناثاً - بل يقدِّم صورة رائعة للآباء الصالحين الحريصين على صلاح أبنائهم ليكونوا قرةَ

---

* سورة لقمان آية ١٧ .

أعين لهم في الدنيا والآخرة ، وذلك في آيتين منه إحداهما في سورة الفرقان حيث يذكر صفات (عباد الرحمن) : ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَةَ أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً**﴾[٣] والآية الثانية من سورة الطور حيث يَعِدُ الله تبارك وتعالى الآباء والأمهات المهتمِّين بتربية أبنائهم وبناتهم وفق المنهج الاسلامي : بأنهم سيكونون معهم في جنات النعيم : ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم ، وما ألَتْنَاهَم من عملِهم من شيء كلُ امريء بما كسب رهين**﴾[٤] .

اما الجانب النبوي من المنهج الاسلامي للاهتمام بالشباب – الذين هم أكبادنا تمشي على الأرض – كما يقول الشاعر القديم – فإنه غنيٌّ بالمبادىء والصور الرائعة الحكيمة ، والمواقف السلوكية الكريمة . ولكن الوقت لايتسع الا لمبدأ واحد ، وموقف لاثاني له في حديثنا اليوم .

• يقول ﷺ : «**كل مولود يولد على الفطرة . . فابواه يهوِّدانه او ينصِّرانه او يمجِّسانه**»[٥] .

• اما الموقف أو الدرس التربوي العملي الذي ألقاه الرسول عليه الصلاة والسلام على كافة الآباء والامهات لكي يتنبهوا لاخطار التعامل مع أطفالهم في قول او عمل – فهو قوله ﷺ

---

(٣) سورة الفرقان/٧٤ (٤) سورة الطور/أظط .
(٥) رواه البخاري .

للأم التى رآها تقول لوليدها الصغير وهو ينفر منها : تعال أعْطِكَ تمرة – ترغِّبه في العودة إليها – قوله لهذه الأم : **«أما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبة»** !!

في الحديث النبوي تقرير وتأكيد لحقيقة (مسؤولية الأبوين عن تأثُّر ابنائهما وبناتهما بكل مايسمعونه أو يرونه منهما من قولٍ او سلوك – وبعبارة عصرية البيت مسؤول بالدرجة الاولى عن الشباب أو إفساداً ، إيمانا أو إلحادًا !

وفي الموقف النبوي التربوي مع أم الوليد تنبيهٌ وتوجيهٌ إلى أن الكذب على الصغار كالكذب على الكبار إثْمٌ وخطأ – بل ربما كان اشدَّ أثراً واسوأ عاقبة بالنسبة للصغار ، لأن الكبار عندما يتكاذبون يدركونْ أنهم يخطئون بينما لايدرك الصغار جريمة الكذب عندما يكذب عليهم الكبار وبخاصة الأب أو الأم أو الخال أو العم ، لان الصغر لايتصوَّرون أن آباءهم وأمهاتهم وأخوالهم وأعمامهم – وهم مناط الحب ومحل الاقتداء – يرتكبون إثماً عندما يكذبون عليهم ، بل يُحسنون صنعاً ، ويفعلون خيراً !

' إذن (فالحق) الأول للشباب المسلم منذ طفولته ان ينشأ في اسرة صالحة وبيت سعيد ، وأن يجد القدوة الحسنة في سلوك ابائه وأمهاته . .

فهل ادى الآباء والامهات هذا الحق للشباب ؟ سنعرف الجواب في ختام الحديث .

القدوة الحسنة عامل مهم
في اعداد الشباب للمستقبل

قد يتساءل كثيرٌ من الحضور : لماذا كان هناك شباب صالحون ناجحون في القرون الخالية، وبخاصة في خير القرون . . الذي هو عصر النبوة، والقرنين التاليين له – كما جاء النص على ذلك في الحديث النبوي «**خير الناس قرني – ثم الذين يلونهم – ثم الذين يلونهم**»[٦] .

وليس من تعليل لهذه «الخيرية» الا أن القدوة الحسنة كانت متوفرة في تلك القرون في المجتمع الاسلامي كله : في الآباء والامهات، وفي الأمراء والعلماء، وفي العمال والتجار، وفي كل مرفق او مشهد . . بحيث لايَرىَ الطفل والصبي والغلام والشاب الا حقاً، ولايسمع الا خيراً، ولايُدْعىَ الا الى هدى، ولايُعَامَل في بيع او شراء الا بصدق وامانة . .

ان القدوة السلوكية الصالحة عامل فعال، وعنصر اساسي في إعداد جيل المستقبل من شباب الجنسيْن – الذكور والإناث – فلقد كان الرسل والانبياء لأممهم، والعلماء لتلامذتهم، والآباء والامهات لأبنائهم وبناتهم، والحكام وولاة الأمر لرعاياهم، والرؤساء لمرؤوسيهم، والسادة لِخَدَمهم الصغار والكبار – كان هؤلاء «الرعاة» كما سمَّاهم

---

(٦) متفق عليه

بذلك الحديث النبوي قُدى حسنةً وأُسًى صالحةً بين أيدي رعياتهم ، وامام أعينهم فيما يقولون ومايفعلون : «**الا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[٧] .

تحدثنا الصحابية الجليلة ، (الربيع بنت معوذ) كما يروي لنا ذلك الأمام البخاري في صحيحه – فتقول : «كنا نعوِّد أطفالنا على الصوْم ، ونشغلهم بِلُعَبِ العِهْن عن الطعام والشراب حتى يحين موعد الافطار . .»

كما تروي لنا كتب السيرة النبوية وتراجم حياة الصحابة الكرام روائع القصص والمواقف عن أبناء هؤلاء الصحابة عندما كانوا يتسابقون – وهم صبية صغار كعبد الله بن عمر والبراء بن عازب – الى الرسول عليه الصلاة والسلام ليأذن لهم بالقتال مع آبائهم في معركة بدر أو أحد . . فيأذن لبعضهم بعد اختياره ، ويؤجل الآخرين الى معارك أخرى !

في المقابل ، او بالمقارنة مع العصور المتأخرة – ماذا نجد الآباء يفعلون مع ابنائهم ؟ هل يَلْزَمونهم بعضاً من يومهم للمناصحة والمراقبة في شؤون تربيتهم وتعليمهم ، وسلوكهم في البيت وطلبهم للعلم في المدرسة ، وخروجهم الى السوق ، واجتماعهم بالقرناء ؟ .

إن معظم الآباء مشغولون عن أبنائهم وزوجاتهم – اي عن الأسرة جميعها – بالأعمال والوظائف الإدارية أو التجارية ، وبالرحلات والأسفار المتتابعة . . ويرضونهم كبديل عن هذا

---

(٧) متفق عليه .

«الغياب» الأثيم بتحقيق المتارف والمناعم والملاهي . . من شراء السيارات الفخمة ، واقتناء اشرطة الغناء والسينما والآت عرضها «الفيديو» ويتركونهم يسرحون ويمرحون كيف شاءوا داخل الأسر وخارجها . . بحيث لاترى احداً منهم يتلو قرآناً ، ولا يؤدي لله صلاةً ، ولايقرأ في كتاب او صحيفة ليتزود بعلم نافع لدينه أو دنياه . ولكن الآت السينما والغناء والموسيقى العربية والافرنجية والهندية عاملة ناصبة بين أيديهم . . تليها أو تتخللها فترات سباق السيارات عبر الشوارع والطرقات ! !

إن مسؤولية ترشيد «الشباب» تقع كما أسلفنا بالدرجة الاولى على «البيت» على أبويه منذ طفولته واذا كنا نشكو من أهمال الآباء لحقوق ابنائهم عليهم رعايةً وحمايةً ونصحاً وتوجيهاً خلال السنوات الماضية - فكيف يكون حال الشباب غداً . . وقد تخلَّت الأمهات اليوم عن واجباتهن التربوية نحو أولادهن بنين وبنات ، تخلَّيْن عن مسؤولية الحضانة والرعاية منذ الولادة - للخوادم والمربيات الاجنبيات وبخاصة غير المسلمات ؟ .

كيف يكون حال الشباب غداً بعد أن أضافت الأمهات إهمالاً جديداً الى إهمال الآباء القديم ؟ .

ثم يبرز عامل فعَّال آخر - بعد عامل القدرة - في قضية «ضياع» الشباب وعدم الاهتمام بإعدادهم للمستقبل .

هذا العامل هو «التناقض» او الاختلاف الذي يراه الشباب

ويسمعونه ، بل ويلمسونه لَمسْ اليد في مجتمعهم بكل جوانبه وأطرافه ، ومجالات نشاطه وانتاجه العلمي والفكري والخُلُقي . .

مناهج التعليم تتناقض ، وفتاوي العلماء تختلف بين الحرمة والحل في القضية الواحدة ، وبرامج أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز تتصادم بين توجيه خلقي كريم ، وإغراء بالصورة والكلمة بكل فاحش اثيم . .

واحيانا يقوم التناقض - في الجملة - بين رجال التربية والتعليم في المدارس والجامعات ومعهم الآباء والأمهات كطرف مشترك - وبين الهيئات الإعلامية من إذاعةٍ وصحافةٍ وتلفاز ، اولئك يرفعون أعمدة البناء الاخلاقي أمام انظار الشباب ، وهؤلاء يمسكون بمعاول الهدم في نفس اللحظات ! !

ومن عجائب المصادفات أن أقرأ وأنا استعد للتحدث معكم حول حقوق الشباب وواجباته كلمة لشاب اردني نشرتْها جريدة «الشرق الاوسط» تحت عنوان «سؤال . . واجوبة مخيبة للآمال ! !» .

يذكر هذا الشاب الأردني في كلمته أنه وجَّه سؤالاً إلى نفسه وإلى طائفةٍ من إخوانه الشباب العربي عن الهدف الذي دعاه لتكملة دراسته الجامعية ؟ فاجاب بعضهم بأن غايته من إتمام دراسته الجامعية هي الحصول على وظيفة جيدة ، وبالتالي على راتب جيد - وأجاب آخرون : بأنهم إنما أكملوا دراستهم الجامعية لكي تقبل بهم الفتيات ازواجا

حاملي شهادات عليا – وأجاب فريق ثالث : بأن ذلك مقدمة لاستكمال الدراسة العليا في أوروبا وامريكا من اجل الاستمتاع بالحياة الحرة الطليقة هناك فترة الدراسة ، اما الفريق الرابع فكان جوابه : إنما حرصنا على نيل الشهادة الجامعية من اجل السمعة أمام الناس فقط ، وكان جواب الطائفة الأخيرة : إن أهاليهم هم الذين أرغموهم على اتمام الدراسة الجامعية . .(٨)

ثم يعقِّب الشاب الاردني بعد سرد الإجابات على استفتائه بأنها إجابات مخيِّبة للآمال ، ولاتدعو الى التفاؤل بحال . . لأن هدف معظم الشباب من الدراسة هو هدف شخصي بحت ، وليس من أجل السعي للنهوض بأمتنا العربية ، وتقدمها حضارياً وثقافياً على نحو ماتعيش عليه الأمم الاخرى !

وأخيراً يسأل الشاب الأردني موجِّهاً سؤاله إلى أهل العلم والفكر في العالم العربي – من المسؤول عن هذه الكارثة . . كارثة خيبة الآمال في الشباب ؟ هل هم الشباب أنفسهم مسؤولون عن ذلك ؟ ام الكتّاب والصحافيُّون ؟ ام المدارس والجامعات ؟ .

واعتقد أن حديثي هذا الذي تحدثت به اليكم عن (الشباب . . حقوقه وواجباته) هو الإجابة الصريحة الواقعية

---

(٨) الشرق الاوسط في ١٤٠٢/١١/٢٨هـ .

على سؤال الشاب الاردني في ختام كلمته عن خيبة الآمال في مستقبل الشباب المسلم عربياً وغير عربي :

- فالمسؤول الاول : الآباء والأمهــات ثم المدرسون والمدرسات اي افتقاد القدوة الصالحة في هؤلاء أمام الشباب قولاً وعملاً وخلقاً .

- والمسؤول الثاني : التناقض والتصادم بين المؤسسات التعليمية والتربوية من جانب ، والهيئات الاعلامية من صحافة واذاعة وتلفاز من جانب آخر فيما يلقّن الشباب من هناك ومايرون ويسمعون من هنا .

وهناك عوامل ثانوية أخرى ذات تأثير كبير في مانشكوه من (حال) الشباب وخيبة الآمال في (مآلهم) كالمدارس الأجنبية داخل البلاد الاسلامية ، وابتعاث الطلاب للدراسة في أوروبا وأمريكا ، واستقبال العادات والتقاليد المخالفة لأخلاقنا وعقيدتنا دون اهتمام بمقاومتها وردها .

يجب ان تؤدي الى الشباب حقوقهم قبل ان يطالبوا بواجباتهم

قلت للحضور – بعد ذلك – هكذا تروني لم أتحدث عن (واجبات الشباب . .) واكتفيت بالحديث عن حقوقهم التي أضاعها الآباء والامهات ، والمدرسون والمدرسات ،

والعلماء والرؤساء والمفكرون - الذين هم سادة المجتمع والكبراء فيه - ينظر الشباب اليهم ، ويسمعون منهم ، ويتأثرون بآرائهم ، ويقتدون بأخلاقهم . .

فلماذا لم أتحدث عن واجبات الشباب نحو أنفسهم ، ودينهم ، وأمتهم ، ووطنهم ؟ لأني وجدتُهم ينطبق عليهم المبدأ أو القاعدة المعروفة : «فاقد الشيء لايعطيه» أو المثل العربي الذي أسلفت ذكره في بداية المحاضرة : «كما تزرع تحصد» والمثل الآخر : «إنك لاتجني من الشوك العنب» .

ومن عجائب المصادفات أيضا أن استمع قبل أن أحضر اليكم للتحدث معكم إلى حوار جرى بين بعض المدرسين على مستوى «الدكاترة» خلال ندوةٍ جماعية سجلتها الإذاعة السعودية ، وقد تضمَّن هذا الحوار كلمة عن الحضارة العربية ، والتقدم العلمي الاسلامي ، في دولة الأندلس الغابرة - جاء في هذه الكلمة ، قول أحدهم : «فليت الشباب المسلم يتخذ من أجداده وآبائه قدوة حسنة ليعيد تلك الأيام الزاهرة ، والأمجاد الباهرة . .» .

فضحكت في نفسي ، وقلت : هذا هو مايحمل الشباب على السخرية من أساتذتهم لأنهم يقولون مالايفعلون ، حيث يتساءل الشباب فيما بينهم - أو في أنفسهم - لماذا لايعيد أساتذتنا الكبار حَمَلةُ الشهادات العليا أمجاد أجدادهم ، فهم أقدر منا ، وأسبق الى نيل العلم ، واكتساب العمل ؟ بل لماذا لايجعلون من المدارس والجامعات والهيئات الإعلامية «معامل» لتخريج «الأبطال» ثقافة وسلوكاً . . بدلاً من

كونها «مراسم» مائية لِنَقْشِ العلوم والآداب التى تخرج من عقول الشباب هباءً منثوراً يوم يتخرَّجون منها ! ! .

وبعد . . فكما أسلفت القول : يجب أن نؤدِّي الى الشباب حقوقَهم التربوية والتعليمية والإعلامية والتعاملية في البيت والمدرسة ، والجامعة والشارع والسوق ، وفي كل مايرون ويقرأون ويسمعون في مجتمعهم الكبير – قبل إن نطالِبهَم بمايجب عليهم نحو أنفسهم ودينهم وأوطانهم وشعوبهم في كل انحاء العالم الاسلامي . . عربياً وغير عربي .

وربما كانت هناك بعض الملاحظات أو التعقيبات من الاخوة الحضور ، التى قد نستكمل بالإجابة عليها مانكون قد نسيناه أو أجملناه في حديثنا خوف الإطالة وخشية الإملال . . ونحمد الله عز وجل – في الختام – ونصلِّي ونسلِّم على نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

● • ●

ولما كان سعادة الدكتور جسن باجودة مشرفا على الموسم الثقافي للرابطة يقدم المحاضرين للمستمعين ، ويترجم لهم ، ويتلقى أسئلة الحضور الموجهَّة للمتحدث – فقد تلقى العديد من هذه المسائل ! وكان يقرأ عليّ الواحدة بعد الاخرى . .

كانت ست ورقات تحمل مسألةً واحدة – وهي ان

ماتحدثت به إليهم : حقيقة مؤلمة ، وواقع مرير . . ولكن ماهو العلاج لذلك ؟ وكيف تقوم البيوت والمدارس وأجهزة الإعلام بواجباتها نحو الشباب ؟ .

قلت : لابد ان يكون هناك «اهتمام» صادق من كافة هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الاسلامي - بتطبيق المنهج الاسلامي الذي التزمنا به . . كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في معاملة أولادنا - بنين وبنات - منذ طفولتهم . .

كما يجب أن يكون هناك «تعاون» أمين بين هذه المؤسسات . . على الا تهدم إحداها ماتبنيه الأخرى ، أو تفسد ماتصلحه - او تفرِّق ماتجمعه .

بهذا الاهتمام الصادق ، والتعاون الأمين . . في المجتمع الاسلامي يتحقق المنهج التربوي القرآني النبوي في سلوك الشباب ، فتَتَحقَّق آمالنا في غده المشرق ، بحيث نرى فيهم الولاة والحكام والقضاة العادلين ، والعلماء الصالحين الناجحين ، ورجال الأمن والدفاع الأبطال الشجعان . .

- وكانت هناك ثلاث ورقات تقدم بها بعض الحضور الكرام - يؤكدون فيها حقيقة ماذكرته من ان الشباب يواجه فريقا متشدِّداً من العلماء ، وفريقاً آخر متحلِّلاً ، وهو لذلك حائر بين الفريقيْن مِمن يأخذ ؟ ومَنْ يَدَع ؟ ويؤكد هؤلاء الإخوة أيضا ان معظم المدرسين ليسوا قدوةً صالحةً لِطلابهم ، وأنهم محترفون لاهواة . . اي أنهم يكتفون بتلقين

الدروس لطلابهم دون رعاية تربوية ، واهتمام بالطلاب هل فهموا ماألقي اليهم أم لم يفهموا ؟ ، والحقيقة الثالثة : أن هناك «خطة» ينفذها المسلمون مع الأسف الشديد – وقد وضعها أعداؤهم ، وهي لا تتفق مع المنهاج الاسلامي التربوي التعليمي ! .

قلت : إن المدرس يجب ان يكون هاوياً لعمله لا محترفاً ، أي يجب ان يتعامل مع طلابه كأبناء له يحرص على انتفاعهم بما يعلّمهم إياه من علوم[٩] .

كما يجب على العالم الواعظ او الداعية او المفتي : ان لايذهب المذهب الأشدّ ، فالدين يُسْر ، ولن يشاد الدين أحدٌ الا غلبه ، وأن يكون أسلوبه متحلياً بالحكمة والموعظة الحسنة ، والا يسارع بتكفير العصاة والمخالفين ، وتحريم المكروهات الخ .

وفي المقابل . . يجب على المفكرين او العلماء العصريين الا يتحللوا من الاصول والنصوص والقواعد الشرعية الثابتة ، والا يَتخفّفوا من مكارم الاخلاق باسم «المدنية» و «الحضارة» و «التطور» فإن خير الامور أوساطها . . فلا تحريم حيث يمكن الإباحة ، ولاتحليل حيث يجب التحريم .

أما أن هناك مخططات لأعداء الاسلام وخصوم المسلمين

---

(٩) في كتابي «نحو تربية اسلامية» فصل خاص بهذه القضية .

في مجالات التربية والتعليم والإعلام – فهذا لاشك فيه ، وهو قديم ومستمر ، وقد أسميته «الاستعمار غير المباشر» في محاضرة لي القيتها بندوة في الجزائر أقامها المركز العربي للدراسات الامنية اي الاستعمار الثقافي والفكري ، الذي حل بالأوطان الإسلامية خلال الاستعمار الصليبي المباشر ، وبعد انقشاعه ، وازداد قوةً ونماءً وحريةً حين أصبحنا نخدع انفسنا بالتحرر والاستقلال عن حكم المستعمرين وسلطانهم ، في الوقت الذي إزددنا فيه اتباعاً لأفكارهم ، واقتداءً بمناهجهم . واقتباساً من أخلاقهم !

وقد قلت – خلال ندوة الجزائر – ان لدينا نحن المسلمين عربا وغير عرب استعدادا ذاتياً لهذا الاستعمار غير المباشر ، فنحن ننفذه مخادعين أنفسنا بأننا نشرعه خالصاً مستقلاً عن تدخل الشرق الشيوعي ، والغرب الصليبي !

- وتقدم احد الحضور بسؤال يقول فيه : إذا كان المسؤولون عن تربية الشباب وإعدادهم للمستقبل – لم يؤدوا واجبهم نحو ابنائهم في المؤسسات الاسرية والتعليمية والاعلامية – فما مردُّ الصحوة الاسلامية التى نراها اليوم في المجتمعات العربية . . إذا كنتم راضين عنها ؟ .

قلت : هذه الصحوة الاسلامية التي يتحدث عنها بعض الكتاب إنما هي على مستوى فردي أو جماعي محدود ، وأكاد اقول إنها ليست جديدة . . بل هي قديمة ، وقد كانت انشط وأوسع قبل أكثر من ثلاثين عاماً ، إي قبل ابتلاء

المجتمعات العربية والاسلامية بالإنقلابات العسكرية ، وإمساك العسكريين بأزِمَّة السياسة والسلطة في بعض دول العالم العربي والاسلامي .

فقد ضعف النشاط الاسلامي ، وتجمَّدت الحركة الاسلامية خلال السنوات الثلاثين الماضية وحوربت الجماعات الاسلامية ، واعتقل معظم قادتها من شيوخ وشباب ، وأعدم كثيرٌ منها .

كان هذا جوابي على مسألة الأخ الكريم في أعقاب المحاضرة - ثم قرأت في جريدة الشرق الاوسط يوم ١٤٠٣/١٢/٧هـ «اي بعد تأريخ المحاضرة بسبعة أيام» كلمة للاستاذ مصطفى أمين الكاتب المصري المعروف تحت عنوان «فكرة» يؤكد فيها ماسبق أن شكا منه الشاب الأردني من اهتمام الشباب العربي والاسلامي بأنفسهم دون شعوبهم وأوطانهم . .

إلا أن الاستاذ مصطفى امين يتحدث في كلمته عن طلبة الجامعات المصرية ، حيث قام عدد منهم باستفتاء عن الشباب المصريين . . فأسفر الاستفتاء عما أفزع الاستاذ امين ان يصدر عن شبانٍ متعلمين «فقدوا الانتماء لبلادهم ، وجهلوا تأريخ وطنهم ، وانصرفوا الى أنفسهم . . لايهمهم عمرت بلادهم أم خربت ، جاعت ام اكلت ، عاشت ام ماتت ، يزعجه هزيمة نادي في كرة القدم ، ولا يأبه لهزيمة وطنه في ٥ يونيو» !

ثم يضيف الاستاذ مصطفى امين : «ان المسؤول الاول : سوء التربية وسوء التعليم ، وعجز الصحافة والإذاعة والتليفزيون عن القيام بدورها المطلوب ، ولايمكن ان يتحقق هذا إلا إذا قامت نهضة شاملة تشمل البيت والمدرسة والشارع وتستعيد فضائلنا ، وتقدم للبلد قدوةً صالحةً في كل ميدان . .» .

وهكذا – بحمد الله – يؤيد الاستاذ مصطفى امين بعد تأييد الشباب الأردني : ماسبق أن تحدثت به عن «الشباب» والمسؤولين عن إعدادهم وتربيتهم من آباء وأمهات ، ومدرسين ومدرسات ، وسادة وكبراء في المجتمعات العربية والاسلامية على كل المستويات ، وفي كافة المجالات !

وتقدم أحد الحضور – بعد ذلك – بِعَتْب شديد لأجهزة التليفزيون لانها لاتختار الاوقات المناسبة لتقديم برامجها النافعة للشباب . . كما أن المتحدثين في قضايا الشباب ومشكلاتهم لايتحَّدثون إليهم بأسلوبٍ عصري مقنع ، ويقترح الاخ الفاضل : أن تقدم سيرة الرسول ﷺ واصحابه ، وخلفائه في برامج جذابة بأساليبها وصورها وشخصيات مقدميها أيضا .

ويعترض مستمع آخر على الاهتمام الاعلامي صحافةً واذاعةً وتلفازاً بالبرامج الرياضية ، وبخاصة كرة القدم .

قلت : هذه ملاحظة واردة . . وقد أكدَّها الاستاذ مصطفى امين في كلمته التي نقلتها عن جريدة الشرق

الاوسط وهي (ظاهرة) يجب الاهتمام بمواجهتها وتحديد آثارها الخطيرة في حياة الشباب حاضرا ومستقبلا .

وحسبنا دليلاً على شناعة هذه الظاهرة . . أن أجهزة العالم الاسلامي والعربي لم تهتم ولو قليلا بالمحاكمة التي واجهت بها الصهيونية المفكر الفرنسي المسلم رجاء جارودي بسبب إسلامه اخيراً ، وحملته على مطامع اسرائيل ومظالمها في فلسطين ولبنان - بينما عظم اهتمامها بالدوري العام لكرة القدم .

وكتب اخ كريم من الحاضرين يعقب على موضوع المحاضرة واهميته لانه يتناول مأساة الشباب في العالم العربي والاسلامي - ثم يطالبني بالحديث عن الجنس اللطيف من الشباب ، وماتخلق به بعضهنّ من عادات وتقاليد اجنبية في سلوكهن وثيابهن ، حتى اصبحن يعرضن مفاتنهن دون حياء ولاخجل في الشوارع والطرقات ، وداخل المتاجر التي يدخلنها بقصد الشراء ظاهراً ، ونية الإغراء والإفساد حقيقةً

قلت : تحدثنا عن هذه «الفتنة» النسائية كثيراً عبر الصحافة والاذاعة والتلفاز ، وهي دون ريب مسؤولية الآباء والأمهات والأزواج واولياء أمورهن من إخوان وأعمام وأخوال .

وجاء سؤال آخر : كيف يبني الشباب المسلم شخصيته الإسلامية المطلوبة ؟ وماهي مقومات هذه الشخصية ؟

قلت : لابدّ من «القدوة» اولاً - القدوة من الآباء

والامهات والاساتذة في المدارس والجامعات ، والسادة والكبراء في المجتمع ، ومن المؤسف جدا أننا نرى بعض المسؤولين عند مايخرجون إلى دول أجنبية أوروبية او امريكية او أسيوية أو أفريقية . ممثلين لحكوماتهم في مؤتمرات أو ندوات أو اجتماعات خاصة - نراهم يسارعون الى خلع ملابسهم الوطنية ، وارتداء الملابس الافرنجية كانما الزي العربي الاسلامي عار وشنار ، والزي الافرنجي مَجْد وفخار ، وكأنهم بمجرد ارتدائهم للثياب الافرنجية قد أصبحوا أوروبين أو أمريكيين متقدمين متحضرين ! !

وهذا «التقليد» في المظهر يقتضي بالطبع التقليد في اللغة والعادات والسلوك .

ويجب الا ننسى ايضا إذابة الطلاب المبعوثين الى جامعات اوروبا وامريكا لشخصياتهم وبعد عودتهم إلى بلادهم . . وربما نقلوا ماتأثروا به من عادات وأخلاق وعقائد الى بيوتهم وأسرهم وأصدقائهم .

واذن . . فلابد من العودة الى الإسلام كاملاً بأحكامه ، وأخلاقه ، وثيابه وآدابه ، وصدق الرسول المعلِّم الاول والأمثل فيما وجهنا اليه من أجل الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية العظيمة الكريمة : «من تشبه بغيرنا فليس منا»[10] و «من تشبه بقوم فهو منهم»[11] .

---

(١٠) رواه الترمذي (١١) رواه ابو داود .

وقد وجه بعض الحضور الىّ أسئلة أخرى لاتتعلق بموضوع المحاضرة فلا ارى داعيا لذكر الاجابة عليها هنا . . وربما ذكرتها في مواضع مناسبة باذن الله وعونه .

ومن العجيب الغريب : ان الاخوة اصحاب هذه المسائل لم يذكروا اسماءهم في الورقات التي تقدموا بها . . ماعدى مستمعا واحدا ذيل كلمته باسمه هكذا : «محمد شرف رشادي الهندي» وقال في رسالته - بعد السلامّ - «لقد كان بيانكم عن اوضاع الشباب المسلمين واضحا مفيدا . . لهذا التمس منكم ان تنشروه في الصحف والمجلات ليكون هداية للناس . . وشكرا لكم» .

أولادنا لم يعودوا أكبادنا

سبق ان كتبت مرارا خلال السنوات الماضية حول تشغيل بعض الاسر العربية المسلمة لمربيات وخوادم غير مسلمات ، يشرفن على خدمة اطفالهم ، وإعداد الطعام لهم ، ومصاحبتهم في غرف نومهم ، وإيقاظهم صباحاً للذهاب الى المدارس ، وإستقبالهم عند عودتهم - اي انهن يعشن معهم كافة يومهم ليلاً ونهارا .

ونبَّهت الآباء والامهات الى خطر هؤلاء الخوادم والمربيات الوثنيات او الكتابيات لان الاطفال في هذه المرحلة الدقيقة من أعمارهم سريعو التقليد والاقتداء بالكبار

الذين يعيشون معهم في بيوتهم طوال يومهم ، هذا الى جانب أنهن قد يتعمدن تلقينهم شعائر عقائدهن واداب دياناتهن .

وقلت : إن في المربيات والخوادم العربيات المسلمات ، والمسلمات غير العربيات مايكفي ويغني . .

وقد تلقيت من قارىء فاضل نشرة مصورة تحمل عنوان (المخيم الصيفي) وداخل النشرة صور للالعاب والرحلات وممارسة السباحة وركوب الخيل ، مع بيان في مقدمتها عن أغراض هذا المخيم من ترفيه ورياضة وتدريب وتغذية ، واتاحة البيئة الرائعة خلال العطلة التى يقضيها هؤلاء الاطفال والصبيان من الجنسين في هذا المخيم الصيفي في بريطانيا .

ويقول الاخ الفاضل في رسالته انه التقى ببعض المسؤولين عن المخيم وتحدث اليهم في موضوعه ، وسألهم هل يحافظ المخيم على اداء الشعائر الاسلامية كالصلاة في اوقاتها ؟ ففوجئوا بهذا السؤال . . ولكنهم وعدوا بالتريب لهذه المسألة مع ملاحظة انهم لايستطيعون ان يجبروا احداً من الفتيان على الصلاة ! .

ويضيف الاخ الفاضل : انه عندما عرض عليه هذا المسؤول شريطا من مشاهد المخيم رأى ان الفتيان والفتيات يرقصون معاً ، ويلتصقون بعضهم ببعض في رقصات غربية لا يجوز لأبناء الاسلام وبناته أن يقوموا بها أو يتعلموها ! !

ويختتم القارىء الفاضل رسالته بقوله : «لايخفى عليكم ان في تنظيم هذه الرحلات المغلقة باسم التعليم والتدريب

والترفيه والاستفادة النفسية والثقافية - خطراً كبيراً عى الناشئة ، واذا كان علماؤنا والمفكرون المصلحون منا ينصحون دائماً بعدم السفر الى الخارج ، وبقضاء إجازات أسرنا وشبابنا في ربوع بلادنا بسبب انتشار المنكرات والموبقات هناك . . فما بالنا بخروج هؤلاء الاطفال والفتيان من الجنسين الى بلاد اجنبية متحررة لانأمن عليهم خلال رحلاتهم وداخل مخيماتهم بعيداً عن أسرهم وبيئاتهم من التأثّر بأخلاق وعادات وعقائد بعيدة كل البعد عن عقيدتنا واخلاقنا ؟ .

«مع ملاحظة انه سيزداد عدد أمثال هذا التنظيم ، وتزداد المؤسسات التي تدعو الى مثل مادعا اليه هذا المخيم البريطاني - وقد سجلت نحو مئة أسرة لأولادها الانضمام الى المخيم ، وسيزداد العدد الى حين يقترب موعد ابتداء الرحلة» .

وهاأنا أضع هذه المعلومات الواردة في نشرة المخيم بين يدي المسؤولين عن الشباب والطلاب ، والآباء والامهات - واذكّرهم في الوقت نفسه بما سبق ان كتبته عن الخوادم والمربيات غير المسلمات اللاتي يستخدمونهن داخل بيوتهم ، كما أذكّرهم أيضاً بما أصبح معروفاً لدى الجميع من رسائل (التنصير) التي ترسل إلينا بريدياً بين حين وحين .

مع الشباب دائمــاً

في نظرنا : انه يجب ان نجعل . . الطلاب والشباب . . هدفنا الأول والأهم في كل حوار او حديث او مقال نكتبه او نديره في اي موضوع ثقافي او تربوي او فكري او تعليمي .

فالطلاب والشباب – في هذه الفترة من حياتنا العصرية – يعيشون في قلق وحيرة وتردد بين التصديق والتكذيب ، وبين الاقتناع والرفض . . لما يقرأون ومايسمعون داخل مدارسهم وجامعاتهم وأنديتهم ، ومجلاتهم ، واذاعتهم وتلفازهم . . وبعض هؤلاء الطلاب والشباب : أيقاظ أذكياء يحبون أن يعرفوا حقيقة مايتردد في اذهانهم أو مايقرأون وما يسمعون من مقالات الصحافة واحاديث المذياع . . فهم لذلك يكتبون الرسائل ، او يوجهون المسائل إلى أساتذتهم حول هذه النظرية ، او تلك القضية ، او هذا الكتاب ، او ذلك الرأي ؟

في شعبان سنة ١٣٩٤هـ كنت مدعوا من قبل رابطة العالم الاسلامي للمساهمة في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين الذي انعقد في اسبانيا ، وكان موضوع محاضرتي : (الشباب والدعوة الاسلامية) .

وانا لااريد ان اتحدث الآن ، وفي هذا الحيز المحدود عن المؤتمر ، ولا عن المحاضرة وفكرتها او موضوعها .

وانما اردت اشياء اخرى ، فوصلت بينها وبين المؤتمر .

- اردت ان اقول : ان الاهتمام (بالشباب) اصبح دعوة في كل مكان من العالم بصفة عامة ، وفي عالمنا الاسلامي والعربي بوصف خاص . .

وهذه ظاهرة تدل دلالة سافرة على ان (الشباب) يعاني مشكلات نفسية واجتماعية وتربوية وثقافية . . جديرة بالدرس والتفهم اولا ثم بالمسارعة الى الحل والعلاج ثانيا .

واردت ان اعقب على زعيم عربي . . خطب في اجتماع عقدته لجنة رعاية الشباب العربي التابعة لجامعة الدول العربية فقال : (لكي نستطيع مواجهة التحدي الصهيوني فانه يجب ان نزود الشباب العربي بالخبرة الفنية والعلمية) .

فالواقع : ان الشباب العربي لايحتاج - كي يواجه تحديات الصهيونية ، والصليبية ايضا ، والشيوعية كذلك ، وثلاثتها متآمرة بالسوء على منطقة الشرق الأوسط ، المنطقة العربية الإسلامية - إلى علوم وفنون وخبرات تقنية . . فهو يعيش في عصرها الذهبي ، وهو - ايضا - يتلقى دراسته وتجاربه فيها داخل بلاده وخارجها . .

وانما الشباب العربي الاسلامي - محتاج احتياجا شديدا وعميقا وشاملا الى تربية سلوكية تنمي فيه : الرجولة والاخلاق والارادة . . هذا الثالوث التربوي العملي الذي لابد من وجوده وتوفره في (الشباب) شباب المنطقة ، ليواجه كل التحديات المخربة لعقيدته واخلاقه ، المتآمرة على مستقبله وغده - العاملة على خداعه وضياعه . .

- واخيراً أردت أن اقول : إن اهتمامنا بالشباب ينبغي الا يقتصر على المجال الرياضي ، ومباريات كرة القدم ، ودوراتها الداخلية والخارجية ، ولا على القاء المحاضرات الدينية ، وإقامة المواسم الثقافية بين الحين والحين . .

بل يجب وضع منهاج تربوي ثقافي لرعاية الشباب في كل بيئاته : المنزلية والمدرسية والوظيفية - منهاج عملي سلوكي فعال . .

مطلوب مخطط لترشيد الشباب

في كلمات اخرى عرضت بعض ماحملته الى رسالة الشاب (م . ط) من معاناة يعيشها الشباب المسلم بسبب مايرى ومايسمع في مجتمعاته من آراء متضاربة ومشكلات لاتجد لها حلا ، ومن تناقضات اجتماعية وسياسية ، وعقبت عليها بما فتح الله من تعليل وتوجيه .

واضيف اليوم : ان الشباب المسلم - كما دار في حوار صريح نشرته مجلة اللواء الاسلامي المصرية - او كما تبين لي بعد قراءة الحوار المتتابع في اعداد متتالية من المجلة - ان الشباب المسلم فريقان :

الاول : مشغول بالمخدرات والمكيفات ، وباللهو واللعب والاعتداء على الاعراض والاموال . . متأثرا بما يشاهد في تسجيلات (الفيديو) الجنسية والعدوانية .

الثاني : الشباب الصاحي الواعي المتدين . . والمتألم لاحوال شعوبه وحكوماته التى لايستقيم على خط واضح من السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

وهذا الفريق . . هو الذي انبثق منه افراد وجماعات تعتنق مبدأ الاصلاح بالعنف ، وتنتهج اسلوب الهجرة والتكفير ، وتريد استبدال الحكام بافضل منهم عن طريق المقاومة العسكرية او المسلحة .

ومن هؤلاء ايضا : من يركز على (العلماء) فيتهمهم بالجبن والخوف ، والقعود عن اداء الامانة الملقاة على عواتقهم . . في مناصحة الحكام ، وتقويم سلوكهم ، واصلاح تعاملهم مع شعوبهم ، والزامهم بتطبيق احكام الشريعة الاسلامية وحدودها .

وقد احسن العلماء الذين اشتركوا في حوار مع مجلة (اللواء الاسلامي) بتوجيه الشباب الى ان (العنف) ليس السبيل التي يرتضيها الاسلام لاصلاح المجتمعات الاسلامية . وانه لابد – كما هو توجيه نبي الاسلام نفسه – من الصبر على ولاة امر المسلمين – في اخطائهم واسوائهم – ما اقاموا الصلاة ، ومالم يعلنوا كفرا بواحاً . . ذلك ان مايحدث من فتنة في مقاومتهم المسلحة . . سيكون اشد افسادا واخلالا بالامن والنظام من ذي قبل . . وهو ماتحقق فعلا وواقعا في بعض المجتمعات الاسلامية التي تبدل نظام الحكم فيها . باسلوب العنف والثورة باستخدام السلاح .

ومن اجل ترشيد الشباب المسلم وتبصيره وتوجيهه الوجهة السليمة لابد من وضع مخطط او منهج تعليمي وتربوي دائم تشترك فيه المدارس والجامعات واجهزة الاعلام ولايكتفي فيه بالاحاديث والندوات والمحاضرات العابرة .

من خلال هذا المنهج او المخطط يربي الشباب تربية اسلامية صحيحة ليكون امل المستقبل ، وعماد الغد ورجال المجتمعات الجديدة الرشيدة التي ينشدونها . على ان يكون الاسلوب عصريا مبسطاً وبعيدا عن التشدد والتعصب كما هو توجيه نبي الاسلام نفسه – عليه الصلاة والسلام – (سددوا وقاربوا ويسروا ولاتعسروا) .

ان شبابنا – في كافة اقطار العالم الاسلامي – محتاج جدا الى التبصير والترشيد والتوجيه – عبر منهج اسلامي صحيح . . لامختلق ولامفتعل ولامزيف ولامزعوم ! .

ولاشك ان مسؤولية العلماء كبيرة وخطيرة امام انفسهم ومجتمعاتهم وامام الله عز وجل الذي جعلهم (ورثة) الانبياء في مهمتهم البيانية والبلاغية ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . فيكونوا شجعانا ، وليكونوا صادقين ، وليذكروا كلمة مورثهم : «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[١٢] ونذيره ﷺ ايضا «**اذا روءيت امتي تهاب ان تقول للظالم ياظالم ، فقد تُوِدْع منها**»[١٣] .

---

(١٢) رواه ابو داود (١٣) رواه احمد والترمذي والحاكم .

مشكلات الشباب ومسؤولية الآباء والعلماء

يعيش الشباب وطلاب المدارس والجامعات - في عالمنا الاسلامي - في حيرة دائمة ليمايرون ويسمعون من آراء ووجهات نظر متعددة في المسألة الواحدة ومن تناقض بين واقع المسلمين وتوجيهات الاسلام أمرا ونهيا - ومن هنا وجب الأخذ بايديهم وعقولهم الى الصراط المستقيم . .

وكان هناك موعد للألتقاء بجمهور النادي الأدبي بالمدينة المنورة من شباب وطلاب ومدرسين وادباء كرام - فقد اسعدني رفيق الصبا وزميل الدراسة الاستاذ عبد العزيز الربيع بدعوته الكريمة كرئيس للنادي الى محاضرة يكون موضوعها : (مشكلات الشباب - ومسؤولية الآباء والمعلمين . .)[١٤] .

وسارعت لتلبية الدعوة ولقاء الأحبة هناك في مدينة الرسول الكريم . المدينة المباركة ، والمنورة ، والمطهرة ، حيث احاطت بنا بركات الرسول ﷺ واشرقت علينا انواره . . ونحن نلتقي على حديث عن (الشباب) وماأغلى الشباب زادا للغد وما اقواه عمادا ، وامضاه سلاحا في حاجات الامة وقضايا الوطن ، وانتصار الدين .

الشباب . . الذي كان موضع رعاية الرسول الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم الذي نتحدث بجواره وفي انواره ، قد روي عنه يقول : «**بعثت بالحنفية السمحة ،**

---

(١٤) كان ذلك مساء الاثنين ١٥/٢/١٤٠١هـ .

فخالفني الشباب ، وخالفني الشيوخ» .

وهو من حيث المتن والمعنى صحيح - ونقول : انه صحيح المعنى ونقصد ان تاريخ الدعوة الاسلامية يثبت ان الذين استجابوا للرسول ﷺ حين جهر بدعوته في مكة المكرمة كانوا شبابا . اما الشيوخ فقد عارضوه وخالفوه ومكروا به ، وتآمروا عليه .

فابو بكر وعبد الرحمن بن عوف كانا في نحو السابعة والثلاثين عندما آمنا بالرسول ﷺ ، وزيد بن حارثة وعثمان ابن عفان كانا في العشرين ، وعمر بن الخطاب كان في السادسة والعشرين وجعفر بن ابي طالب وصهيب الرومي كانا في الثامنة عشرة وعلى بن ابي طالب والزبير بن العوام كانا في الثامنة .

وهي حقيقة تاريخية ونفسية ايضا اعترف بها مؤرخ اجنبي غير مسلم وهو (مونتقمري وات) في كتابه (محمد في مكة) حيث قال : ان اهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين هى ان الاسلام في الاساس كان حركة شباب ! !

هذه كانت مقدمة المحاضرة بالاضافة الى بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المؤكدة لعناية الاسلام بالشباب تربية وتعليما - التى لانرى ضرورة لسردها هنا في تلخيصنا لما تحدثنا به في النادي الادبي بالمدينة المنورة .

وذلك كيلا نطيل على القارىء - من ناحية - ولنبدأ الحديث عن (مشكلات الشباب) من ناحية اخرى - وقد جعلنا عنوان هذا التخليص مقالة احد علماء النفس الامريكيين

في اجابته على سؤال وجه اليه عن اكبر مشكلة يواجهها شباب اليوم ، فقال : الآباء ! !

وقد صدق فيما اجاب ، واصاب فيما قال ، فالآباء هم : المسؤولون بالدرجة الاولى عما نشكوه نحن من انحراف الشباب ومايشكوه الشباب انفسهم من ضياع وحيرة ومشكلات لايجدون لها حلولا ، كما لايفرون برعاية تمنع ضياعهم وتهدي حيرتهم .

وانا عندما اطلق هنا لفظ (الآباء) اعنى الامهات معهم من باب التغليب ، كما يطلق لفظ (الوالدين) على الاب والأم معا تغليبا لان الاب لايلد ، وانما الام هى الوالدة حقا وفعلا .

وقد اقسم الله (بالوالد وماولد) اي آدم عليه السلام وذريته من الانبياء وغيرهم من المؤمنين الصالحين .

فالآباء والامهات هم المسؤولون عن انبات الشباب نباتا حسنا او سيئا ، وهم الرعاة لهم بخير او المهملون المضيعون لحقوقهم عليهم . . وان للابناء حقوقا كما للاباء . . فقد شكا والد ولده الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال الابن : ياأمير المؤمنين أليس للولد حق على الوالد ؟ قال عمر : بلى من حق الولد على الوالدان ينتقى امه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه القرآن – قال الغلام : ان امي زنجية لمجوسي ، وقد سماني ابي جعرانا ، ولم يعلمني شيئا من القرآن .

فالاب لم يختر زوجة طيبة صالحة – وقد امره دينه

بذلك : «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس – وإياكم خضراء الدمن ، وهى المرأة الحسناء في منبت السوء – واظفر بذات الدين تربت يداك**» ثم سمى ولده جعرانا – وهو اسم حشرة معروفة مستقذرة . ولم يعلمه شيئا من امور دينه وفي مقدمتها القرآن حفظاً وفهماً .

هذا مااستطعت ان اذكره من المحاضرة التى القيتها بنادي المدينة الادبي . . لأن مشكلتي التي اعاني منها اني لااكتب احاديثي ومحاضراتي قبل ان القيها ، وقد تعودت على الارتجال ثم تسجيل ماوعته الذاكرة ، وهو قليل جدا .

حيرة الشباب مع الفتاوى المتناقضة

ان الشباب من الجنسين في عالمنا الاسلامي اصبح يشكو من حيرة خانقة يعيشها بسبب مايقرأ في الصحف والمجلات الاسلامية ، او يستمع اليه في الاذاعات من فتاوي متناقضة بعضها يقول بالحرمة ، وبعضها يقول بالحل . . لسلوك واحد !

وربما جاء هذا التحليل والتحريم في جريدة او مجلة واحدة بسبب تعدد المفتين . ونضرب المثل بالقضايا التالية :

احد العلماء يفتي بحرمة العمل في البنوك الربوية ، وحرمة أجور موظفيها ، ويستدل بحديث الرسول ﷺ : «**لعن الله آكل الربا ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه**» – والآخر

يفتي بأن (مرتب العامل في البنوك الربوية حلال) ! .

وعالم يفتي بأن مصافحة المرأة الاجنبية حرام – وآخر يقول بجوازها !

وعالم يقول بتحرم الاستمناء مطلقا – وآخر يذكر إباحة الحنفية والحنابلة للاستمناء إذا خشي الشاب على نفسه الوقوع في الزنا !

- وعالم يفتي بأن تعاطي الحقن للصائم اذا كانت مقوِّية فهي مفطرة لانها تعتبر غذاء – وآخر يقول : بأن تعاطي الحقن بأنواعها سواء أكانت في الوريد أو العضل ، وسواء أكانت للعلاج او التقوية فهي لاتفطر الصائم . . لأنها لاتصل الى جوفه من المنفذ المعتاد) .

هذا التناقض في فتاوي العلماء اوقع الشباب المسلم في حيرة شديدة ، وربما دافع عن ذلك بعض القراء : بأن هذا الاختلاف واقع في مراجع الفقه الإسلامي بين الائمة والفقهاء القدامى .

وهذا صحيح . . ولكن الشباب وقراء المجلات والصحف الاسلامية التي تنشر الفتاوي اليوم ليسوا كلهم او معظمهم على مستوى من الفقه والاجتهاد بحيث يستطيعون الترجيح لفتوى على فتوى ، أو مذهب على مذهب .

ولذلك إبيح للعامة أن يتبعوا مذهباً واحداً من المذاهب الفقهية ، يلتزمون به في أداء عباداتهم ومعاملاتهم ، لئلا يتردَّدوا او يتذبذبوا بين مذهب ومذهب دون معرفة للراجح

والمرجوح ، أو يتبعوا الرخص من هذا المذهب وذاك !

ثم إن الشباب من الجنسيْن عندما يوجهّ مسائله ومشاكله الى العلماء . . إنما يريد إجابة حاسمة بالحِلّ أو الحُرمة ، وهو لايريد بحثا فقهياً عن اختلاف الأئمة السابقين حول ماسأل عنه ، كما أنه لاينتظر تناقضاً بين إجابة واجابة في قضيةٍ واحدة فالتناقض يسبِّب لَه إشكالا ويزيده حيرةً ، ولا يشفي له صدراً ، ولا يحل له مشكلة .

وإصلاح هذا الوضع – من وجهة نظري – إما ان يختار عالم واحد للاجابة على مسائل القراء . . ليلتزم منهجا واحداً – وإما أن تلاحظ المجلة أو الجريدة عدم نشر المسألة المتكرِّرة في قضية واحدة ، والإجابة عليها بماينافض إجابة سابقة في الموضوع نفسه .

الفصل الثاني
قضايا الشباب الإجتماعية

. الهمُّ الأول للشباب ؟

من حق الشباب العربي - والاسلامي بصفة عامة - ان يكون همه الأول والاثقل هو البحث عن رفيقة الدرب ، وشريكة الحياة ، وصديقة العمر ، ومحطة الآمال والآلام ، وموطن السكنية النفسية والجنسية - الا وهى : الزوجة الصالحة . . التى اذا نظر اليها سرته ، واذا تألم واسته ، واذا غاب عنها اشتاق إليها واشتاقت اليه ، واذا حطت عليه هموم الدنيا حملت عنه بعضها او كلها . .

وقد أثارت كلماتي عن الشباب وشكواه من العقبات التى توضع في سبيل تحقيق أمله ، وكشف همه ، ورفع غمه ، وايناس وحدته - اثارت شجون كثير من الشباب ، واشرت الى بعضهم في كلمة سابقة . وحدثني هاتفياً واحد منهم ليسألني عن الدكتور (م ، ب ، س) الذي ذكرت اقتراحه في احدى كلماتي لحل مشكلة الزواج التي يعاني منها الشباب . . وهو التزوج من البريطانيات المسلمات اللاتي اصبحن بعد اسلامهن وحيدات غريبات بين أهلهن ، بسبب إسلامهن - سألني هذا الأخ السوداني ليتصل به ، ويسأله كيف يمكنه الحصول على إحداهن من اجل الزواج بها على سنة الله ورسوله ﷺ ؟ ولا ادري ماذا فعل الاخ السوداني بعدذلك .

وها هو أخ سعودي يكتب إلى رسالة مطولة يعقب فيها

على المسألة نفسها - ويرى ان اقتراح الدكتور (م، ب، س) مهم ووجيه ومحقق للتخفيف من هموم الشباب الذي يقف عاجزاً او حائراً أمام العقبات التي يضعها الآباء والأمهات في طريق تزويج بناتهم . . بل البنات انفسهن يضعن بعض هذه العقبات عندما يعتذرون بالرغبة في اتمام دراستهن الجامعية .

ويضيف الأخ السعودي (على محمد المغربي) - من جدة - في رسالته انه شاب في الثامنة والعشرين من عمره ، وهو موظف ومنتسب في جامعة الملك عبد العزيز ، ومحافظ على شعائر دينه بعون الله وتوفيقه .

وقد أراد ان يتزوج قبل بضع سنين ، واستعد بكل مايلزم للزواج في حدود المعقول - ومع ذلك قوبل بالرفض من قبل اولياء امر الفتاة بحجة رغبتها في اتمام دراستها - ومن هؤلاء الاولياء من اصر على اقامة حفلات الفرح بمظاهرها المفرقة المخالفة لمبادىء مجتمعنا الاسلامي . .

ولذلك فهو يؤيد الزواج من الفتيات البريطانيات المسلمات ، لان الزواج منهن ميسر دون تكاليف مادية ومعنوية - من جهة - ومن جهة اخرى من أجل مساعدتهن على الاستمرار في اسلامهن دون انحراف او اضطرار للعودة الى النصرانية بسبب مقاطعة اهلهن لهن .

ويقترح لذلك ان يقوم مكتب رابطة العالم الاسلامي في لندن - بتيسير الاتصال بين الشباب وبين هؤلاء الفتيات

المسلمات البريطانيات من اجل الزواج الحلال بأسلوبه الشرعي المعروف .

وهو يشير هنا الى ان هذا العمل الصالح من قبل مكتب الرابطة سيكون من شأنه حسن الاختيار لفتيات مسلمات بريطانيات من اجل تزويجهن بشباب عربي – لأن كثيراً من هؤلاء الشباب يتزوجون فعلاً بامريكيات وانجليزيات يسلمن صورياً لا عن اقتناع منهن بالاسلام ، ثم تقوم بينهن وبين الازواج – من الطلاب – او غيرهم – مشكلات وازمات وقضايا ، تنتهي بعودتهن مع أولادهن الى بلادهن ، او يظللن مع أزواجهن من الشباب العربي المسلم دون إسلام صحيح . . وفي هذا خطر على الأولاد – دون شك – من حيث تربيتهم على عقيدة غير اسلامية وأخلاق مثل ذلك .

وهكذا يتأكد لنا – كما أسلفت – ان همَّ الشباب الأول والأثقل هو : (الزواج) وان الشباب يتلمسُّ بل يتكففُ من اجل العثور على سكن نفسه ، وراحة باله ، ورفقة دربه في زوجة صالحة . .

فحذار أيها الآباء او الامهات – والبنات ايضاً – من خسارة كبرى ستنزل بكم إذا لم تحسنوا استقبال زبائنكم من الشباب .

هوامش حول الهمّ الأول للشباب

نشرت جريدة (المدينة) يوم ١١/٣/١٤٠٨هـ – استفتاء «سائلة» من دولة الامارات العربية تقول فيه : (اريد ان استشير فضيلتكم في امر يخصني انا وسائر اخواتي البنات – الا وهو انه كتب علينا ان نظل بلا أزواج ! وقد تخطينا سن الزواج واقتربنا من سن اليأس . . وقد حصلنا على شهادات جامعية ، ولكن الناحية المادية هى التي لاتشجع احداً ان يتقدم الى الزواج منا . فان ظروف الزواج في بلادنا تقوم على المشاركة بين الزوجين باعتبار مايكون في المستقبل – أرجو نصيحتي وتوجيهي انا وأخواتي . .) !

نشرت هذه الرسالة في باب (فتاوي) وأجاب عليها فضيلة الشيخ صالح بن محمد العثيمين بنصيحة وجهها الى الفتاة السائلة : أن تلجأ هي وأخوتها الى الله عز وجل بالدعاء والتضرع إليه بأن يهيىء لهن من يرضى دينه وخُلقه . . . فلاشيء أقوى من اللجوء الى الله بدعائه والتضرع اليه وانتظار الفرج منه ، وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال : (واعلم ان النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً) ثم دعا فضيلته ان ييسر الله لهن الامر ، وان يهيىء لهن الرجال الصالحين .

وقد علق أحد القراء – في رسالة خاصة إلى على رسالة الأخوات الفاضلات اللاتي سألن النصيحة من العالم الجليل –

بقوله : هذه حجة أخرى لكم على ماكتبتموه - وكررتم الكتابة حوله من ان الهم الأول للشباب من الجنسين هو «الزواج» وماطلبتم به وكررتم المطالبة من تيسير الآباء والامهات سُبُل الزواج لبناتهم لئلا يفوتهم قطار الزواج - على حد تعبيركم - وكذلك ما اعترضتم به على البنات أنفسهن من رفضهن الخطاب بدعوى إتمام الدراسة الجامعية ، فإذا اتممن الدراسة الجامعية يكنَّ قد كبرن سناً ، واحجم عن خطبتهن الشباب الخ .

هذا هامش واحد - على القضية - اما الهامش الثاني فهو حديث هاتفي تحدث خلاله اخ من الرياض - ذكر اسمه ولكنه طلب مني الا أذكره - عن ظاهرة عنصرية طبقية تفشو بين بعض القبائل ، وتمنع الزواج عن شاب من هذه القبيلة بفتاة من الأخرى - ثم يشكو مأساته فيقول : إنه (خضيري) ويريد الزواج من فتاة (قبيليه) ولكن أباه يعارضه في ذلك ويمنعه منه . . وهي ظاهرة غير إسلامية فالناس سواء الخضيري والقبيلي ، والعربي والعجمي ، والابيض والأسود ، واكرم الناس عند الله اتقاهم - فلماذا تستمر هذه الظاهرة في المجتمع ، وتمتنع القبيلتان من التراحم والتزاوج والتعاون على حل مشكلة الشباب ؟ .

اما الهامش الثالث - فهو تعليقي على كلمة قارئة فاضلة منشورة ببريد «الشرق الاوسط» يوم ١٤٠٨/٣/١٩ - ١٩٨٧/١١/١٠ تحت عنوان : (ماكل زيجة من سعودية

واقعها المصلحة) – فأنا لم أقل إن كل زواج بين سعودية وغير سعودي دافعه المصلحة ، وانما ذكرت في سياق كلامي عن تأخر الفتيات السعوديات عن الزواج : اضطرارهن الى الزواج من غير السعوديين – كما ذكرت في كلمة أخرى مثلاً زواجاً تمَّ بين طبيبة سعودية وطبيب غير سعودي ، وثبت استغلاله لها وتهديده إياها بالطلاق وسحب اولاده منها معه ، وعودته الى بلاده . وقلت : إن زواج غير السعوديين بالسعوديات اللاتي تأخر بهن قطار الزواج قد يكون لمصلحة الإقامة وتيسير العمل والاستثمار باسمها .

واذا كان هناك سعوديات سعيدات بزواجهن من غير السعوديين . . فهذا ما نتمناه من صميم قلوبنا ، ونسأل الله صادقين أن يديم عليهم وعليهن نعمة الوفاق .

هل يصوم الشباب العصر كله ؟

احد طلابي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عندما كنت اقوم بتدريس مادة الثقافة فيها قال لي في ختام المحاضرة ، وانا استعد لمغادرة القاعة : «الى متى يااستاذنا ترددون على اسماعنا صباح مساء – عبر الاذاعة والصحافة والتلفاز – الحديث النبوي : (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر وأحض للفرج – فمن لم يستطع

فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء)[1] الآباء والامهات الذين يفرضون على خطاب بناتهم تكاليف لايطيقونها - من علاج او حل لديكم الا الصوم؟ فكرّوا لنا من فضلكم في مخرج غير الصيام ! !

- وضحكت كثيرا لمقالة الطالب ولكنه ضحك كالبكاء - كما يقول المتنبي - لأنه صادق في مقاله ، وصادق في انفعاله ، وصادق في مطالبته بحل عملي عاجل لمشكلة الزواج . . الذي هو شِفَاءٌ لصدور الشباب من الجنسين ، وهو الأمان لأخلاقهم من الانحراف الى الفسوق والعصيان .

وقلت للطالب - وبعض رفاقه يسمعون معه - لقد كتبنا حتى فترت أقلامنا ، وتحدثنا في الأندية حتى مللنا وأمللنا . عن خطأ الآباء والامهات الذين يضعون في طريق الزواج العقبات من ثقل النفقات ، ومظاهر الاحتفالات ، والتغالي بالمهور ، وهدايا الخطبة والعقد والزفاف ، وشروط السكن المنفرد البعيد عن أهل الخطيب ، وإيجاد الخادمة والطاهية والسيارة الخ .

والأهم والأخطر من شكوى الشباب الذكور لطول الامد على تعسر هذه الأزمة - أحوال الشباب من الاناث التى تخفي على الآباء ولاتخفي على الأمهات !

---

(١) رواه البخاري .

ولا أريد أن أعرض الأسرار والأخبار الأسرية – لئلا أخرج عن نطاق موضوعي الذي أريد أن أدير الحديث حوله . .

وقد طرحت ، منذ عشر سنوات تقريباً – حلاً لهذه الأزمة قبل اشتدادها كما هي اليوم ، وهو ان يقبل ولي أمر الفتاة من الخاطب صداقا في حدود الفي ريال ، ونزيده اليوم الى عشرة الآف ريال – ويترك له تجهيز السكن حسب مقدرته ، ولابأس ان تسكن الزوجة مبدئياً مع أهله حتى يتمكن من إعداد مسكن خاص منفرد ، ولاتشترط الأم او المخطوبة سَكَناً خاصاً ، ولاجهازاً معيَّناً – تماماً كما كنا نفعل نحن إي كنا نتزوج ونسكن مع أهلنا وقليلاً قليلا نتوسَّع في سكننا وتأثيث غرفنا ، وتلبية رغبات زوجاتنا .

كذلك يجب على الآباء والأمهات الا يغالون في حفلات الخطبة والعقد والزفاف والهدايا والعربات المزودة بالعطور ومواد الزينة ، وعلب الحلوى ، ومآدب الرجال ومآدب النساء ، وقصور الأفراح التي تستأجر بأجور غالية .

كل ذلك يجب أن يخفف أو يلغي . . فالمهم ان نحقق لشبابنا من الجنسين الحياة الزوجية السعيدة ، والسكن النفسي والعاطفي والجسدي ، واستقامة الحياة العملية بالنسبة للزوج لكي يحمل مسؤولية البيت والزوجة والولد .

وإن ادري أيستجيب الآباء والامهات ؟ ام يظلون صما بكما عميا الى الابد ؟ .

اعلانات الزواج وحاجة الشباب اليها . .

قدمت جريدة «المسلمون» في عددها الصادر يوم ١/٨/١٤٠٨هـ - ٢٣/١٠/١٩٨٧ تحقيقا صحفيا تحت عنوان «اريد عريساً» وكان موضوعه اعلانات الزواج التي تنشرها بعض المجلات والصحف العربية ، ويطلب فيها الشباب الذكور زوجات ، والشباب الاناث ازواجا ، ويذكر كل من الجنسين صفاته الخَلْقية والخُلُقية ، ومقدرته المالية ، ونوعية الجنس الآخر الذي يريده شريكاً لحياته ، ورفيقاً لدربه ، ومؤنساً لوحدته !

وانتهى التحقيق الى ان اعلانات الزواج تقليعة غربية لاتصلح للمجتمعات الاسلامية ، وقالت بعض الفتيات المسؤولات : إنها تفضل ان تظل طوال عمرها بدون زوج على ان تعلن. عن رغبتها في الزواج - كما كان رأي الدكتورة زينب رضوان : أن الاعلان لايليق بمكانة المرأة التي يجب ان تطلب للزواج لا ان تطلبه هي بإعلان عن نفسها - وقال الدكتور جمال الدين محمود : إن لهذه العملية - اي الاعلانات عن طلب زوج او زوجة - له مخاطره من حيث احتمال استغلال هذه الإعلانات لتحقيق أغراض اخرى . .

ولكن الدكتورة سعاد ابراهيم صالح ترى رأياً آخر . . وهو أن الفتاة التى تعلن عن رغبتها في الزواج إنما تحاول أن

تصون نفسها من الوقوع في الحرام فهي تريد إطفاء شهوتها بالحلال . واذن فإعلانات الزواج إنما هى وسيلة للعفاف ، وبخاصة اذا لاحظنا عزوف الرجال عن الزواج بسبب كثرة تكاليفه مما يدفع بعض النساء الى إغراء الرجال بأنهن مكتسبات اي عاملات أو لهن بعض الأملاك او المرتبات» .

اما الدكتورة محاسن على حسن – استاذة الطب النفسي – فهي تبرر لجوء الفتيات الى الاعلان عن رغبتهن في الزواج بالضرورة ، ويكون الزواج بهذه الطريقة زواج مصلحة ترجح فيه كلمة العقل على العاطفة ، والمرأة لاتلجأ الى هذا الاسلوب – وقد جبلت على الحياة فطرياً – الا اذا كانت كافة الابواب قد أغلقت في وجهها ، فالثابت نفسياً أنه حتى المرأة التعسة في حياتها الزوجية ترى ان الزواج أكرم لها من العزوبية او العنوسة» .

- لقد اندفعت الى التعليق على التحقيق عن اعلانات الزواج – لان بريدي الأخير الذي بعثه الى مكتب «الشرق الاوسط» في جدة – حمل الي رسائل متعددة من بعض الشباب العربي – ومنهم السعودي – وكلها تفيض رغبة وعاطفة وتعلقاً بالزواج بالفتيات البريطانيات المسلمات اللاتي كتبت عنهن في بعض كلماتي السابقة ، وبعضهم يطلب مني ان ادله على عنوان فتاة حائل (ل . س . ش) التى نشرت رسالتها تحت عنوان (اريد زوجاً فقط) ، وآخرون يعرضون حرارة أشواقهم الى الزواج ، ويشكون انغلاق السبل أمامهم

ويريدون أن أتحول إلى «خاطبة» أدلهم على الأسر أو البيوت التي تيسر الزواج لهم من بناتهم . .

وأنا اعتذر لهم جميعاً بأني لا أملك لهم من الأمر شيئاً ، وليس في استطاعتي ان اتحوَّل الى «خاطبة» أبحث لهم عن أسر وبيوت تيسر أمر الزواج من بناتها . ولكني استطيع ان اتحدث عن أمرين : (اولهما) : ان يخطب الآباء والأمهات لبناتهم الشباب الصالح الذي يرونه لائقاً ومناسباً لبناتهم ، وإن كان من الناحية المالية متوسط الحال او فقيراً ، فقد وعد الله المتزوجين - اي المقبلين على الزواج - بان يغنيهم من فضله : ﴿**ان يكونوا فقراء يغْنِهم الله من فضله**﴾[2] - و (الثاني) : ان يفتح باب جديد في «المسلمون» او «الشرق الاوسط» لإعلانات الزواج ويقوم محرره بدور الوسيط بين الخاطب والمخطوبة أو بين الخاطبة والمخطوب ، وسوف يؤتيه الله اجراً عظيما .

مشاهد العبرة من الاختلاط !

اعتقد ان القراء قد احسوا - مثلي - خلال قراءتهم لما أطرحه من مشكلات الشباب . . مدى اهتمامهم بقضية

---

(٢) سورة النور/٣٢ .

الزواج ، وانشغالهم بمايلقي في طريقهم اليه من عقبات وعوائق وحرصهم الشديد على ان تيسر سبل الزواج امام الشباب من الجنسين - لانه (اولا) حق طبيعي لهم و (ثانيا) من شأنه : ان يهديء بالهم ، ويصلح حالهم و (ثالثا) يمنعهم من الاضطرار الى الانحراف الخلقي ومايتبعه من آثار سيئة في المجتمع .

- وهذا احدهم يقول في رسالته : (لماذا لايحاول الاستاذ احمد . . وبعض علماء الدين والفقهاء القاء المحاضرات واقامة الندوات . . لحث النساء على التستر والحجاب ، فقد بدات تشتد ظاهرة السفور في الشوارع والاسواق بصورة رهيبة وبخاصة النساء الاجنبيات اللاتي اتخذهن النساء العربيات قدوة سيئة لهن ، بل جعلن منهن ستاراً يتسترن به فلانعرف العربية من الاجنبية كما يخيل اليهن او يتوّهمن ذلك ؟ إنني أدعوكم وأدعو كافة العلماء الى تدارك الأمر قبل استفحاله . . وعندئذ يصعب علاجه ومنع أخطاره) .

اقول للاخ الطالب : لم اكف - ومعي آخرون كثيرون - عن الكتابة في الصحب والمجلات ولا عن الحديث في الندوات وخلال المحاضرات حول هذه الظاهرة النسائية التي تشكو منها وتخشى ازدياد انتشارها وسوء اثارها .

ونحن - كما ترى - نواجه تيارا مضاداً لدعوتنا ، ومشجعا لظاهرة السفور والاختلاط بين النساء والرجال في الاعمال والوظائف الحكومية والاهلية . باسم المساواة بين

الجنسين وبدعوى ان الطاقات النسائية العلمية والجسدية والعقلية معطلة . . ويجب تحريكها وتشغيلها عن طريق العمل المختلط !

على الرغم من قيام (العبرة) الرادعة و (الموعظة) الوازعة فيما يعرضه التلفاز ليليا عبر القصص الممثلة التى تصور احداثا ووقائع لمجتمعات سبقتنا الى سفور المرأة واختلاطها بالرجال الاجانب في مجالات التعليم والتوظيف ، وتؤكد هذه الاحداث والوقائع مانبهنا اليه من اخطار (الاختلاط) بين الجنسين .

ان كل قصة يعرضها التلفاز - مصرية كانت ام اردنية ام سورية ام كويتية - تقدم لنا موقفا لشاب اختلط بفتاة في بيته او بيتها او في مقر عملهما او في مدرستهما او جامعتهما . . فيعجب بها ويقع في حبها ، وتكون مخطوبة لغيره ويكون هو قد سبق لاسرته ان خطبت له ابنة عمه او ابنة خاله . . ويتعلق قلبه بهذه . . بينما قلبها هى متعلق بغيره ، فيقع الصراع والصدام بينه وبين اهله . . ويظل شهورا يعاني من الهموم والوساوس ويؤثر ذلك على دراسته ان كان طالبا ، ويشوش على عمله ان كان موظفا ! !

ويحدث (العكس) في قصة اخرى اذ الفتاة تعجب بالفتى ، وهو لايفكر فيها ولايهتم بها ، لانه خاطب لغيرها . فترفض هى خطيبها لانها لاتحبه ، وانما تحب هذا الفتى الذي هو في واقعه مصروف عنها الى غيرها ! !

وهكذا لاتخلو القصص الممثلة في التلفاز من امثال هذه المشكلات بين الفتيان والفتيات من جانب ، وبين اسرهم واسرهن من جانب اخر . .

- والسبب الوحيد الاكيد : هو الاختلاط بين الجنسين في المدرسة او الجامعة او العمل ، او الالتقاء في متجر او معرض او متنزه ، وارتفاع حاجز الحياء والجرأة في المحادثة بينهما . . فيحدث مالابد من حدوثه :

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء ! !

ولو لم يكن هذا (الاختلاط) المحرم شرعا وطبعا . . لكان اختيار كل من الفتى والفتاة لشريك حياته عن طريق اهله ومع رعاية حقه في الموافقة والقبول ، او الاعتراض والرفض ، فقد أنصفهما الاسلام بهذا الحق في الاختيار الحر مع مشاورة الاهل ومصلحتهم في الوقت نفسه ، فانهم لايريدون - غالبا - بابنائهم وبناتهم الاخير .

ونقول «المشاورة - والمناصحة» لأن بينهما وبين الارغام والاجبار فرقاً فارقاً ، .وبعداً ساحقاً . . اذ لانجيز ان يرغم اب - او اي ولي اخر - ابنه او ابنته على الزواج ممن لايرضيان عنه او يقبلان به .

ونعود الى بداية المسألة . . وهى ظاهرة السفور والاختلاط بين الرجال والنساء - في اي مجال تعليمي او وظيفي او في الشوارع والاسواق - فنقول : انها ظاهرة خطيرة لها مابعدها من عواقب ذميمة وخيمة وهذه قصص

السابقين بين اعينكم تر ونها كل يوم - ليلاً ونهارا - فيما يعرضه عليكم التلفاز ، والسعيد من اتعظ بغيره .

هذه مسؤولية الآباء والأزواج

قرأت خلال الاسبوع الماضي في إحدى صحفنا المحلية عرضا لظاهرة اخلاقية جديدة في مجتمعنا تتمثل في معاكسات بعض الفتيان للفتيات خلال وقوف السيارات التي تحمل الفريقين عند إشارات المرور ، وذلك بقدف الفتيان أوراقاً صغيرة تحمل ارقام هواتفهم ، من نوافذ سياراتهم الى نوافذ السيارات التى تقل الفتيات .

وهي ظاهرة - لاشك - تدل على سوء أخلاق هؤلاء الفتيان ، وقلة أدبهم . . وعلينا أن نبحث في أسباب هذه الظاهرة لإمكان معالجتها والقضاء عليها قبل استفحالها وانتشارها .

من وجهة نظري أرى أن الفتيات أنفسهن هن اللاتي أغرين الفتيان بمعاكستهن بهذا الأسلوب الجديد الذي هو دعوة لهن للاتصال بهم عن طريق الهاتف .

أجل هن اللاتي أغرين الفتيان وشجعنهم على الإقدام على هذا الاسلوب القذر الذي ينم عن ارتفاع الحياء والمروءة من نفوسهن ، وذلك لانهن يكشفن وجوههن خلال ركوبهن

السيارات ويلتفتن يميناً ويساراً ، وينظرون إلى ركاب السيارات المجاورة لسياراتهن .

وقد تعود رجالنا - مع الأسف الشديد - منذ سنوات عديدة خلت أن يُركْبوا زوجاتهم إلى جانبهم في المقعد الامامي وهن سافرات الوجه باديات الفتنة ويتبادلن معهم الحديث والضحك وربما الطعام السريع (الساندويتش) ايضاً .

إن سفور النساء اللاتي يركبن مع أزواجهن في مقر القيادة أو يركبن في المقاعد الخلفية اذا كان قائد السيارة اجنبياً هو السبب في إغراء الفتيان بمعاكسة الفتيات . . لانه يُطْمِعُ الفتيان فيهن ، ولان المرأة العفيفة الشريفة تستر جسدها ووجهها عن الاجانب سواءً أكانت ماشيةً أو راكبة .

وقد حذّرنا المنهج التربوي القرآني من هذه الإغراء النسوي للرجال ، فأمر النساء الا يُرققن الكلام عندما يتحدثن إلى الرجال الاجانب ، كما أمرهن ان يدنين جلابيبهن على وجوههن ونحورهن ، وعلل ذلك بأنه يمنع من طمع الرجال فيهن - يقول عز وجل : **﴿ولاتخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلن قولاً معروفا﴾**[٣] ويقول تبارك وتعالى : **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما﴾**[٤] .

---

(٣) سورة الاحزاب/٣٢ (٤) الاحزاب/٩ .

. فليتنبه الآباء والأزواج إلى واجبهن في صيانة نسائهن من أعين الخبثاء من الرجال – من شباب وشيوخ – ولتتق النساء ربهن فتتأدبن بادب الاسلام عفافا وحياء وحجابا .

والفتيات مسؤولات أيضاً

تلقيت رسالة من القارئة (ن ، أ ، م) تقول فيها :
«لايطيب لي العيش وانا أرى الشباب وقد تهدل شعره كالمرأة ، وضيق بنطلونه ، وأشعل سيجارته ، وأخذ يبحث في الشوارع عن فتاة يلاحقها . . تاركا كتبه ودروسه . . ومن الخير له ان يدع التخنث والميوعه ، وان يتحلى بالأخلاق الكريمة ، ويتسلح بالعلم فبغير العلم والاخلاق يستحيل أن نرفع أوطاننا» .

ثم تقول : «كل يوم نسمع من أفواه الخطباء كلمات يلقون بها من على المنابر . . حول انشاء جيل صالح قوي ، وفي ذات الوقت يسري السم البطيء في أحشاء هذا الجيل من جراء تلقفه لبعض المجلات الفنية ، ومن دخوله للسينما التي تقدم افلام الاجرام التي تبث سمومها في افكار هذا الجيل الناشيء فيتعلم منها الاجرام والخلاعة ، وتنسيه المبادىء والتقاليد الاسلامية» .

ثم تسأل : أي قوة في الشباب ؟ والسجائر تؤذيه والسينما

وشاشات التليفزيون تفسد عليه دينه واخلاقه ويعيش هزيلا يشكو الالام والامراض او مجرما ؟ .

ثم تصرخ : أيها المنادون بأنشاء جيل صالح مزيدا من الرقابة على الصحف والسينما حفظا على مستقبل هذا الجيل .

ومن حق الأخت الكريمة أن نشكرها على رسالتها الناقدة لسلوك الشباب وانحرافه عن الصراط المستقيم .

ولكن من واجبها اولا وقبل أن توجّه هذا النقد اللاذع الى الشباب من الفتيان ان تتجه بلومها الشديد الى الجنس الآخر . الى الفتيات المنحرفات اللاتي يشكلن سببا رئيسيا من أسباب انحراف الفتيان .

فهن بسلوكهن المنحرف يغرين الفتيان بالانحراف وبالركض خلفهن وبطلب اعجابهن بهم ، ولذلك فهن لسن اقل مسؤولية منهم عن الانحراف العام للشباب .

إن منهج التربية الاسلامي يشمل بالتوجيه والتنبيه للجنسين من الشباب ولنتأمل الزاجر التربوي في المدرسة النبوية الذي ينادي (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) والزاجر الآخر من المدرسة نفسها الذي يكرر النداء ذاته : (لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، ولعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل) .

ألسنا نجد التوجيه والتنبيه يعمان الفتى والفتاة ويشملان الذكر والانثى معا ؟ ويؤيد (الواقع) هنا الشمول والعموم لان

الى جانب الشبان المنحرفين شابات منحرفات .

السنا نرى – في مجتمعاتنا العربية – فتيات يلبسن لبسة الفتيان فيرتدين البنطلونات والقمصان ، ويقصرن شعورهن ، ويتشبهن بهم في حركاتهم وغشيان مجالسهم ومنتدياتهم وأسواقهم ، ويتصدين لهم في كل طريق بل أدهى من ذلك وأمر . . أصبحت الفتيات اكثر جرأة من الفتيان حيث يبدأن هن المعاكسات الهاتفية والكتابية للفتيان ؟ .

اذن فلماذا لاتتوجه الاخت الكريمة بلومها وتثريبها الى بنات جنسها المنحرفات عن الطريق القويم ، اللاتي يتشبهن بالفتيان ويلبسن لبستهم ، ويتكلمن لغتهم ، ويبدأن معاكستهم ؟ .

ان المنهج التربوي الاسلامي يقول لهن : **﴿وقرن في بيوتكن ، ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى﴾**[٥] وهن يتسكعن في الطرقات والأسواق كاسيات عارايات مائلات مميلات مبديات مفاتن اجسادهن لأعين الفتيان ولقلوبهم في وقت واحد .

والمنهج نفسه يقول لهن : **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾**[٦] وهن يرققن اصواتهن ويتعرضن بالكلام اللين للشباب في الهواتف وللرسائل وحين يساومن على مايشترين من سلع وحاجات .

---

(٥) الأحزاب آية ٣٣ .

(٦) الأحزاب آية ٣٢ .

والمنهج ذاته يحذرهن من الخروج وهن متعطرات : (أيما امرأة تعطرت في بيتها ثم خرجت ليجد الناس ريحها فهى زانية - وفي رواية - حرام عليها رائحة الجنة) . وهن يخطرن خلال الاسواق والطرقات تفوح من ارادنهن اطيب العطور . . تجذب القلوب قبل الأنوف .

فلماذا لاتتوجه الاخت الناقدة لسلوك الفتيان المنحرفين - الى الفتيات المنحرفات فتعظهن وتنقد سلوكهن الخاطىء وتحذرهن من لعنة الله ورسوله التى وجهت عليهن لانهن يتشبهن بالفتيان هيئة ولبسة وسلوكا ؟ .

كيف يسمى المسلمون : ابناءهم وبناتهم ؟

في التوجيه النبوي الرشيد : «**احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها الحارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة**»[7] .

وفي السيرة النبوية العملية : ان الرسول ﷺ بدل اسماء بعض أصحابه الكريهة الى اسماء حبيبة .

وقد كان العرب في الجاهلية يختارون اكره الأسماء لابنائهم ، وأحسنها لمواليهم ، وكانوا يحتجون لذلك بانهم

(٧) رواه مسلم

يسمون اولادهم هذه الاسماء الكريهة من اجل اعدائهم ، ويسمون مواليهم بالاسماء الحسنة من اجل انفسهم .

وفعلا راينا اسماء الابناء : حربا ومرة ومناعا ووحشا وثعلبة وكلابا الخ ورابنا اسماء الموالي : سعيدا وسرورا وفرجا وبشرى وحليمة الخ .

ولاشك ان التنبية النبوي احق بالاتباع لان اسماء الأبناء والبنات تتردد كل يوم على اسماء الآباء والابناء ، والرفاق في الدراسة والعمل . . كما ان الانسان بطبيعته يحب التفاؤل بما يسمع من نداء بالاسم الطيب والاسم الذي يحمل معنى يبشر بالخير ، او يدعو الى انتظار الفرج .

كما ان هناك تنبيهاً نبوياً آخر بالنسبة للآخرة في حديث الرسول ﷺ اذ يقول : **«إنكم تدعون يوم القيامة باسمائكم . . فاحسنوا اسماء اولادكم»**[٨] .

وقد لاحظت على بعض طلابي – في الجامعتين – انهم يتسمون باسماء غير حسنة ، وعجبت لابائهم كيف يختارون لابنائهم – فلذات اكبادهم – هذه الاسماء المفزعة وكيف استساغوا النداء المتكرر بها في بيوتهم ، ثم كيف يرضون لأبنائهم ان ينادينهم زملاؤهم في المدرسة او المكتب بهذه الاسماء غير المحببة الى النفس والى السمع بل انها تثير الضحك والسخرية احيانا ؟ .

---

(٨) رواه ابو داود .

ولم اكن اتصور ابا يختار لابنه اسم «حنش» وقد وجدته بين اسماء طلابي في عام دراسي سابق ، فنصحت الطالب ان يغير اسمه باسم اخر من الاسماء المحببة الى النفوس والى اسماع الناس .

ومما أثار الضحك والسخرية : أن أحد زملائه في الفصل همس في أذني – وربما همس أيضا في آذان رفاقه – ان حنش هذا بنبغي له إذا عزم على الزواج ان يتزوج «حيَّة» ! !

ولأدرى هل استجاب الطالب لدعوتي الى تغيير اسمه ام لم يستجب وان كنت الح عليه في ذلك لمصلحته مستقبلاً عندما يبدأ حياته العملية .

وبهذه المناسبة . . نقول : حبذا لو أن الاسر الاسلامية التي تختار لابنائها وبناتها اسماء اجنبية لاتحمل اي معنى يمكن التفاؤل به عند ذكره او النداء به – حبذا لو عادت الى التوجيه الاسلامي الكريم باختيار الاسماء الحسنة المحببة الى النفوس والاسماع .



الفصل الثالث
قضايا الشباب الثقافية

ازمة شباب وليست ازمة كتاب

خلال الندوة التي عقدتها جامعة (أم القرى) وتحدث فيها الاساتذة الفضلاء : عبد العزيز الرفاعي ، وعبد الوهاب ابو سليمان ، ومحمد سعيد طيب - مساء ١٤/صفر ١٤٠٣هـ - عن أزمة الكتاب السعودي وقلة التوزيع ، وارتفاع الاسعار - كان لي شرف المساهمة مع المتحدثين الاجلاء بتعقيب وجيز .

ومما قلته - في الندوة :

لقد حضرنا هنا لنتحدث عن واقع (الشباب) فاذا بالإخوة المتحاورين يتحدثون عن موضوع الكتاب وعلاقته بين الناشر والمؤلف والقارىء .

إن واقع شبابنا أنه عازف وصادف عن (القراءة) ونعنى بالقراءة : (الثقافة) بمفهومها العصري ، اي الاطلاع على كل مايهم الإنسان المعاصر من معارف وتجارب في مختلف المجالات والموضوعات ، وعلى المستوى المحلي والعالمي .

وهذا الواقع ، واقع شبابنا ، مؤسف جدا ، لأنه يعيش في ظروف مسعدة له ، ومهيئة كل مايحتاج إليه من كتب ومجلات وصحف واذاعات وتلفاز أيضا !

نحن في جيلنا الغابر - لم تتح لنا هذه الفرص الثقافية المتعددة كما أتيحت للجيل الحاضر من الشباب ، فقد

تعددت اليوم المدارس والجامعات المتنوعة ، وتعددت معها وبها مجالات العلم والثقافة بصورة إلزامية ، وبأخرى اختيارية ، ونعني بالإلزامية المراحل الدراسية ، وبالاختيارية الندوات والمحاضرات خلال المواسم واللجان الثقافية المنبثقة عن الجامعات والمدارس . . بالاضافة الى الرحلات والزيارات التي تتيحها الجامعات لطلابها عبر البلاد والجامعات الاخرى . .

اما جيلنا الغابر . . فلم يتح له شيء من ذلك . . ماعدى الدراسة الالزامية الى المستوى الثانوي – ولكننا كنا نحرص على (القراءة) من اجل التعلم الذاتي كما نحرص على الطعام والشراب ، ونعدها ضرورية لحياتنا كضرورة المأكل والمشرب تماماً .

وكنا نتلقف الكتب والصحف والمجلات التى ترد إلينا من خارج المملكة – ومعظمها صادر من مصر – ونقرأها على ضوء (الفوانيس) الخافتة ليلاً إذ لم تكن لدينا بعد كهرباء مضيئة ومريحة . . كما هي اليوم .

ولم تكن عندنا دور للنشر والتوزيع كما هى اليوم . تغرق الاسواق بالكتب النافعة لمؤلفين سعوديين وغير سعوديين . . فهذه المكتبة الصغيرة ودار الرفاعي ، ودار تهامة ، ودار الشروق ، ودار مروة ودار العلم . . ومؤسسات الطباعة والنشر الاخرى التي تتبع بعض المؤسسات الصحفية ، وغيرها مما لاتحضرنا اسماؤها الآن ، وهذه

مطابع الجامعات في مكة والرياض وجدة . . تنشر ابحاثاً ودراسات قيمة نافعة . .

- إن بعض المتحدثين في الندوة يرد سبب عزوف الشباب عن القراءة طلبا للثقافة العامة . . إلى البيت وإلى المدرسة أو الجامعة – وأرى أن هذه المؤسسات الاجتماعية والدراسية ليست- هى المسؤولة بالدرجة الاولى عن ازمة (القارىء) السعودي ، وإنما المسؤول الحقيقي عن هذه الازمة الثقافية في رأينا هو تطور البيئة السعودية في مجال الاعلام من إذاعة وتلفاز وفيديو وأشرطة تسجيل .

إن معظم الشباب – مع الاسف الشديد – نجدهم مهتمين كثيراً باقتناء أشرطة الأفلام السينمائية الوافدة من الخارج ، وأشرطة الأغاني ايضاً . . مما لايسمح بعرضها أو إذاعتها في أجهزة إعلامنا – اي الممنوعات-وفي بيوتهم او مجالسهم الخاصة – يستعرضون هذه الأشرطة بواسطة (الفيديو) أو المسجل الإذاعي . . وحتى سياراتهم مليئة بالاشرطة الغنائية يستمعون اليها خلال سيرهم ذهاباً إلى مدرستهم أو جامعتهم أو مقر عملهم ، وخلال عودتهم الى بيوتهم .

فالازمة إذاً ازمة «تطور البيئة» . . أزمة تيارات داخلية وخارجية : إذاعة وتلفاز وفيديو وأشرطة غناء وسينما . . اشتغل بها الشباب عن طلب (الثقافة) بطريق القراءة ، وعبر الندوات والمحاضرات التى تعقد في الجامعات نفسها وفي الأندية الأدبية ايضاً . . إذْ لانرى الا عدداً يسيراً جداً من

الشباب . . يحضر هذه الندوات والمحاضرات النافعة علمياً وثقافياً ، والضرورية لجعله مواطناً عارفاً بما يلزمه من معارف وتجارب وأخبار واكتشافات حديثة في مجال العلم أو التقنية .

ان مسألة (طلب المزيد من العلم ليست واردة في اذهان شبابنا ، حتى الذين نالوا شهادات الماجستير والدكتوراه . . اكتفوا بها ، واستغنوا عن الاستمرار في (التعلم الذاتي) ، وتتبع المعارف والتجارب الحديثة المتجددة مع تطور العصر ، وتقدم العقل البشري .

إن جيل ابنائنا يعيش في نعمة لم نعشها نحن . . نعمة الجامعات والمكتبات ودور النشر والندوات الفكرية والأدبية والعلمية – والجامعات . . كما أسلفت – إلى جانب دورها الدراسي تقدم الكتب ، وتقيم الندوات ، وتستقدم المحاضرين الأكاديميين من الخارج – ومع ذلك فالطلاب عازفون عن الاستزادة من الثقافة العامة ، مكتفون بالدراسة الإلزامية منتظرون للشهادة يحملونها اخيرا لتيسر لهم سبل الوظيفة والعمل والمعاش .

إنني كمدرس للثقافة الاسلامية في الجامعتين خلال عشرين عاما تقريبا . . استطيع ان اقول عن يقين تجربتي أن عشرة في المائة من الطلاب هم طلاب علم بحق و ٩٠٪ مجرد طلاب من أجل الحفظ المؤقت للمعارف ريثما يؤدون الاختبار النهائي ، ويحملون بعده الشهادة المؤهلة للعمل أو الوظيفة .

وبالنسبة للمجلات والصحف السعودية والعربية والاسلامية . . فالشباب لايقرأونها ، ولايعرفون أخبار بلادهم ، ولاأخبار العالم العربي والاسلامي ، ولا الأحداث العالمية الكبرى ، ولاماهي حقيقة السياسة الامريكية وحقيقة السياسة السوفياتية تجاه شعوبهم وأوطاهم العربية والاسلامية .

إنها إذن أزمة شباب لا أزمة كِتاب غالي الثمن ، أو غير مفهوم المعاني ، أو غير ميسر الأسلوب ، وليست أزمة فراغ ايضاً فالوقت متوفر لديهم ، وهم يقضونه في الاستماع الى الفيديو ومشاهدة معروضاته .

الاهتمام بكرة القدم

ماكتبه الاستاذ عيسى خليل - سكرتير تحرير الندوة - في العدد الصادر يوم ١٥/١٠/١٤٠٦ - ٢١/٦/١٩٨٦ عن المواسم الكروية المتتابعة التي سيطرت على اهتمامات الشباب من الجنسين ، كما سيطرت على سهرات المجتمع حتى اصبحت تمتد الى ماقبل الفجر بدقائق معدودات - صحيح وليس كما ظن أنه قد لايعجب الكثيرين . . بل إنه يعجب الكثيرين فعلاً . . وإن الكثيرين يطلبون بالتوازن في اهتمام المواطنين جميعاً شباباً وكهولاً ، رجالا نساء - كما طلب الاستاذ عيسى خليل تماماً .

ومما قاله الاستاذ عيسى . . أنه لابد من الحماس للفرق والأندية الرياضية في أي بلد عربي ، وهو أمر طبيعي جدا – ولكن ان تصرف أوقات الاجيال من الشباب أو معظمها في هذا المجال وحده فهو الضرر بعينه»..

وهذا مايقوله أغلبية المواطنين لما رأوا من انصراف أبنائهم وبناتهم – على كافة المستويات الدراسية من الابتدائي الى الجامعي – الى الاهتمام بما يعرضه التليفزيون السعودي ليلاً ونهاراً من مباريات كرة القدم في كل دوراتها السابقة واللاحقة ، وعلى المستوى المحلي والعالمي ! !

وقد شهدت بعيني أطفالاً في مستوى الدراسة الابتدائية يتابعون عرض المباريات ليلاً الى ماقبل الفجر بنصف ساعة . . ثم انصرفوا الى النوم بعد ذلك .

وهذا جانب واحد من القضية وهو الأهم لأنه يتعلق بشغل رجال المستقبل بكرة القدم ومبارياتها ودورياتها العالمية عن أمور أخرى حيوية وجادة – وهناك الجانب المهم . . جانب حقوق بقية المواطنين – وهم الأكثرية – في أن يستمتعوا بالبرامج المعتادة التى يقدمها التليفزيون عادة في السهرات الليلية . . فقد ألغيت هذه البرامج ، وحل عرض مباريات كرة القدم من المكسيك وطوكيو محلها ولاشك انهم ضاقوا زرعاً وصدراً ، لأنهم لا متنفس لهم الا هذه البرامج المعتادة بعد نشرة الاخبار التي تقدم في نحو العاشرة مساءً .

والسؤال المطروح : لماذا تلغى هذه البرامج ؟ مع أنه

من الممكن ان تبقى ليستمتع بها أغلبية المشاهدين والمشاهدات ، ويخصص وقت آخر لإذاعة التسجيلات الكروية خلاله ؟ .

أو لماذا لاتذاع مباريات الكرة على القناة الثانية . . لأن مشاهديها أقلية بالنسبة لأكثرية المواطنين السعوديين ؟

- أو لماذا لاتنشأ قناة ثالثة خاصة بكرة القدم ؟ ولاشك أن هذه القناة المقترحة ضرورية مادام الاهتمام أصبح غالبا — بالنسبة لدوريات كرة القدم محليا وعالميا — على سائر الاهتمامات الاخرى ؟

لقد اصبح الاهتمام بكرة القدم للطلاب والشباب من الجنسين هو الصارف لهم عن النشاطات الأخرى كالاندية الأدبية والجمعيات الخيرية النسائية — بل هو الصارف عن الجد في مذاكرة الدروس الواجبة خلال الفترات الدراسية على كافة المستويات .

اننا — كما يقول الاستاذ عيسى خليل — لانعارض ان نشارك في الاهتمام بكرة القدم ، وان تكون لنا فرق رياضية ناجحة — ولكن نرجو ان لايغلب هذا الاهتمام على بقية الاهتمامات الجادة الاخرى ، التى تقتضيها موجبات التطور الاجتماعي والثقافي والتربوي والاقتصادي ايضاً ، بل والإداري كذلك .

ولايعجب بعض القراء من قولي : «الاقتصادي» و «الإداري» فإن الشباب العامل في المجال الإداري والمجال

التجاري يتأثر كثيراً بهذا الاهتمام الكروي الغالب له على أمره – ضعفا وكسلاً وإهمالاً في أداء واجباته الإدارية والإقتصادية ، نتيجة للسهر والانتظار الطويل خلال الليل في مشاهدة مباريات الكرة .

وبعد . . فإني أدعو المسؤولين عن إعداد البرامج التليفزيونية :

أولاً : الا يستهينوا بحقوق الاغلبية من المواطنين في أن يستمتعوا ببرامجهم المعتادة بعد العاشرة مساءً .

ثانيا : ان يخصصوا قناة ثالثةً أو يأخذوا من وقت القناة الثانية – لإذاعة مباريات كرة القدم المحلية والعالمية ، وللاحتفالات الرسمية ايضا . . التى تلغي بسببها البرامج المعتادة أو تتأخر كثيراً مع أن هذه الاحتفالات الرسمية إنما تُهِمُّ جمهورها الخاص المحدود .

وشكراً لهم ان استجابوا .

ثقافة الشباب العربي

مما لاشك فيه ، ولايختلف فيه اثنان : ان شبابنا وبخاصة طلاب الجامعات لايطلبون العلم للعلم ، وانما يطلبون العلم لنيل الشهادة اولا ، وللوظيفة ثانيا . ولذلك فهم لايحاولون الاستزادة من الثقافة العربية والاسلامية والاجنبية خارج نطاقة الدراسة .

وبين يدي الآن رسالة يعقب بها الاخ (أ ، ب ، ب) على

بعض ماكتبت حول مأساة الشباب العربي التى تتمثل في انقطاعه عن الثقافة العامة – يقول الاخ الفاضل :

متى كان التعليم المدرسي وحتى الجامعي حصيلة يتوقف عليها تحصين الفرد ، بل كل ذلك التعليم في جميع اقطار العالم عبارة عن مفاتيح لأبواب الثقافة والبحث لكي يستطيع به الانسان ان يمسك الشعلة ، ويدخل في مغارات العلم الدقيقة ليخرج منها الكنوز الثمينة ، وبهذا نجح الغرب وتفوق علينا كأمة اسلامية وعربية . .

فالداء العضال لشبابنا اليوم هو الأقتصار على دراسة الملخصات الممهدة ، وأداء الامتحان بأي شكل من الاشكال دون الاطلاع والبحث ، ولذلك ماأكثر الجامعيين الذين يعلقون شهاداتهم افتخارا وزهواً ، ويظن احدهم انه اصبح في درجة ابن كثير والقرطبي والائمة رضوان الله عليهم ، أو اصبح في درجة ابن سيناء والفارابي ، وان شاء ظن انه اصبح في درجة اديسون واسحاق نيوتن وامثالهم من العلماء ، ويترك الكتاب والاطلاع ، ويكفيه البحث عن المنصب واللهو في جميع انواع الملاهي جاعلاً كل وقته لهواً ولعباً ، وبعد فترة من الزمن تتبخر كل تلك المعلومات التى تلقاها في المدرسة او في الجامعة . .

وهذا للاسف مأرى فيه شبابنا . أما الدين وكتبه وحتى مقالاته . . فلا اجد الشباب يطالعها ، ويكتفي بمطالعة الأخبار السياسية والنكت ، وصفحة الرياضة ، وتارة صفحة المرأة –

فواسفاه وماادهاها من مصيبة حلت بنا وبشبابنا – اين هم من الامام الشافعي رضي الله عنه الذي كان يجمع القصاصات ليدون فيها الملاحظات رغم مكابدة الحياة القاسية ؟ . . واين هم من أحمد بن حنبل الذي كان يعمل بيده ليعيش ويدرس ويدون ؟

هذا رأي القارىء الفاضل (أ . ب . ب) في المستوى الثقافي لشبابنا العربي ، والاسلامي بصفة عامة أحببت عرضه كمشاركة منه في التعرف على حقائق المأساة الشبابية في مجتمعاتنا وجامعاتنا .

ومن حق طلاب بعض الجامعات : أن نعرض ما يشكون منه ، وهو أن فريقاً من أساتذتهم ومدرسيهم يلقون محاضراتهم بأسلوب ممل ، وبصورة لا تشجع على الفهم والإدراك ومتابعة الدرس والبحث .. فبعض هؤلاء الأساتذة يظلون منذ بداية الحصة حتى نهايتها يقرأون من الكتب أو الأوراق التي يحملونها على أسماع الطلاب .

•

وبعضهم يملون المقرر على الطلاب إملاءً متواصلا مرهقاً ، دون محاولة منهم للافهام والشرح ، أو التعليق والمناقشة من قبل الطلاب ..

واذن فهناك عامل ، من جملة العوامل المتعددة – عامل مهم ، عامل تربوي صادر من قبل المدرسين الذين يسببون الملل والسأم والقرف في نفوس طلابهم ، فينصرفون تلقائيا عن طلب المزيد من الثقافة ، ومواصلة الدرس والبحث . .

شبابنا والنظريات الحديثة

كثير من شبابنا مايزالون يعتقدون صحة نظرية فرويد الجنسية التى تقرر ان سلوك الانسان محكوم بجنسه، ومسير بتوجيهه الجنسي وضغطه.

ولا داعى لاطالة الحديث عن خطأ هذه النظرية اللاأخلاقية، وعن اهداف الصهيونية العالمية مّن وراء ترويجها والاقناع بها، وهى - اي تلك الاهداف - تبديل القيم الانسانية، وتحطيم الاخلاق والانتصار للعاطفة على العقل.

فقد صحح خطأ هذه النظرية زملاء «فرويد» وتلامذته - ومنهم «ادلر» الذي خالفه في مذهبه الجنسي، واعترض على اعطاء فرويد هذه الاهمية الكبرى «للجنس» في تقييم[1] السلوك الانساني. ومما قاله ادلر: ان الدوافع الجنسية ليست لها هذه الخطورة الشاملة التى يزعمها فرويد.. وان الشعور بالحطة او النقص هو مصدر الامراض العصبية والنفسية، وعامل مؤثر في سلوك الانسان الى جانب الوضع العائلي الذي لاريب في اثره الكبير على تكوين الفرد نفسيا واخلاقيا.

(١) أرى انه يجب التفريق بين (التقييم) بمعنى اعتبار القيمة او التقدير - وبين التقويم بمعنى إصلاح الاعوجاج والانحراف فليس المعنى او المقصود في الحالتين واحدا كما يرى فضيلة الشيخ على الطنطاوي اطال الله عمره ونفع بعلمه.

كما صححها «بيير» العالم النفساني بنظرية نفسية اخرى اطلق عليها «نظرية القيم» اي ان «القيمة» هي علة السلوك عند الانسان ، وليس الجنس كما ذهب الى ذلك فرويد» . . وساتحدث باذن الله وعونه عن سبق العرب الى هذه النظرية في كلمة أخرى .

يقول الاستاذ منير سعيد الجياف ، وهو متخصص في الفلسفة وعلم النفس : انه بعد دراسة عميقة وممارسة طويلة للتدريس في هذا المجال ، قد ادرك ان نظرية فرويد التى افسدت على الملايين من الشباب حياتهم ، وخربت اخلاقهم . . هى نظرية مغلوطة من الاصل ، وان حقيقة الانسان التي جاءت بها الأديان : هى أن قوتين كبيرتين – الخير والشر – تتنازعان وتتصارعان في نفسه ووجودة ، ولذلك استعاذت امرأة عمران – كما يقص القرآن – حين وضعت وليدتها مريم أم المسيح عليهما السلام . . من الشيطان الرجيم لوليدتها ولذريتها ايضاً .

قلت : وكذلك أمرتنا تعاليم ديننا : ان يتسعيذ الرجل من الشيطان الرجيم حين يتغشى اهله ، فيقول «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا . .» .

ومثل «فرويد» سارتر حامل لواء الأدب الوجودي ، الذي يتشدق بعض شبابنا ويتناصحون بآرائه وأفكاره . . بل إن بعضهم ممن أمسك بقلم يكتب به هراء وغثاء في صحفنا العربية . يحاول ان يقتدى بالأدباء الوجوديين ! .

وقد لاحظت الادبية العراقية الدكتورة نازك الملائكة : أن فريقا من الشباب العربي متأثر بهذا الأديب اليهودي الفرنسي - جان بول سارتر - وأبدت أسفها لذلك ، وقالت : إن شهرة سارتر في أوروبا وذيوع ادبه الوجودي . . لايعني أن آراءه تنفعنا او تتفق مع مطالب حياتنا الفكرية والاجتماعية - بل هي بحق تتناقض مع روحيتنا وحضارتنا - فلا مصلحة لنا في اعتناقها ، الا اذا أردنا أن نهدم أنفسنا .

ثم قالت نازك الملائكة : إن جان بول سارتر هو ناشر فلسفة الغثيان . . وان المجتمع بغيض ، وان وجود الناس حولنا هو الجحيم ، وان الأخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون ، وأن الحياة خواء فارغ لايستحق الاهتمام فيه الا الجسد والجنس ، وان الانسان غير مسؤول امام الله ولا أمام ضميره ولا أمام مجتمعه .

ولقد رأينا وسمعنا الكثير المفزع عن الشباب الغربي ، الذي تأثر بنظرية فرويد الجنسية ، وبادب سارتر الوجودي . . وهو الآن يجني ثمرات الإنحلال الخلقي : ضياعاً وحيرةً ، وإغراقاً في الجنس ، وانفلاتاً من ضوابط المجتمع وآدابه ، وإدماناً على المسكرات والمخدرات . . ثم الانتحار والاندثار . .

هل الاسلام دين عربي ؟

احد الطلاب العرب المسلمين الذين يتلقون دراستهم العليا في احدي الولايات الامريكية كتب الى عن حوار جرى بينه وبين احد الطلاب الامريكان حول الاسلام ، وان هذا الطالب الامريكي يزعم ان الاسلام دين خاص بالعرب وحدهم . . وليس من حقهم ان يدعو اليه غيرهم من الامم الأخرى . ويذكر الطالب انه عجز عن الاستدلال له او الاحتجاج بان الاسلام دين عالمي انساني ، وان الرسول ﷺ بعث لسائر البشر من كل الاجناس ، وعلى مدى العصور التالية الى يوم القيامة .

- ونقول للطالب الحائر – بايجاز :

في البداية نقول : ليس عجيباً ان يقول امريكي هذا الكلام . ولكن العجيب حقاً ان يردد هذه الزعمة الدكتور محمد احمد خلف الله في مجلة «العربي» مصراً على ان القرآن انما جاء ليعالج مشاكل المجتمع العربي ، وان الرسول انما بعث ايضاً ليرشد قومه العرب ! !

ان رسالة محمد ﷺ كانت للناس كافة ، عربا وعجما ، حاضرين ولاحقين الى يوم القيامة . . وايات القرآن الكريم الذي نزل جميعه في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام – تقرر عموم رسالته الى البشر كافة . . ولاداعي الى سردها كلها ، فالقرآن موجود وحاضر ومحفوظ . . قد ضمن منزله

تبارك وتعالى حفظه من التحريف والتبديل ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾[2].

وكون الرسول ﷺ بعث في العرب، ومن العرب انفسهم، لا يعني أنه خاص بهم، أو أن رسالته مقصورة عليهم فإن تاريخ الاسلام وامتداد حضارته الخالدة عبر الأمم والشعوب والاقطار غير العربية، يؤكد عموم الرسالة المحمدية، وشمولها لكل الناس، الى جانب ماجاء في كتاب الاسلام وحديث رسوله من تقرير هذا العموم والشمول.

لقد تكرر - في القرآن - القول ٩ مرات بان محمد ﷺ أرسل الى الناس جميعا، لاخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان، وحسبنا آية واحدة منه: ﴿**وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا**﴾[3].

كما تكرر القول فيه: بأن محمداً جاء بالاسلام مصدقاً لموسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء السابقين، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. كما اورد القرآن قصص هؤلاء الرسل مع اقوامهم.. كدليل وحجة ومعجزة لمحمد نبي الاسلام على انه نبي مثلهم وانه خاتم لهم.

وتكرر القول في القرآن - ايضا - بان يدعو محمد اهل الكتاب من يهود ونصارى الى «الاسلام» من حيث انه يتفق

---

(٢) الحجر آية ٩.

(٣) سبأ آية ٢٨.

مع ديانتهم في الأصل الأصيل لكل نبوة ورسالة ، وهو «التوحيد» وانه جاء ليحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم ويحل لهم بعض الذي حرم عليهم .

وجاء في سياق هذه المعاني جملة من آية قرآنية : **﴿اني رسول الله اليكم جميعا﴾**[٤] فما معنى كلمة (جميعا) اذا كان الاسلام خاصا بالعرب ؟ ولماذا يخاطب الرسول (اهل الكتاب) بدعوة الاسلام اذا كان كما زعم هذا الطالب الامريكي او الدكتور محمد احمد خلف الله . وقد سبقهما الى ذلك المستشرق اليهودي قولدزيهر . .

وكيف يقول القرآن للرسول ﷺ : **﴿وقل للذين آوتوا الكتاب والأميين : أأسلمتم ؟ فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد﴾**[٥] اذا كان لم يترك من تشريعات دينه الخالد الا مايكفي بعض العرب الذين آمنوا به في حياته فقط ، كما يزعم هؤلاء المبطلون ؟ .

والقرآن الكريم - كذلك - يؤكد عموم رسالة الاسلام وظهوره على الاديان السابقة كلها في قوله عز وجل : **﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾**[٦] ومعنى الآية واضح . . اي ان الله بعث محمدا بالاسلام ليكون ناسخا للاديان كلها سماوية

---

(٤) الأعراف آية ١٥٨ . (٥) آل عمران آية ٢٠ . (٦) التوبة آية ٣٣ .

ووضعية ، وظاهرا عليها جميعا وقد تكررت هذه الآية في سورة الصف مع تغيير في نهايتها بقوله عز وجل : ﴿ . . **ولو كره المشركون**﴾[7].

وكلمة (المشركون) لاتعني العرب وحدهم فالنصارى الذين عبدوا المسيح عيسى بن مريم مشركون . . والذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله مشركون . . واليهود الذين قالوا عزيز ابن الله مشركون . . والمجوس الذين عبدوا النار في فارس مشركون ايضا . وكل من عبد من دون الله شيئا سواء اكان بشرا ام حجرا ام نارا ام بقرا فهو مشرك مؤاخذ بشركه معاقب عليه .

- وفى القرآن ايضا : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض . كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم**﴾[8] فماذا يعني وعد الله بإستخلاف المسلمين في الأرض ، وتمكين دينهم من انتشار الاسلام في أمم الارض جمعاء . وقد اعتنق الاسلام فعلاً اقوام من غير العرب في كل قارات الدنيا . . هم اكثر من العرب عدداً وقوة .

---

(٧) الصف آية ٩ .

(٨)النور آية ٥٥ .

الاسلام دين عالمي !

نتابع اجابتنا للطالب العربي الذي يدرس في احدى الجامعات الامريكية حول عالمية الدين الاسلامي . . ردا على زعمة زميله الامريكي بان الاسلام دين العرب وحدهم ! وهو رد – ايضاً – على الدكتور محمد احمد خلف الله فيما نشره بمجلة «العربي» حول الزعمة نفسها[٩] .

لقد ثبت ان الصحابة كانوا يسمعون الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لهم : ان الأرض سوف تستسلم لهم ، وانهم سيرثون مملكة كسرى وامبراطورية قيصر ، ويحلف لهم **«والله لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»** ؟ !

ويقول لهم ايضا : **«كان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس كافة»** ويقول لهم : **«عصيبة من المسلمين يفتحون البيت الابيض بيت كسرى»** وحين رأوا ايوان كسرى يبدو امامهم كما وصفه الرسول الصادق المصدق تذكروا ماوعدهم به ، فقويت عزائمهم ، واشتاقت نفوسهم الى ان يكونوا هم تلك (العصيبة) الفاتحة ، فصاح ضرار بن الخطاب : «الله اكبر . . هذا «أبيض» كسرى . . هذا ماوعد الرحمن وصدق رسوله» وصاح المسلمون : الله اكبر . واقدموا على فتح المدينة اقبال الفاتح المنصور .

---

(٩) مجلة «العربي» العدد (٢٩١) التى تصدر في الكويت .

ذلك ملخص مايرويه مسلم في صحيحه عن جابر بن معمر . ويروى الامام احمد عن النبي ﷺ مابلغه انه قال : «**ليبلغن هذا الامر**» اي الاسلام «**مابلغ الليل والنهار ، ولايترك الله بيت مدر ولاوبر الا ادخله الله في هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل الله به الكفر**» .

وفي حديث آخر : «**ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقبطها خيرا ، فان لهم منكم صهرا وذمة**» وقد فتحت مصر صلحا ، وكان هذا الحديث من اعلام نبوته ﷺ .

وهناك الحديث الذي سبق ان اثبتناه – في تعليق مضى – وهو قوله عليه الصلاة والسلام : «**أنا دعوة ابي ابراهيم ، وبشرى اخي عيسى ، ورؤيا أمي رأت نورا يخرج منها اضاءت منه قصور كسرى وقيصر**» .

أفليس هذا «النور» هو الاسلام الذي حمله المسلمون الى فارس والروم والى غيرهم .

وفي حديث آخر : «**لو كان الدين – أو الايمان او العلم على اختلاف الروايات-معلقا بالثريا لناله رجال من فارس**» وقد صدقت نبوءته عليه السلام ، فاخرجت فارس نوابغ العلماء في التفسير ، ومصطلح الحديث وشرحه ، وضبط قواعد اللغة العربية وبلاغتها . الى غير ذلك من نبوءاته عن انتشار الاسلام ومايفتح الله على المسلمين من نصر وخير وبركة ، في اقطار

الارض وبين مختلف الامم والشعوب .

بل ان رسالة محمد تجاوزت الانس الى الجن ، كما نص على ذلك القرآن في سورة خاصة باسم «الجن» وقال في سورة الاحقاف : ﴿**واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين**﴾[10] .

ان القرآن الكريم واحاديث الرسول ﷺ غنيان بالادلة والوعود الصوادق والانباء الصحاح ، عن انتشار الاسلام وانتصار المسلمين على دول الكفر وحكومات الشرك والوثنية .

لأنه «الدين» الذي اختاره الله لعباده ، واصطفى محمدا لبلاغه ، ثم خلفه اصحابه وتابعوهم للحفاظ عليه ، وتبليغه الى اللاحقين ، ثم يتسلسل البلاغ من داعية الى داعية ، ومن امة الى امة ، وبذلك كان دين محمد هو الدين الحق الخالد : «ان الدين عند الله الاسلام» لا اليهودية ولا النصرانية ولاغيرهما من ديانات .

وقد امر الرسول ﷺ اصحابه بقوله : «**بلغوا عني ولو آية فرب مبلغ اوعى من سامع**» وفي رواية «**نضر الله امرا سمع مقالتي ، فبلغها كما سمعها - او اداها كما سمعها - فرب مبلغ أوعى من سامع** » وفي رواية ثالثة : «**فرب حامل فقه الى من هو افقه منه**» .

---

[10] الأحقاف آية ٢٩ .

ومن هنا كانت بلاغة القرآن واعجازه ، وبلاغة الحديث النبوي واعجازه كذلك . . لقد اتسعا للفهوم المختلفة ، والعقول الزكية والنفوس الرحبة الصافية . . وكانت كل الفهوم والاراء ، وجميع التعريفات والاستنباطات تلتقي مهما تعددت معانيها - على الكتاب والسنة ، لأنها الاصلان الثابتان الكاملان الشاملان لمصالح الناس كافة ، على تعاقب الاجيال وتتابع القرون .

الفصل الرابع
قضايا الشباب الأخلاقية

الشباب . . والتدخين . . والمخدّرات . .

ثلاث ندوات فكرية حضرتها خلال أسبوع واحد . . وأدليت فيها بدلوي مع الدلاء - كانت الاولى الندوة التى اختص بالحديث فيها كاملا معالي الدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السابق عن الشباب ومجالات التعليم والتوظيف .

وكانت محاضرة الدكتور محمد عبده نذيرا صارخا للشباب كي يتبصر في أمره منذ الآن ، كيف يتعلم ؟ وماذا يتعلم ؟ لكي يمهد لنفسه سبيل العمل غدا .

وقد قرأت ملخصا لهذه المحاضرة في مجلة «إقرأ» الصادرة يوم ١٤٠٧/٥/٢٢هـ ثم استمعت اليها مفصلة مطولة - فتأثرت بها كثيرا ، ولذلك اعتبرتها كما أسلفت «نذيرا» للشباب ولأولياء أموره ولكل المسؤولين عن ترشيده وتوجيهه في المجتمع والدولة والأسرة .

وسبق لمجلة «اليمامة» أن استفتت طائفة من المدرسين الجامعيين والإداريين والمفكرين من خارج الجامعة في القضية نفسها ، ونشرت المجلة آراءهم وحلولهم لمشكلة تهافت الشباب على الدراسة الجامعية التى لم يعد لشهاداتها مجال عمل وتشغيل أو توظيف .

وقد اعدت في التعقيب على محاضرة الدكتور محمد عبده يماني ماأسلفته في استفتاء «اليمامة» فقلت : إنه لكي

نجتذب الشباب الى المعاهد الفنية لابد من إجراءين : الاول تحويل هذه المعاهد الى كليات على المستوى الجامعي ونسميها «كلية العلوم الميكانيكية» و «كلية العلوم الكهربائية» و «كلية التركيبات الصحية» ونتقل الى طلابها مكافأت طلاب الكليات النظرية في الجامعات .

وطرحت في تعقيبي على الدكتور محمد عبده – ايضا تحويل كافة المدارس الثانوية العامة الى ثانويات شاملة – لأن هذه الأخيرة تتيح للطلاب مجالات التخصص المطلوب للدراسات الجامعية بحيث يتخصص الطالب خلال الدراسة الثانوية لمايريد أن يتخصص فيه من علوم دينية ، أو عربية ، أو رياضية ، أو هندسية الخ . . وهذا التخصص في المرحلة الثانوية يساعده على التفوق الدراسي في المرحلة الجامعية بلاجدال .

وقلت تعقيبا على ماطرحه الدكتور محمد عبده يماني من أن المستوى العلمي للطلاب المتخرجين من الجامعة ضعيف وهزيل وغير مؤهل للعمل الاداري او التعليمي السليم – قلت : إن العلة الوحيدة لهذا الضعف والهزال العلمي لطلابنا هى «نظام الساعات» المتبع في تدريسهم الجامعي .

- فنظام الساعات عندنا أشبه «بِسَلْقِ البيض» وهو تعبير كان المرحوم الاستاذ أحمد قنديل الشاعر المعروف يطلقه على العمل أو الأداء الخفيف السريع غير المتقن .

- ان التدريس في الفصل الاول – ومثله في الثاني – من

نظام الساعات لايستغرق الا شهوراً ثلاثة تقريبا ، والاستاذ خلالها يستعجل إلقاء دروسه أو محاضراته ، والتلميذ يستعجل استيعاب المقرر بصورة لايتم معها فهم صحيح ، ولا إدراك سليم .

كما أن عمليات التسجيل والقبول في العمادات الخاصة بها أشبه ماتكون بعمليات التسول والتسكع . . والطلاب في نظري مساكين متسولون يتكففون ساعة من هذا المدرس فيرفضهم ، ومن هذا ساعة فيعتذر لهم ، ويظلون يترددون بين العمادة والمدرسين أسابيع حتى يستقر حالهم دون أن تتحقق آمالهم . . لأنهم لايعطون الساعات التى يستحقونها ، وبهذا تطول فترة دراستهم من فصل الى فصل الى ماشاء الله .

وحدث عن الحالة النفسية لهؤلاء الطلاب المساكين ، ومايترتب عليها خلال دراستهم . وخلال امتحاناتهم ، وخلال تخرجهم ولاحرج لذلك اقترحت ان نعود الى نظام اليوم الكامل ، والعام الدراسي الواحد . . كما كنا من قبل ، وكما هو الحال في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التى تمضي فيها الدراسة رخاءً وهناءً .

اما الندوة الثانية فهي الندوة التي عقدتها الجمعية الخيرية النسائية في جدة ، وكان موضوعها : مضار التدخين والمخدرات . واشترك في الحوار معي فيها الاساتذة عبد العزيز المسند ، ويحيى العلمي ، وعبد الله الشايع كمدير

للحوار ، والاطباء عبد الحفيظ خوجه ، ومحمد صالح العرضاوي ومجدي عبد الوهاب .

وقد تحدث الاستاذ المسند عن الجانب الديني والاستاذ العلمي عن اهتمامات وزارة الداخلية بمكافحة المخدرات تهريبا وترويجا - وكان دوري أن اتحدث عن الجانب الاجتماعي لهذه القضية : فردا وجماعة .

- قلت : إن الحديث عن مضار التدخين مستمر صحفياً وإذاعياً دون انقطاع ، وماأكثر الورقات والملصقات على جدار سلم كل عمارة حكومية - التى تحذر من التدخين مع التذكير بمضاره الصحية . . ومع ذلك نجد الموظفين يدخنون وهم جلوس على مكاتبهم ، واعجب من ذلك تدخين الأطباء الذين هم أعرف الناس بمضار التدخين وأخطاره ، وأكثرهم حديثاً في الصحف والاذاعة والتلفاز عن هذه الأخطار والمضار .

فإذا لم تكن هناك «قدوة» من الكبار والآباء والأطباء والمدرسين فامتناع الشباب والطلاب عن التدخين أمل بعيد التحقيق .

كما أرى ان يمنع استيراد السجائر وبيعها مادامت ضارة من ناحية الصحة ، ومن ناحية بذل المال في شرائها - كما يرى ذلك الأطباء والعلماء معا .

أما المخدرات وفشوها حتى بين الشباب من الجنسين . . فلابد من مقاومتها بصرامة وشدة لارحمة فيها ولاهوادة . .

ولنبدأ بالمهربين والمروجين فيحكم عليهم - بعد الثبوت القطعي - بالإعدام . . لأنهم قتلة سفاكون للدماء بصورة اشنع وافظع ممن يقتلون بالرصاص والسكاكين[1] .

ان تعاطي المخدرات تدمير للعقول والأنفس والأجساد والهمم والعزائم ، وخراب للبيوت والأسر والمجتمع كله ، وعلى الآباء والأمهات التنبه سريعا الى مراقبة أبنائهم وبناتهم ، وتصرفاتهم وصداقاتهم ، ومخارجهم ومداخلهم قبل ان يتسرب الداء ، ويكون عضالاً لاشفاء له ولا رجاء منه .

لماذا ينتحر الشباب ؟

يسبق الى الذهن دائما سوء الظن بان وراء انتحار الفتيات سببا او باعثا يتصل بالعرض والشرف .

وهذا - في نظري - خطأ ظاهر فأسباب الانتحار وبواعثه ودوافعه عند الجنسين كثيرة ومتعددة .

فهناك الفتاة التي تنتحر - او تقدم على الانتحار ثم تنجو من الموت اذا ادركها الاسعاف السريع - بسبب من معاملة زوجة الأب ، ومناصرة الأب لزوجته على ابنته . . فتضيق البنت ذرعا بالحياة في بيت تظلله احقاد الزوجة مع قسوة

---

(١) صدر بعد ذلك قرار هيئة كبار العلماء بتطبيق عقوبة الاعدام على المهربين والمروجين ، ونفذته الدولة والحمد لله .

الاب ، وفقدان النصير من حنان أم او عطف اخوة ، ولاترى ارحم لها من الموت عن طريق اشعال النار في ثيابها في مطبخ او في حمام .

وهناك الفتاة التي يتردد الخطاب على باب ابيها ، ولاتجد في ردهم عنها عذرا وجيها ، ثم ترى الاعوام تمضي واحدا وراء الاخر ، ونظائرها يسبقنها الى الظفر بفوارس الاحلام ، ويسعدن بنيل حقهن في الزوجية والامومة . . في حين لايبدو لها بصيص من امل في تحقيق ذاتها ، وتلبية فطرتها ، واسعاد شبابها الموشك على الافول والذبول ، فتجد نفسها مدفوعة الى الانتحار بعامل اليأس من نيل أهم أوطار الانثى ، وتحقيق اولى وظائفها في الحياة . . وهى ان تكون زوجا وأما . .

وثمة الفتاة الطالبة التى تحرص كل الحرص على مواصلة دراستها بينما يصر الأب كل الاصرار على الاكتفاء بما نالت من علم ، وتزويجها الخطيب الذي طرق بابه . . فهي ترى ان اتمام التعليم غايتها الكبرى ، والاب يرى ان زواجها امنيته العظمى ليفرغ من همها ويضمن مستقبلها . . فاذا نفذ الاب رأيه واهمل رأيها فالموت في نظرها اولى بها . . !

وقد حدثت منذ اعوام معدودة حادثة انتحار لفتاة ولكن الطبيب اسعفها فسلمت من الموت ، وسألها الطبيب عن اسباب اقدامها على الانتحار فذكرت له ان اباها طلق امها ، ولها اخوة صغار ، وهى طالبة في المدرسة ولاتستطيع ان توفق بين خدمة البيت ومواصلة دراستها ، الى جانب

الواجبات المدرسية التى يجب ان تتمها في البيت – وغياب الأم وحنانها ورعايتها هو الاهم .

اما الطلاب . . فقد يقدم الشاب على الانتحار او ينتحر فعلا لا لأنه رسب في الامتحان ، ولكن لان اباه وربما جميع افراد اسرته قابلوا رسوبه بكثير من التقريع . . وهدده ابوه بالطرد من المنزل . . لان الانفاق على طعامه وشرابه وكسوته اصبح حراما . . فهنا امام حالة الرسوب والضياع معا يرى الطالب ان الموت خير له واسعد حالا .

لذلك يحسن بنا الا نسيء الظن بحوادث الانتحار ، فنزعم ان وراءها اسبابا تتصل بالعرض والشرف .

وعلى كل حال ينبغي للاباء والامهات وكل مسؤول عن بيت او اسرة – ان يتصرفوا بعقل وعاطفة متوازنين تجاه اولادهم من بنين وبنات ليضمنوا لهم استقرارا في تفكيرهم ، واستقامة في تصرفاتهم مع تزويدهم دائما بزاد – الايمان – بالله وبالقدر خيره وشره ، والامل في فضله ورحمته ، واقناعهم ان الامور تجري بمقادير ومالايدرك كله لايترك جله .

كما ينبغي للآباء والأمهات : الا يكرهوا أولادهم على نوع من التعليم لايريدونه ولايميلون إليه ، ولا على الزواج قبل ان يريدوا هم ذلك ، او بمن لايريدون ، وليكن طريقهم الى قلوب أولادهم : التفاهم والتشاور والتعاون ، والتراضي .

الفصل الخامس
هموم الطلاب والطالبات

مظلمة الجامعيات

سبق ان عقبت على حديث لسعادة نائب رئيس ديوان الخدمة المدنية يوم ١٤٠٤/٢/٥هـ حول تعطل الجامعيين والجامعيات عن العمل بعد تخرجهم ، وقد نفى سعادته ان يكون هناك احد منهم او منهن متعطلا - ماعدا المتخرجات في المنطقة الغربية ، فهناك عدد كبير منهن تخرج في تخصص لايحتاج اليه في مجال تعليم البنات .

وقلت في تعقيبي على ذلك «لعل في هذه الاشارة من ديوان الخدمة المدنية مايكفي للانتباه والاعتبار من الطالبات في المنطقة الغربية لكي يتجهن نحو تخصصات يحتاج اليها في المحيط النسائي في بلادنا سواء أكان ذلك في مجال التعليم أو التطبيب أو التمريض أو الإدارة أو التربية أو الإرشاد الاجتماعي .

واقترحت على الرئاسة العامة لتعليم البنات وديوان الخدمة المدنية : أن يكون هناك بينهما تعاون في بداية كل سنة دراسية لتوجيه الطالبات المتخرجات من المرحلة الثانوية الى التخصصات التى تحتاج اليها الرئاسة في دوائرها التعليمية للبنات حتى يكن على بينة من أمرهن مستقبلا بعد التخرج من الجامعة !

ثم في ١٤٠٤/٢/١٩هـ قرأت حواراً بين الأخت حياة عبد الحميد عنبر وبين سعادة مدير تعليم البنات في جدة الاستاذ

عبد الرحمن العثمان حول الموضوع نفسه في جريدة الاربعاء وكانت خلاصة الحوار :

- أولاً : أن شهادات هؤلاء الجامعيات المتخرجات من كلية الاقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة مرفوضة وظيفياً ! لأن تخصصات هذه الكلية تفتقر الى الدراسة التربوية !

ـــ ثانياً : ان دوائر تعليم البنات لاتعترف لهن الا بالشهادة الثانوية وان عليهن أن يوقعن في ديوان الخدمة المدنية إذا أردن التوظف في هذه الدوائر النسائية على تنازلهن عن المرتبة السادسة ويقبلن التعيين على المرتبة الرابعة !

ـــ ثالثاً : كان تعقيب الأخت حياة عنبر في ختام الحوار : أن الافضل قفل كلية الاقتصاد والإدارة في قسم الطالبات بالجامعة مادامت لاتؤهلهن للعمل في مجالهن الطبيعي - وأن هؤلاء المتخرجات المرفوضات لوجلسن في منازلهن لأصبحن زوجات وأمهات . . فطالب الزواج الآن لايريد الجامعية «زوجة له» أي انهن خسرن الوظيفة والزوج معاً .

وأرى ان موقف دوائر تعليم البنات وديوان الخدمة المدنية تجاه هؤلاء الجامعيات من خريجات كلية الاقتصاد والإدارة موقف خاطىء . . إذ أن لهؤلاء المتخرجات كفاءة وكفاية لممارسة أعمال ومهمات متعددة في المدارس والكليات النسائية في محيط الإدارة العامة أو إدارة الأعمال أو المحاسبة - وهى التخصصات التي تدرس في كلية الاقتصاد

والإدارة .

أما أن يقال لهن : إن شهاداتهن الجامعية مرفوضة ، وأن عليهن ان يتنازلن عن المطالبة بالمرتبة السادسة ويقبلن التوظف على المرتبة الرابعة على أساس شهادتهن الثانوية – فإن هذا هضم كبير لمؤهلاتهن الجامعية .

ان هؤلاء المتخرجات يجب ان يمنحن المراتب والرواتب التى تقررت لهن نظاما مهما كانت الوظائف التى يشغلنها اقل من ذلك . .

كما يجب الا ننسى هنا هذه الظاهرة البشعة التى تملأ مؤسساتنا الإدارية والتعليمية والصناعية بل – تملأ شوارعنا وطرقنا – من «غيبة» الوجوه والأيدي السعودية العاملة . . في الوقت الذي نزعم أننا نعمل من اجل الاكتفاء الذاتي !

ويجب الا ننسى ايضا ان المتعاقد غير السعودي والمتعاقدة أيضا – لهما امتيازات فوق المرتب والمرتبة كبدل السكن وقيمة تذاكر الحضور والعودة . فلماذا لانقابل منح الجامعية المرتبة السادسة – وان كانت زائدة في نظر ديوان الخدمة المدنية ودوائر تعليم البنات – بهذه الامتيازات الممنوحة للمتعاقدات الاجنبيات ؟ .

مدارسنا لن تواجه مشكلة المرافق بعد الآن ! ؟

كانت هذه الجملة جواباً من معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني الاستاذ محمد ابا الخيل – في الندوة التى عقدتها جامعة البترول والمعادن في الظهران وأجاب خلالها على أسئلة الطلاب .

وكان حواراً بينه وبين الطلاب طويلاً وجميلاً في مختلف الأمور التي يشكوها أو يرجوها طلاب الجامعة

وقد طرح احدهم على معاليه هذه المشكلة : أن ألفي طالبة تقدمن الى كلية البنات هذا العام فلم يقبل منهن الا «٨٠٠ طالبة» بحجة قلة الاماكن المتوفرة للطالبات في الكلية . .

- فأجاب معاليه : بأن البحث جار في توفير مايجب توفيره لكي تستوفي الكلية حاجاتها ثم أردف قوله : «إن مدارسنا لن تواجه مشكلة المرافق بعد الآن ! !» .

- قلت : إن هذه المشكلة التى طرحها الطالب لم تكون واحدة في كليات البنات بالمنطقة الشرقية – فهي متعددة في كافة المناطق والمدن حتى في جامعات الطلاب الذكور ! !

ففي كل سنة دراسية جديدة تعتذر الجامعات وكليات البنات عن قبول العدد المتقدم من الطلاب والطالبات ، وتقرر إمهالهم الى الفصول التالية .

- هذه واحدة . . والمشكلة الثانية : أن أكثر من عشر

مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية في مكة المكرمة وحدها – أكتشف خرابها فجأة ، وأخليت من الطلاب ، وضم طلابها الى مدارس أخرى ، وخصص لهم المساء للدراسة في هذه المدارس لازدحام فصولها صباحاً .

ولانعرف عذراً لمديري هذه المدارس ولا لإدارة التعليم في مكة المكرمة او مديرية التعليم على مستوى المنطقة كلها لانعرف عذراً معقولاً أو مقبولاً لهذا الصمت الطويل إلى أن تكتشف هذه المأساة التى يعاني منها الطلاب بهذا العدد الكبير ، الذي أخرجوا من مدارسهم . . مع بداية العام الدراسي .

وكان من الممكن ان تتخذ الإجراءات اللازمة خلال العطلة الصيفية ، لتوفير المباني السليمة لهم ، ونقلهم اليها قبل بداية العام الدراسي !

- هذا ماأردت التعليق او التعقيب به على حديث معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني حول الشكوى من عدم توفر المرافق اللازمة لطلابنا وطالباتنا في مدارسهم وجامعاتهم – راجيا ان يوفق الله معاليه لمنح المزيد والمزيد من هذه المرافق والإمكانات لأهم قطاع من قطاعات الدولة والوطن : قطاع التعليم .

طلابنا . . وشركات السياحة الاجنبية ؟

قبل عام واحد تقريبا بعث الي احد اصدقائي من القراء كتيبا سياحيا وزعته احدى الشركات الاجنبية من اجل الدعاية بين الشباب وبخاصة الطلاب . . لقضاء عطلة الصيف في بعض الدول الأوروبية ومشاهدة مظاهر التقدم والتطور - العمراني والاجتماعي ، والاستمتاع بمجالس اللهو ، وندوات الرقص والموسيقى والغناء خلال فترة الاجازة .

واستجبت لرغبة القارىء الصديق ، فكتبت مقالة أحذر فيها من استجابة الآباء وولاة الامر لهذه الدعوة السياحية الخطيرة . . التى ستؤثر على أخلاق الابناء دينياً واجتماعياً .

وتتجدد الدعاية السياحية الآن للغرض نفسه ، ويهب سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام للادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد - يهب سماحته لتنبيه ولاة الأمر والآباء والمسؤولين في الدول العربية وبخاصة السعودية الى مخاطر هذه (السياحة) التى تدعو إليها وتيسر سبلها بعض الشركات الأجنبية . . لاجتذاب شبابنا وطلابنا للسفر الى أوروبا بحجة قضاء إجازة الصيف وانتهاز هذه الفرصة لتعلم اللغة الانجليزية ، مع مشاهدة حفلات الرقص ، والغناء والموسيقى - مع ملاحظة ان الدعوة موجهة الى الجنسين من الطلاب والطالبات ، والفتيان والفتيات بصفة عامة .

لقد حذر سماحته - في ندائه - الآباء وولاة الامر والمسؤولين . . من الاستجابة لهذه الدعاية ، والتأثر بهذا الإغراء من الجمع بين التنزه ودراسة اللغة الانجليزية . . فإنه «السم في الدسم» ! ! و «الداء في الورم» ! .

واني اذ اشكر لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز تحذيره من هذه (الظاهرة) الخطيرة على أخلاق شبابنا من طلاب وطالبات وغيرهم - فإني اكرر ماسبق أن قلته - قبل عام واحد - في الموضوع نفسه ، واذكر الآباء وولاة الامر بمسؤولياتهم تجاه أبنائه وبناتهم وأقول لهم : إنهم أمانة في أعناقهم ، وإن الله عز وجل سائلهم عنهم ومؤاخذهم بهم إن اهملوهم أو قصروا في حقوقهم عليهم من تربية وصيانة عن مساوىء الاخلاق ومذام السلوك .

وبهذه المناسبة . . أقول : حبذا لو أن المراكز الإسلامية في بعض دول أوروبا وأمريكا اهتمت بهذه المسألة فهيأت نفسها لاستقبال الشباب والطلاب من البلاد العربية والاسلامية في إجازة الصيف كل عام . . لإطلاعهم أولاً على المعالم ومظاهر التقدم والتطور الحديثة ، وثانياً لتعلم اللغة الانجليزية والفرنسية ، او الاستزادة منها ، والتمرن عليها .

ويكون للمراكز الاسلامية بهذا العمل السياحي التربوي - الملتزم بالسلوك الاسلامي - مورد جديد لزيادة انجازاتها الدعائية في تلك البلاد وتحقيق الحاجات او المصالح التي تنقص المسلمين فيها .

الطالبات الجامعيات لماذا لايجدن قراءة القرآن ؟

ليس الطالبات الجامعيات وحدهن – لايجدن قراءة القرآن ، بل الطلاب الجامعيون مثلهن بلا اختلاف كبير ، وحتى مذيعو الراديو والتليفزيون يخطئون في قراءة بعض الآيات القرآنية خطأً ظاهراً لايعذرون فيه .

والسبب – بصفة عامة – افتقاد الاساتذة المجيدين للقراءة الصحيحة في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية كما أن حصص القرآن أصبحت قليلة جداً خلال العام الدراسي . . بينما كانت على عهدنا حصتين يوميا[1] .

اما السبب بالنسبة لاوضاع الطالبات الجامعيات فالأخت (ليلى حسن حنفي) الطالبة بجامعة أم القرى تتحدث عنه ، وتضيف إليه اقتراحاً لمعالجته وإصلاح هذا الوضع الشائن الذي لايليق بهن .

تقول الاخت ليلى – عبر حديثها الهاتفي : مما يؤسف له أنك لاتجد طالبةً واحدة تجيد قراءة القرآن دون خطأ وسبب ذلك أن مدرسات القرآن في مراحل الدراسة الاولى يلقين قواعد التلاوة مجرد إلقاء دون تطبيق منهن لهذه القواعد بحيث تقتدى الطالبات بهن ، ومجرد حفظ القواعد لاينفع

---

(١) حدثني احد مديري المدارس الابتدائية : ان مدرس القرآن لطلاب مدرسته تخصصه العلمي الرياضيات . . وليس علوم القرآن ولا اللغة العربية !

في اتقان تلاوة القرآن بل لابد من القدوة العملية من المدرس والمدرسة ليقتدي بهما الطالب والطالبة .

وتقترح الأخت ليلى علاجا لهذه الظاهرة المشينة : ان يقدم التليفزيون برنامجاً لتلاوة القرآن مع قواعد التجويد ، وتقديم نماذج للتلاوة الصحيحة والإعلان المتكرر عن ميعاد هذا البرنامج ليستمع اليه الطالبات ويتعلمن منه كيف يقرأن القرآن دون خطأ أو تقصير .

واعتقد أن الأخت ليلى تعلم أن هناك برامج تليفزيونية وإذاعية تعلم تجويد قراءة القرآن منها (في ظلال القرآن) و (المصحف المفسر) و (المصحف المعلم) و (في رحاب القرآن) وهى تكفي لتعريف الطلاب والطالبات وغيرهم كيفية التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم .

ولكن معظم المستمعين والمشاهدين للاذاعة والتليفزيون زاهدون في مثل هذه البرامج المفيدة النافعة لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم .

ولو أنهم اهتموا بها ، وترقبوا الاستماع اليها في مواعيدها المقررة ، واصغوا إليها بقلوب واعية وآذان صاغية لاستفادوا منها كثيراً .

ومع ذلك فإنا نرجو من المسؤولين في مدارس البنين والبنات أن يتخيروا لتدريس القرآن الكريم المعلمين والمعلمات المجيدين والمجيدات لهذه المادة المهمة في حياة المسلم كعبادة وعقيدة وثقافة وسلوك ، وأن يزيدوا من

حصصها القليلة بحيث تكفي لاستيفاء حقها من التمام والإتقان[٢] .

الطلاب بين أزمتين

نشرت «عكاظ» يوم ١٤٠٨/١/١٥هـ تحقيقا صحفيا مهما عن شكوى خريجي الثانويات من عدم قبولهم في الجامعات . . لأن تقديراتهم دون مرتبة «جيد جدا» – وقد شكا بعضهم من عدم قبول المعاهد الاخرى الفنية والعسكرية والمهنية ايضا – وتساءل هؤلاء الشباب : اين يذهبون وكيف يستعدون لمستقبلهم العملي ؟ .

وسألت «عكاظ» الدكتور رضا كابلي عميد القبول والتسجيل بجامعة الملك عبد العزيز عن حقيقة مايشكو منه هؤلاء الطلاب ؟ فأيد ماذكروه – وقال إنه لابد من حصول الطالب الثانوي على مرتبة «جيد جدا» إذا كان يريد الدراسة في الجامعة .

وأضاف الدكتور رضا : إنه ليس من الواجب على الجامعات أن تقبل كل الطلاب الذين يتقدموا للدراسة فيها .

(٢) اضيف إلى ذلك انه يجب ان يكون معلم القرآن ومعلمته من الحفظة المجيدين والمجيدات . . وقد شاعت – بحمد الله – مدارس تحفيظ القرآن في بلادنا للجنسين فيحسن ان يختار منها المدرسون والمدرسات .

وتكرر هذا الوضع بالنسبة لقبول الطلاب الثانويين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ولا أدري هل حدث مثله في جامعات المملكة الأخرى أم لا ؟ .

المهم : أن كثرة كاثرة من الشباب حائرة لاتدري ماذا تفعل وهى ترفض من قبل الجامعات ، ومن قبل المعاهد المتوسطة الأخرى - كما ذكرت جريدة عكاظ في تحقيقها الصحفي المشار اليه آنفا .

ولو كان «يطاع لقصير رأي» كما يقول المثل العربي - وباعتباري مارست التعليم نحو عشرين عاما في الجامعتين ومازلت قائما به ، وعرفت من طبائع الشباب وحاجاتهم ومشكلاتهم مالم يعرفه الإداريون الجامعيون فإن لي وجهة نظر في معالجة هذه الأزمة الشبابية . . التى يجب الا تواجه بهذه السلبية المطلقة من قبل المسؤولين عنهم وعن مستقبلهم في المحيط التعليمي والوظيفي ، وهي - اي وجهة النظر - ان يجتمع عمداء القبول والتسجيل في جامعاتنا مع عمداء شؤون الطلاب ومديري المدارس الثانوية . . لدراسة المشكلة والتعرف على احسن الحلول لإنهائها مع التنسيق مع مديري المعاهد الفنية والمهنية والعسكرية الاخرى لقبول الطلاب الذين لم يحصلوا على تقدير جيد جدا .

أما الأزمة الثانية التى يعيشها الشباب . . فهى أزمة التوظف بعد التخرج من الجامعة فقد كانت الدولة تلزمهم

بالتوظف لديها المدة التى درسوا خلالها في الجامعات ، ثم أعطتهم الحرية الكاملة في اختيار الوظيفة التى يريدونها .

فتوجهوا الى الاعمال الخاصة في الشركات والمؤسسات الأهلية . . فلم يجدوا لديها تيسيرا ولاترحيبا . . وهى تفضل توظيف غير السعوديين لديها على السعوديين ، وتضع شروطا في إعلاناتها عن وظائفها من المستحيل تحققها في هؤلاء المتخرجين — وفي مقدمة هذه الشروط المعسرة إجادة الموظف المطلوب للغة الانجليزية او اللغة الفرنسية مخاطبة وكتابة ، وان يكون له في الوقت نفسه «خبرة عمل» لمدة عشر سنوات أو خمس سنوات .

فمن أين يأتي الطالب السعودي المتخرج حديثا بالخبرة العملية ، ولو لسنة واحدة — فضلا عن خمس سنوات أو عشر سنوات ؟ وكيف يكون مجيدا للغة الانجليزية او الفرنسية خطابة وكتابة ؟ والتدريس في جامعاتنا باللغة العربية — ماعدا كليات الطب والهندسة ؟ كما ان تدريس اللغة الانجليزية في مدارسنا لا يؤدى بطريقة ناجحة .

إذن لابد من تدخل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لدى الشركات والمؤسسات الأهلية لإلغاء هذين الشرطين التعجيزيين من إعلانات طلب الموظفين لديها ، أيضا من أن يكون توظيف السعوديين لديها عن طريق مكاتب العمل نفسها .

طلابنا . . واللغة الانجليزية ؟

احد الموجهين التربويين – من ذوي الاختصاص باللغة الانجليزية – يتحدث بأسف مرير عن ضعف طلابنا في تعلم اللغة الانجليزية ، ويقول : إنهم يبدأون تعلمها من السنة الأولى الإعدادية حتى نهاية السنة الثالثة الثانوية – أي أنهم يدرسونها ست سنوات ، ويتلقون دروسها وتمارينها خلال اربع حصص اسبوعيا خلال هذه الفترة الطويلة .

- ومع ذلك ينتهى معظمهم ، وهو لايعرف من اللغة الانجليزية الا اسمها وحروفها ، وانها لغة تكتب من اليسار الى اليمين – إن هذه الاغلبية من طلابنا لايستطيعون تركيب جملة إنجليزية صحيحة ولو استطاعوا تركيبها فإنهم لايستطيعون أن ينطقوها نطقا سليما ، كما أن نسبة كبيرة منهم لاتستطيع أن تقرأ في الكتاب المقرر عليهم بدون أخطاء لغوية ونحوية – وقد ذكر الموجه التربوي اسبابا متعددة لفشل طلابنا في إتقان اللغة الانجليزية – أهمها في نظري : أن هذا الجيل من الطلاب – بخلاف الجيل السابق الذي كان ينظر نظرة جدية الى طلب العلم ، ان الجيل الحاضر ، جيل عام ١٣٩٥هـ ومابعده – يعيش فترة حرجة من حياته . . فأبواه يعيشان مشاغل جمة واهتمامات غير أسرية ، إلى جانب ارتفاع دخل العديد من آباء الطلاب مما قلل اهتمام الابناء بطلب العلم . . وهذا العامل أثر في تلقى الطلاب للدروس

الأخرى ايضا ، وليس اللغة الانجليزية وحدها .

وأشار الموجه التربوي الى ضرورة اهتمام مدرسي اللغة الانجليزية بالاستزادة من التحصيل ، وعدم الاكتفاء بالمؤهل العلمي وحده - واضيف انا على ملاحظة الموجة : أن على المدرسين تكاليف الطلاب بواجبات منزلية لحفظ الكلمات والجمل وترديدها ، فاللغة - اي لغة - تعتمد لإتقانها على الحفظ بالدرجة الاولى ثم يأتي بعد ذلك الفهم والملاحظة .

- وأهم مافي حديث الاخ الموجه التربوي : أن الغالبية العظمى من مدرسي اللغة الانجليزية لايجيدون اللغة التى يعلمونها للطلاب ، وكثير منهم لايستطيع أن يقف ثلاث دقائق ليتكلم باللغة الانجليزية التى قضى في دراستها وتعلمها (١٥) سنة وحصل على شهادات عليا في دراستها ، كما أن العديد من هؤلاء حملة الشهادات لايستطيع أن يقرأ خمسة سطور من هذه اللغة بدو أخطاء في النطق او القراءة .

ويذكر قصة عجيبة : وهى أن مرشحا للحصول على الدكتوراه في اللغة الانجليزية - أجريت له مقابلة شخصية لم يسأل فيها سؤالا واحدا باللغة الانجليزية ؟ .

- وأخيراً يقترح الموجه التربوي : أن يكون تعلم اللغة الانجليزية في مدارسنا الإعدادية والثانوية (اختياريا) للطلاب الذين سوف يلتحقون بكليات علمية كالطب والهندسة والعلوم ، وماعدا هؤلاء من الخير لهم أن يتفرغوا للدروس الدينية والعربية والتربوية التى لاحاجة فيها الى اللغة الانجليزية .

ففي ذلك – اي جعل الدراسة للغة الانجليزية اختياريا وبناء على الحاجة لها مستقبلا في الجامعة – توفير لوقت الطالب وتوفير لجهده وتركيز – من الناحية الاخرى – على الطلاب الراغبين المحتاجين ومنحهم كل الوقت وكل الجهد .

وبهذه المناسبة أريد أن أقول : إن نظام المدارس الثانوية الشاملة – بتخصصاته الدراسية نفع الطلاب كثيراً وأتاح لكل طائفة منهم ماهي مستعدة لدراسته من العلوم ، وقادرة على النجاح فيه[٣] .

مطلوب جامعات أهلية

مازال الحديث في صحفنا ومجلاتنا وعبر ندوات الاذاعة والتلفاز والأندية الأدبية – حول مستقبل أبنائنا وبناتنا الذي لم يجدوا فرصة للدخول الى الجامعات لاستكمال دراستهم العليا والحصول على شهادة البكالوريوس ، ومازال الآباء والأمهات قلقين على مستقبل فلذات أكبادهم من بنين وبنات .

وكانت لي – في هذا الموضوع – معالجات سابقة

(٣) مع الاسف الشديد ادخل نظام الساعات على المدارس الشاملة او المتطورة كما اطلق عليها اخيراً فأفسدها كما افسد الجامعات!!

اقترحت مرة أن تتطور المعاهد الصحية والمهنية والفنية الى مستوى كليات جامعية ، وتكون الدراسة فيها كالدراسة في الجامعة تماما من حيث المناهج والمقررات والأساتذة والطلاب والشهادة النهائية . . أي أن يتخرج منها جامعيون وجامعيات وذلك إغراء للشباب من الجنسين بالالتحاق بها والتخرج منها . . ليملأوا فراغ الحاجات القائمة فعلا في المرافق الصحية والمهنية والفنية .

وأضيف اليوم فكرة أخرى . . سيجد الآباء والأمهات فيها ضمانا لمستقبل أبنائهم التعليمي ، ويجد الابناء والبنات فيها ضمانا لمستقبلهم العملي والوظيفي .

هذه الفكرة تتمثل في إنشاء جامعات أهلية خاصة تضم كليات للعلوم الهندسية والطبية والكهربائية والميكانيكية والكمبيوتر وغيرها من الدراسات التي تؤهل الشباب للعمل في المؤسسات الحكومية والأهلية . وها أنا أدعو أصحاب رؤوس الاموال من السعوديين الى تحقيق هذه الفكرة الناجحة - بإذن الله وعونه - والنافعة للوطن والمواطنين - وأعتقد أن الدولة ممثلة في وزارة التعليم العالي سترحب بهذا الانجاز لو تم فعلا ، وستكون مشرفة عليه ، وموجهة له ، ومساعدة إياه ماديا ومعنويا .

فماذا يرى رجال التربية والتعليم والاقتصاد تجاه هذا الرأي المطروح للمناقشة والحوار ؟ .

وقد أيد فكرة الجامعات الاهلية تعقيباً على كلمتي

المنشورة (بالندوة) يوم ١٥/٤/١٤٠٨هـ كل من الدكتور عبد الله باسلامة في الندوة نفسها يوم ٢١/٤/١٤٠٩هـ وكذلك الدكتور نجم الدين عبد الغفور جان في الجريدة ذاتها وفي اليوم نفسه بكلمتين طالبا فيها بدراسة الفكرة بجدٍ واخلاصٍ واهتمام(٤) .

مطلوب : مدارس . . لأولاد السفراء حيث يقيمون

خلال أحاديث تجري بيني وبين بعض الاصدقاء من السفراء السعوديين داخل المملكة ، أو خارجها عندما أكون في رحلة الى بعض الدول الأوروبية أو الأفريقية أو الأسيوية – الاحظ قلق هؤلاء السفراء على مستقبل أولادهم التعليمي الى جانب مايقاسون من متاعب ومصاعب في بعث أولادهم وأسرهم إلى المملكة لأداء الامتحان أو للاستعداد له ثم عودتهم إليهم .

وأعتقد ان المشكلة نفسها يعاني منها سفراء الدول العربية والاسلامية الأخرى – فلماذا لاتتعاون مجموعة هذه الدول لإقامة مدارس ابتدائية واعدادية وثانوية في مقار هؤلاء السفراء تكون مناهجها موافقة لشروط القبول في جامعات هذه الدول حتى اذا أتم أولاد السفراء من بنين وبنات دراساتهم

---

(٤) كتب الاستاذ علي العمير في جريدة (عكاظ) مؤيدا فكرة الجامعة الاهلية بعد فترة طويلة من كلمتي . .

الثانوية . . انتقلوا الى بلادهم لإكمال دراساتهم الجامعية . . بعد أن يكونوا قد شبوا عن الطوق ، وحافظوا على العقيدة الإسلامية واللغة العربية خلال دراستهم في الخارج ، واستطاعوا في الوقت نفسه أن يواجهوا (الوحدة) ولا أقول (الغربة) خلال إقامتهم في السكن الداخلي لجامعات بلادهم .

ولعل السفراء أنفسهم يسعون الى تحريك هذه المشاعر والمطالب في نفوس المسؤولين في وزارات الخارجية والتعليم في الدول العربية والاسلامية .

ولنبدأ بمجلس التعاون الخليجي فقد بدأت ثماره وآثاره تتجلى في الاجتماعات المتتابعة ، والدراسات المتنوعة لمختلف الشؤون والقضايا والمصالح المشتركة بين دوله وشعوبه ، وهي دول وشعوب متقاربة ومتجاورة ومتفاهمة ، مما يعين على إنجاز هذه المدارس المطلوبة لأولاد السفراء في مقار أعمالهم .

اليوم المدرسي المفتوح ؟

هناك طلاب – وهم قلة – يعجبون من تخصيص اليوم الدراسي المفتوح (الثلاثاء) للنشاط الرياضي فقط ، بل لكرة القدم وحدها دون الرياضات الاخرى ، ودون النشاطات النفسية والاجتماعية والفكرية التى من الممكن أن يشملها الفراغ في هذا اليوم المفتوح .

ولاريب أن عجب هؤلاء الطلاب وارد ومعهم الحق فيه ، لأن هذا اليوم المفتوح إنما فتح اساساً وابتداءً ليشمل أنشطة متعددة رياضية وأدبية .

وإن كنت أرى ان نغلق هذا اليوم كسائر أيام الدراسة الأخرى لكي تضاف أو تزاد فيه بعض الحصص لبعض المواد الدينية والعربية التى يلاحظ ضعف طلابنا في إتقانها كاللغة العربية نحواً وصرفاً وإملاءً – وكقراءة القرآن حفظاً وتجويداً .

ومايشجعني على الإدلاء بهذا الرأي هو أن الطلاب في السنوات الأخيرة منحوا زيادة يوم في العطلة الاسبوعية ، وهو الخميس بعد أن كانت عطلتهم الاسبوعية يوم الجمعة فقط . . فأصبحوا يستمتعون بيومين أسبوعيا .

ومع ذلك نقول حسبهم : هذان اليومان الخميس والجمعة عطلة اسبوعية يمرحون فيهما ويسرحون ويمارسون شتى الرياضيات واللعب ، خارج المدرسة ، وليغلق اليوم المفتوح – الثلاثاء – عليهم في فصولهم ليزدادوا علماً وفهما ، ويعتاضوا عن عطلة الخميس ما افتقدوه فيها من دروس كانوا يدرسونها وينتفعون بها .

ولأن بعض طلابنا – خلال المستويات الثلاثة الاولى قبل الجامعة ضعاف وبخاصة في اهم مايكون شخصيتهم العربية والاسلامية وذلك هو الالمام بالعلوم الدينية والعربية – نلح في هذا الرجاء .

الشباب وفتنة الجامعة !

* كتب الى احد محرري الصحف الاسبوعية ، من الشباب – يسألني عن مشكلة المتخرجين من الجامعات الذين يبلغون عشرات الالاف سنويا ، وصعوبة تأمين العمل لهم في اجهزة الدولة . . كما يسألني عن رأي في مواجهة هذه المشكلة التي تزداد تعقيدا عاما بعد عام ؟ .

- قلت للمحرر الصحفي السائل : في البداية لابد من القول ان الدولة – اي دولة – مسؤولة عن تعليم شبابها ثم توظيفه . . مهما تكاثر عددهم ، والذي يشجع على هذا القول : انه مازالت المؤسسات الادارية – اي اجهزة الدولة الادارية والتعليمية على اختلاف مستوياتها ، وتنوع مجالاتها – مازالت تستخدم الكثير من غير المواطنين . . فالشباب من ابناء الوطن اولى بهذه الوظائف من غيرهم ! .

وهناك دول عربية واسلامية طلابها اكثر عددا ، وجامعاتها كذلك ، ولم نسمع انها تحاول تخفيض عدد المقبولين من ابنائها في الجامعات ، واعتقد انها مدركة لمسؤوليتها التعليمية . . اولا والتوظيفية ثانيا ما استطاعت الى ذلك سبيلا . ولكن ليس من حقها ان تغلق في وجوه ابنائها ابواب العلم والعمل ، ولا ان تفضل تشغيل غيرهم عليهم .

وعاد المحرر الصحفي يسألني مرة ثانية : على أي الأسس يمكن ان تتم عملية التخطيط للحوافز التعليمية ؟ ومن الذي

سيحل محل العمالة الاجنبية التى بدأت ترجع الى بلادها ؟ .

- قلت للأخ السائل : اذا اردنا ان نحول الشباب من الالتحاق بالجامعات الى المعاهد الفنية والمهنية . . من اجل التخفيف عن الجامعات اولا ، ولملء الفراغ الكبير الموجود فعلا في قطاع الخدمات المهنية والفنية ثانيا – علينا ان ننشىء (كليات) بهذا الاسم . . من اجل الاغراء للشباب لاتقان العلوم الكهربائية والعلوم الميكانيكية ، والعلوم العمرانية . . حيث يلتحق بها الطلاب من المرحلة الاعدادية او الثانوية ، ويحصل الطالب في ختام دراسته على شهادة جامعية تماما كالتي تمنح للاخرين .

وهناك اغراء آخر للطلاب لكي يلتحقوا بالكليات الفنية والمهنية ، وهو تحويل المكافات المالية من طلاب الجامعات الاغنياء الى هولاء . . فاذا اجتمع اغراء المستوى الدراسي والشهادة مع اغراء المكافاة المالية اعتقد ان الاقبال على هذه الكليات سيزداد ، وسيكون التخفيف عن الجامعات واردا وواقعيا .

وكان سؤال المحرر الصحفي – الاخير – قوله : هل من الضروري ان نكون جميعا «جامعيين» ؟ وهل الشهادة مطلب قومي او مظهر اجتماعي ؟ ومادور الاولياء في توجيه ابنائهم الوجهة الصحيحة ؟ .

- قلت : لا . . ليس ضروريا ان نكون جميعا جامعيين ، ولكنها «فتنة» المظاهر العصرية اولا ثم ترتيب التوظيف على

مستوى معين من التحصيل العلمي . ثانيا : اضطر الشباب الى التماس الشهادة الجامعية . . للاعتبار الاجتماعي اولاً، ولضمان الوظيفة العالية ثانيا .

. . حتى البنات اللاتي مصيرهن الى البيت والزوج والولد اصبحن ينافسن الابناء على الفوز بالوسام الجامعي ، ويحرصن على الدراسة الجامعية حتى ولو جاءهن فوارس الاحلام رفضنهم - بل رفضهم آباؤهن معتذرات ومعتذرين بالرغبة في اتمام الدراسة الجامعية .

وهناك حقائق مؤلمة . . لم يسألني عنها المحرر الصحفي ، ولم اقلها له - وهى ضعف المستوى الدراسي الابتدائي والاعدادي والثانوي . . ضعفا شديدا بسبب ضخامة المقررات ، وارتفاع بعضها فوق المستوى الدراسي والعقلي للطالب الابتدائي او الاعدادي او الثانوي .

. . او بسبب اهمال المدرس او المدرسة واعتمادها في تدريس الطلاب والطالبات على الواجبات المنزلية وحدها - وقد اتصل بي هاتفيا ذات ليلة طالب صغير في المستوى الاعدادي ليستعين بي في فهم الواجب المنزلي الذي كلفه به الاستاذ . . وكان السؤال في زكاة الانعام عن اجزاء الثني والتبيعة . . ولم افهم السؤال من فوري فقلت للطالب : اقرأ على المقرر في زكاة الأنعام من الكتاب لكي افهم السؤال - فقال : ليس في الكتاب شيء عن موضوع السؤال الخ .

والمهم - اولا - انه ليس من الضروري تدريس الطلاب

الصغار في هذا المستوى زكاة الانعام من بقر وابل وغنم ومايجب في كل نصاب منها . . فهم لايفهمونها ولايعقلونها – وثانيا : يجب على المدرس والمدرسة ان يكلف الطلاب والطالبات بواجبات منزلية مفهومة يقرأونها عليهم خلال الدرس . . لا ان يحيلوهم على صفحات الكتاب على غرار مايفعل اساتذة الجامعة مع طلابهم عندما يحيلونهم الى المراجع المطلوبة .

والحديث عن الشباب والجامعات والمدارس وطلابها . . ذو شجون ربما نعود اليه بعد حين . .

زواج الطالب الثانوي

هناك مسألة مهمة ـــ فيما يطرحه الشباب عن زواج الطالب الجامعي والثانوي – هل هو صواب ام خطأ ؟ .

فقلت لهم : زواج الطالب الجامعي والثانوي مسألة (نسبية) فهناك من الطلاب من يرفض الزواج اذا عرضه عليه أبوه وأمه ويصر على الانتظار حتى الفراغ من دراسته الجامعية . . لكي يستطيع – بعد تخرجه وتوظيفه – تحمل مسؤولية الزوجة والولد والبيت ، ولئلا تشغله حاجات الأسرة ومشكلاتها وأمراضها . . عن مواصلة الدراسة واجتياز الامتحانات بنجاح .

وهناك من الطلاب من يرجو أباه أن يسارع الى تزويجه

لانه لايستطيع صبراً ولا انتظارا حتى الفراغ من الدراسة ، وهو في الوقت نفسه – قادر على الجمع بين الزوجة والمدرسة ، او الزوجة والجامعة دون ان تتأثر دراسته بذلك .

ورأيي في المسألة : أن لايجبر طالب لايريد الزواج عليه . . لانه سيؤدي الى تعقيد اموره وتعويق دراسته ، وسوف لايعامل زوجته كما يجب أن يعاملها به لأنه يراها شاغلة له عن هدفه وأمله في إنهاء دراسته والنجاح فيها .

كما ارى ان يستجاب للطالب الذي يريد الزواج ، فهو السبيل الى استقرار نفسه ، وهدوء مشاعره ، واستمراره في دراسته بجد وعزيمة .

زواج الطلاب بين الانتظار والتعجيل

لايعجبني حرص بعض الآباء على تزويج اولادهم ، وهم بعد في مرحلة الدراسة الثانوية ، او بداية المرحلة الجامعية ، بدعوى انهم يرغبون في ان يفرحوا بهم ازواجاً لنساء ، وآباء لأبناء ، فيروا – اي الآباء – أحفادهم قبل ان يقضوا نحبهم .

لايعجبني ذلك لأمرين :

- الاول : أن الزواج مشغلة للطالب عن التفرغ للدرس والحفظ والفهم ، فمع الزواج مرض الزوجة ، وحملها ووضعها ، ثم أمراض الاولاد ، والاهتمام والانشغال بمطالب

الأسرة معيشةً وتمريضاً وتطبيباً .

- الثاني : أن الزواج المبكر للطلاب يعجل بشيخوخة الزوجة ، لأن المرأة تهرم قبل الرجل لأسباب الحمل والوضع المتكرر ، وقد يتزوج الطالب بفتاة مقاربة له في السن او مماثلة له ، وعندما يكبر ويتخرج ، وتمر سنوات معدودة يرى نفسه اقوى وأصح وأنضر من زوجته . . فيفكر بل يتمنّى ان يتزوج عليها او يطلقها لينفرد بشابة طرية سوية بهية .

وقد قرأت – خلال الأيام القليلة الماضية – رأيا لابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري في كتاب (صيد الخاطر[5]) ينصح فيه مثل نصحي بتاجيل زواج طالب العلم – يقول ابن الجوزي : «واختار للمبتدىء في طلب العلم ان يدافع النكاح مهما أمكن فان احمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له اربعون سنة ، وهذا لاجل جمع الهم ، فان غلب عليه الامر تزوج ، واجتهد في المدافعة بالفعل لتتوفر القوة على إفادة العلم . ثم ينظر مايحفظ من العلم ، فان العمر عزيز ، والعلم غزير .

- قلت : وأنا لا أطالب العلم ان ينتظر الى الأربعين كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وانما ينتظر حتى يتم تعليمه الجامعي ، ويستطيع معه ان يتحمل مسؤولية الزوجة والاولاد ، ونفقات الاسرة ، والاشراف عليها .

---

(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي جـ/٢ ص/٢٥١ .

ولابأس ان يتزوج الطالب المغترب ، والطالب المقيم اذا غلب عليهما الأمر – على حد تعبير ابن الجوزي – وخيفت الفتنة .

اما الآباء الذين يريدون تزويج ابنائهم الطلاب لمجرد الفرح بهم وبأولادهم ، أو يرغمون ابناءهم على الزواج دون رغبة من الأبناء أنفسهم : فهم مخطئون ، وقد اثبتت التجارب خطأهم ، بما هو مشهود وملموس .

الطلاب العرب خارج بلادهم

– ١ –

طلابنا الذين يدرسون في بعض جامعات امريكا واوروبا يشكون من ضعف ثقافتهم الدينية ، وعجزهم عن الاجابة على اسئلة زملائهم الامريكيين او الالمان عن حكمة تعدد الزوجات ، وجعل الطلاق في يد الرجل – وغير ذلك من الاسئلة . . ولكنهم – اي طلابنا – لايرجعون على انفسهم باللوم ، وإنما يرجعون به على وزارات المعارف ومناهج التعليم ، ويطلبون العون منها بتأليف الكتب في هذه الموضوعات وترجمتها ونشرها في أمريكا واوروبا وتوزيعها على الطلاب قبل ابتعاثهم .

وهم – بوضعهم – هذا يرمون غيرهم بدائهم وينسلون كما يقول المثل المعروف والا فاين هم عندما كانوا في

بلادهم يدرسون المرحلة الثانوية ، وقبلها الاعدادية .

– اين هم من القراءة الحرة والدراسة الخاصة ؟ .

في الواقع – وكما هو معروف ومنظور – انهم يقضون اوقات فراغهم وشهور عطلتهم . . في قراءة حرة ودراسة خاصة يخلون فيها الى طائفة من الكتب والمجلات ولكن اي الكتب واي المجلات ؟ .

انها – بالطبع – ليست الكتب والمجلات الاسلامية التى تضم بحوثا ودراسات قيمة عن الشؤون الدينية من احكام واداب ونظريات ، وتشتمل على الرد على شبهات المستشرقين والملحدين حول الاسلام . ومنها – مثلا – تعدد الزوجات – والطلاق .

هل يقرأ طلابنا مثلا مجلات البعث الاسلامي والتضامن الاسلامي – والرابطة – والفكر الاسلامي – وحضارة الاسلام – والوعي الاسلامي ؟ وأمثالها .

وهل يقرأون كتب العقاد عن العبقريات الاسلامية – والمودودي – والندوى وسيد قطب – ومصطفى السباعي – ومحمد قطب وغيرهم ؟ . وان فيها لتفصيلا لاسرار التشريع الاسلامي ودحضا لشبهات الملحدين وافتراءات المستشرقين ؟ .

والجواب – طبعا – لا وانما هم يقرأون القصص والكتب الخفيفة السطحية عن الحب ، والجنس ، وفلسفة سارتر وقصص العلاقات الغرامية واسرارها ، ومذكرات العشاق ! .

وبعد ذلك يلومون غيرهم ويلتمسون العون من سواهم . .

وهذه رسالة من المانيا كتبها احد الطلاب الذين يدرسون هناك : يقول فيها بعد التحية :

- «كنت وبعض زملائي الطلبة نتحلق حول الراديو ، ذات ليلة للاستماع الى اغنية طويلة لمغنية عربية معروفة بسهراتها واغنياتها التى تستغرق الليل كله . وكنا نسكن في منزل سيدة المانية شان جميع الطلاب الذين يتلقون تعليمهم العالي في المانيا . واذا بالسيدة صاحبة المنزل تتردد علينا داخلة خارجة ، كانها تنكر هذا الشيء ، حتى انتهت السهرة الطويلة ، فاقبلت السيدة الالمانية علينا ، وتوقعنا منها لوما او توبيخا لما عسانا ان نكون قد سببناه من ازعاج لها او اقلاق ولكنها لم تذكر من ذلك شيئا ، وانما قالت لنا في لهجة هادئة وعبارة آسفة : هل رخص وقتكم الى هذا الحد حتى اضعتم ليلة كاملة في الاستماع الى اغنية . . مجرد اغنية ؟» .

قرأت رسالة هذا الطالب ، ورأى هذه السيدة الالمانية عن ارخاص الطلاب لاعمارهم واسرافهم في امورهم ثم قلت في نفسي ، وها انا اقول للقراء ايضا : ما اكثر ماننفق نحن العرب من اوقاتنا ، بل من حياتنا . . في اللهو واللغو . وما اقل مانبذل من جهد وزمن في طلب العلم النافع وانجاز العمل المثمر المفيد ! !

واقرب الامثلة : الاغاني والتمثيليات . . كم من يومنا

وليلتنا نقضي في مشاهدتها والاستماع اليها ، اكثر مما نستمع الى الاحاديث العلمية والقصصية والاخلاقية التى تفتق الذهن وتنير البصر ؟ .

- ٢ -

وكتب طالب عربي من هيوستن تكساس بامريكا - رسالة في جريدة عربية جاء فيها قوله :

ان الشباب هنا في بلاد الغربة يعيش في ظروف مغايرة عن تلك التي عاشها من قبل ، ومجتمعات تختلف عن تلك التى كان فيها وقد يظهر هذا البون شاسعا في حالة كون الشاب مبتعثا للدراسة في دول الغرب - اوروبا وامريكا - فهى مرتع لتيارات واتجاهات مختلفة متضاربة يقف امامها شبابنا حائرا .

ولذلك يجب الاهتمام بشبابنا في الخارج وتحصينه من التيارات الاخلاقية والفكرية الجارفة . . حتى يكون مايعود به من هناك هو العلم والمعرفة ، وليس قشور الحضارة الغربية الهدامة - ولهذا فان النضوج الفكري والقدرة على التصرف العاقل لدى شبابنا الدارسين في الخارج امر له اهمية كبرى . وقد يكون هذا امرا مسلما به في حالة المبتعثين للدراسات العليا والماجستير والدكتوراه ودورات الموظفين التدريبية فغالبا مايكون هؤلاء في سن تسمح لهم بالنظرة السليمة

والتصرف العاقل .

ولكن كيف حال شبابنا المبتعثين لاكمال دراستهم الجامعية في الخارج بعد حصولهم على شهادة الثانوية وهم في ريعان الشباب ومراهقته . معدل اعمارهم يتفاوت بين الثامنة عشرة والعشرين وهى فترة خطيرة وحرجة في حياة الفرد . وكثيرا ماشدد علماء النفس بضرورة الاهتمام بمعالجة مشاكل الشباب في هذه السن بطريقة مدروسة سليمة بحيث يضمن المجتمع عملية انتقال هذا الفرد الى مرحلة النضوج الفكري والتعقل في التصرف والتحكم في العواطف ليكون عضوا عاملا في هذا المجتمع يحمل كل مبادئه وقيمه .

ولهذا فان كون فئة من شبابنا العربي يعيشون هذه الفترة الحاسمة من حياتهم خارج بلادهم وبعيدا عن انظار مجتمعهم ، امر يجب ان نعطيه من الاهمية والتقدير مانستطيع ، فالعالم الغربي يعيش في زماننا هذا في ظروف حرجة فرضتها عليه ظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولهذا فهو يتخبط باحثا عن نهاية الطريق اليها صعب . ولهذا فهو عالم غريب ولاعجب اذا سمعنا عن اختلاف معتقداته وانحراف اتجاهات شبابه ، وارتفاع معدلات جرائمه واحداثه المؤلمة . وشبابنا الغض يعيش وسط هذا الزحام ويختلط به في المدارس والشوارع وهى ظروف قد لايستطيع وحده مقاومتها بل قد تكون مظاهرها خداعة فتجرف الى المجهول . واملي في ان يتناول كتابنا هذا الموضوع بتفصيل

اكبر على صفحات الجرائد والمجلات وتجول بخاطري الان بعض الاقتراحات والهدف منها هو السعي لربط طلابنا في الخارج بالاحداث بمبادئنا وبديننا الحنيف .

في المحيط العائلي – تعتبر المراسلات الخاصة بين الطالب المبتعث واهله في الوطن امر اساسي يستطيع فيه الاهل بالقيام بدور ارشادي وتوجيهي .

في المحيط الصحافي – اقترح ان تشترك المؤسسات الصحفية بدور فعال بان تنظم مع الملحقين الثقافيين عملية اشتراك كل طالب في صحيفة محلية بحيث تصله باستمرار لتربط بينه وبين احداث الوطن ولااعتقد ان صحافتنا العربية تبخل في المساهمة في هذا المشروع الهام بتخفيضات خاصة على اقل تقدير .

في المحيط الحكومي – اعتقد ان بعض الترتيبات يمكن اجراؤها لتزويد الطالب عند بعثته ببعض الكتب والمنشورات الاجتماعية والدينية والتي توضح له اهمية الحفاظ على الدين والقيم والمبادىء وانها سلاح الطالب في طريقه الطويل ورفيقه الامين في غربته .

هذه مجرد افكار اطرحها امام كل اب وكل مسؤول في بلادنا العربية فلعلها تكون اشارة البدء لحوار اعمق ، وبالتالي للعمل نحو مستقبل افضل ، وحماية لشبابنا وهم عدة المستقبل ، والنواة التى يجب ان نتأكد من صلاحها .

اكرر – هنا – رأيى القديم الذي ناديت به في

محاضراتي - وكتبي - ومقالاتي في الصحف والمجلات . . وهو انه ينبغي للدول العربية والاسلامية ان تنشيء لطلابها في اوروبا وامريكا بيوتا اسلامية يقيمون فيها او يترددون - عليها . بحيث يجدون في نظامها الاجتماعي والاخلاقي والديني جو بلادهم وامتهم . كما يستمعون من الموجهين المرشدين فيها الى بعض المواعظ والاداب الدينية والاخلاقية النافعة لهم في سلوكهم هناك الى جانب الاجابة على تساؤلاتهم واستفتاءاتهم حول مايثار في وجوههم من شبه واشكالات حول الاسلام .



الفصل السادس
الحوار مع الطلاب والشباب

من حق الشباب ان نستمع اليه

الأخ الفاضل المهندس الكيميائي عبد الله محمد على عباس – من جزيرة فرسان بمحطة تحلية المياه – يريد أن يخوض غمار الموضوع الذي كتبت عنه تحت عنوان «أزمة شباب لا ازمة كتاب» في كلمة سابقة ، وطلب مني أن امنحه صدراً رحباً لكي يناقشني فيما كتبته عن الشباب وعزوفه عن القراءة الجادة المفيدة . .

وصدري – بحمد الله – رحب ومفتوح دائماً للطلاب والشباب لكي يتحدثوا ويناقشوا ويعترضوا ايضاً . ولنستمع الى الاخ عبد الله محمد على عباس يعقب بحرية تامة :

- «نحن الشباب ابناؤكم ، وهمّكم ، وأملكم . . نكنُّ لكم كل حب وتقدير . . فلا تجعلوا كل السلبيات ذات مصدر واحد هو الشباب .

- إن الشباب يواجه مجتمعات لم توفر له الحياة الهانئة . . فكيف يتناسى انه عاجز عن إكمال نصف دينه بالزواج ؟ .

- ان مجتمعنا لايؤمن بالثقافة العميقة ذات المردود النافع السليم . بل يؤمن بالاستهلاك الأعمى لكل «ماهب ودب» وحال المثقفين او التواقين للثقافة هو حال فرضته ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية جعلت منهم مخازن معرفة فقط . .» .

- هل ترى حتماً عليَّ أن أترك مقر عملي الذي استقي منه

كل المعرفة والتقنية ، واذهب الى مدينة كبرى لحضور ندوة عن الشعر والقصة أو موضوع فرعي في الدين . . لايرقع تلك الفجوات في ستار الواقع ؟» .

- استاذي الفاضل . . لقد ملأت العرب ملايين الدواوين والكتب بالأدب والعقيدة والشعر والفلسفة . . فهل يُحرك بيت من الشعر آلة في مصنع ؟» .

- اما العقيدة . . فبكل أسف يندر أن تجد رجل دين استطاع ان يكون مثالاً راقياً للمعرفة العلمية الحديثة . . وما أكثر مايتحدثون أو ما يكتبون . . ولكن دون جدوى أو تأثير» .

- نحن الشباب المسلم . . نحترم الذي يفهم أن الاسلام هو دين عمل وتحد فكري لكل الغارقين في بحر الكلام . .» .

- ان مجتمعنا لايكن للأدباء والمثقفين من الاحترام مايكنه لفنان تافه يصنع منه اسطورة على كافة المستويات – للأسف الشديد» .

- اني ليعتريني الخجل . . وأنا أتسلم عند نهاية كل شهر العديد من المجلات العلمية الغربية النافعة ، وذات المستوى الرفيع جداً دون مقابل – في حين لاأجد اية اهتمامات نافعة لمجلاتنا العربية» .

- استاذي الكريم . . أدعوك في آخر رسالتي الى زيارتنا في جزيرة فرسان لتقضي وقتاً ممتعاً بعيداً عن ضوضاء

المدينة . . انها جزيرة هادئة في عمق البحر الاحمر . . فأهلاً بك ، ونحن ابناؤك ومكانتك في قلوبنا كبيرة والله يحفظك ويرعاك» .

ولا اجد ماأعقب به على رسالة الأخ عبد الله عباس ، فاكتفي بشكرى له على دعوته لزيارة جزيرة فرسان ، ونزولي ضيفا عنده ، وأدع التعقيب عليه لإخوانه من الشباب إذا وجدوا في أنفسهم مايدعو إلى التعقيب .

حيرة الشباب لاختلاف الفتاوى

سبق ان اشرت في مقالة سابقة الى حيرة الشباب لما يقرأونه من اختلاف او تناقض بين فتاوي العلماء كمصافحة المرأة الاجنبية فمنهم من يحلها ومنهم من يحرّمها . .

واليوم تلقيت رسالة من الأخ الفاضل المهندس عبد الجواد محمد عبد الجواد يعرض فيها للمسألة نفسها ويقول : ان مجموعة من الشباب جلست في احدى الحدائق بالطائف ، وتحاوروا بينهم وقال بعضهم نقرأ او نسمع : ان الغناء حرام ، وان حلق اللحية كفر . . وراحوا – يتساءلون كيف كانت لحية الرسول ﷺ طويلة ام قصيرة وهكذا تكررت مسائلهم ، وبدت حيرتهم بين من يقول من العلماء : ان اطلاق اللحية سنة مؤكدة ، ومن يقول انها واجبة ، وان حلقها فسوق ومعصية ، وبين من يحرم الغناء مطلقا وبين من

يحل منه ماكان خاليا من الغزل والغرام وذكر النساء ، ولا يثير الشهوات . . كالاناشيد الدينية والوطنية . والقصائد التي تروى التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية الخ .

والقارىء الفاضل يريد منى اجابة شافية في هذه المسائل وامثالها مما يشغل اذهان الشباب ، وتحدث لهم حيرة لاختلاف العلماء حول تحريمها وتحليلها .

- قلت : إن الاختلاف في هذه المسائل قديم ، وهو يتجدد مع المتشددين والمتخففين من كل جيل .

والاعتدال مطلوب حتى في العبادات . . فهناك من يسرف في اطلاق لحيته دون تهذيب او تقويم حتى كأنه ليس انسانا خلقه الله في احسن تقويم . . وهناك من يستأصلها ويستأصل شاربه حتى كأنه امرأة جرداء ولاشك ان للرجولة معالمها التي يجب ان تحتفظ بها ، وللانوثة مثلها والتشبه باحد الجنسين ممنوع ، بل ان المتشبه بالمرأة ملعون والمتشبهة بالرجل ملعونة .

وحسبنا توجيه الرسول ﷺ : (ان الله جميل يحب الجمال)[1] وقوله ايضا : (تنظّفوا فان الاسلام نظيف) .

كما أن إنشاد الاشعار التي تذكّر بالتاريخ الاسلامي او المواقف السلفية او الاعمال الصاحلة او القصص الرادعة — والاشعار التى تثير الحماس في نفوس الطلاب والشباب لبذل مزيد من الاجتهاد في طلب العلم والتقدم في المجال الفكري

(١) رواه مسلم واحمد وابن ماجة .

وبالتالي في المجال العملي . .

. . إنشاد هذه القصائد او الأشعار لاحرمة فيه بل هو مطلوب لاثارة النفوس الخامدة ، والعزائم الهامدة نحو الخير من قولٍ أو عمل .

والمهمّ او المحذور والمحظور أيضا : الا تشتمل هذه الأناشيد أو القصائد على غزل بالمرأة وحديث عن أوصافها وأثارة للشهوة الجنسية .

وأعود فاكرِّر : أن الاعتدال مطلوب في كل شؤون المسلمين وأعمالهم وتصرفاتهم وفي مظاهرهم وصورهم أيضاً والله الموفق والمعين .

شاب حائر . . يلتمس هدى !

الفتى (م . م . الزهراني) من الدمام يقول في فاتحة رسالته : إنه يريد أن يسير في حياته على صراط مستقيم وهو شاب جامعي . . ارتكب في حياته الغابرة أخطاء جنسية أصبحت ذكرياتها تؤرق منامه ، وبخاصة مايتعلق منها بإحدى قريباته . . وهو يريد الآن أن يتطهر من آثامه ، ويشفي من آلامه ، فما هو أسلوب التوبة مما اقترف من أخطاء ؟ .

ويضيف : إن هذه الأخطاء التى ارتكبها سببت له انعزالاً

عن الناس ، كما ان الشيطان يوسوس له دائماً أنه سيموت قريباً . . فماذا يعمل ليعيش كما يعيش الناس ؟

ويختم رسالته : بأن فكرته عن الزواج وتكوين الأسرة سيئة جدا بسبب ماقاسى من زوجة أبيه . . حتى استقر في ذهنه أن المرأة شيطان رجيم ، وأنها كذلك شر مستطير ، ويذكر مرة أخرى علاقته الجنسية بإحدى قريباته وماأورثته من هم وقلق ، وسوء فهم للحياة الجنسية الطبيعية ، وهو الآن شديد الخوف من أن يزداد انحرافاً وارتكاباً لأخطاء أخرى .

ويسأل أخيراً : كيف يتحكم في غريزته ؟ وكيف يضبط سلوكه ، ويقوم تفكيره تجاه لجة المفاتن التى يعيش فيها ؟ وينتظر الإجابة الشافية . .

- وإجابتي للأخ (الفاضل) : م . م . الزهراني أوجزها في السطور التالي ، وأرجو أن لا يتعجب القراء من وصفي له بأنه (فاضل) على الرغم من اعترافاته الصريحة بأخطائه وآثامه الكبرى .

فإن فضيلته تتجلى في اعترافه بخطاياه ، وفي التماسه طريق التوبة والاهتداء . . أي أن نفسه طيبة ، وليست خبيثة ، وضميره حي وليس ميتاً ، فإن كثيراً من الشباب ، بل من الكهول يفعلون مثل مافعل ، ومع ذلك لايفكرون في التوبة من خطاياهم ، والكف عن ذنوبهم ، والعودة إلى طريق الخير والهدى والرشاد .

إذاً هو (فاضل) نفساً وضميراً ونيةً ، والله عز وجل

يحاسب ويجازي أيضاً على النيات الطيبة ، ويعفو عن النيات السيئة مالم تتحولِ إلى قول أو عمل .

وليطمئن الأخ م . م . الزهراني إلى أن مايعانيه نتيجة لأخطائه - مهما كبرت - لايحتاج إلا إلى توبة نصوح ، أي توبة صادقة عما أسلف من ذنوب ، مع الاستغفار الدائم ، وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، والتضرع إلى الله في أعقابها بالدعاء المأثور : (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر) وليكثر من تلاوة القرآن وسماعه ، ودراسة تفسيره .

ولما كان يبدو لي من رسالته : أنه ليس عاجزاً مادياً عن الزواج . . فليسارع إليه ، ولتكن زوجته قريبته التى ارتكب معها الخطأ الجنسي ، إن لم تكن مَحْرَماً عليه - من ناحية النسب أو الرضاعة - وإن كانت هى تتلمس طريق التوبة والأوبة إلى طريق الهدى ليكون في زواجه بها تصحيحاً لأخطاء الماضي بالنسبة لهمامعاً .

وسواء تزوج الآن . . أم لم يتزوج - وإن كان الزواج ضرورياً جداً مع القدرة عليه - فإنه مطالب بأن يشغل فراغه بالقراءة والدراسة عبر الكتب والمجلات والإذاعة والتليفزيون ، بحيث يختار الموضوعات والبرامج العلمية والأدبية والدينية النافعة ، التى تشغل عقله ووجدانه بالأفكار

والمعارف التي تصنع منه مواطناً صالحاً .

وأخيراً : ليكن لديه يقين ثابت بأن الله عز وجل يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، بل هو تبارك وتعالى يدعو الذين أسرفوا على أنفسهم في الخطايا والذنوب : ألا يقنطوا من رحمته وعفوه . . فإن من صفاته عز وجل : أنه غفور رحيم ، وتواب حكيم ، وفي الأحاديث النبوية : أنه تبارك وتعالى عظيم الفرح بتوبة عبده .

والمهم في المسألة : صدق التوبة ، وإخلاص العزيمة على الإقلاع عن الذنب والإصرار على سلوك طريق الخير ، وسبيل الهدى .

وأسأل الله له حسن المتاب ، وصلاح المنقلب .

مسؤولية الآباء . . بين التربية التشريع ؟

طالب من ثانوية مكة المكرمة – لم يذكر اسمه – يقول : لو أن شاباً ارتكب جريمة ما – فهل على الوالدين ذنب ؟ ! أي هل يؤخذان ويعتبران شريكين لولدهما ويستحقان العقوبة مثله ؟ .

- والجواب : إن في القضية جانبين : تربوي وشرعي . . أما الجانب التربوي فالأبوان مسؤولان عن أولادهما من ذكور وإناث ، وعليهما واجب التربية والتقويم والإصلاح تجاه هؤلاء الأبناء والبنات .

فالقرآن الكريم يوجه الآباء والأمهات والأزواج إلى هذه المسؤولية التربوية في قوله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾[٢] .

والحديث النبوي الصحيح يحدد ويؤكد هذه المسؤولية التربوية من قبل الآباء والأمهات تجاه أولادهم في قوله عليه الصلاة والسلام : «**كلكم راع . . وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، ألا كلكم راع ومسؤول عن رعيته**» .

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تقرر وتؤكد مسؤولية الآباء والأمهات عن تقويم أولادهم دينياً وسلوكياً - لايتسع المجال لذكرها هنا .

وأما الجانب الشرعي . . أي مؤاخذة الأبوين جنائيا بما ارتكب الأبن من جريمة ، فإن الشريعة الإسلامية لاتؤاخذ أحداً بذنب غيره ، أو جريمة سواه . . ولو كان أباً له أو ابناً أو أخاً أو عماً أو خالاً .

القرآن صريح في ذلك بما لايدع مجالاً للشك أو يفتح باباً للخلاف ، حيث يقول الله عز وجل :

- ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها﴾[٣] .

---

(٢) سورة التحريم/٦ . (٣) سورة الانعام/١٦٤ .

- ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[٤] .
- ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾[٥]
- ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾[٦] .

وفي الحديث النبوي الشريف :

- «من أحدث شيئا فعلى نفسه» .

- «أما أنه لايجني عليك ، ولا تجني عليه» - قال ذلك ﷺ لوالد وولده حضرا بين يديه - ومعناه لايتحمل الوالد جريرة ابنه ، كما لايتحمل الابن جريرة أبيه .

وهكذا امتاز الإسلام بمبدأ (شخصية) الجريمة و (شخصية) العقاب إذ لم تعرف التشريعات الغربية هذا المبدأ العادل إلا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، فقد كانت قبل ذلك تأخذ الأب بجريرة ابنه ، والجار بخطيئة جاره ، أما الإسلام فقد شرع - منذ أربعة عشر قرنا - (شخصية) الجريمة والعقاب . . أي أن الشخص المذنب وحده هو المؤاخذ وهو المعاقب .

شاب يشكو مأساته ؟

- «قارىء» من الرياض - لكن يبدو أنه من السودان - لأني تعودت على مثل رسالته وموضوعها والورق التي كتبت

(٤) سورة فاطر/١٨ . (٥) سورة الطور/٢١ . (٦) سورة فصلت/٤٦ .

عليه . . تردني من إخوة سودانيين . . هذا القارىء يقول في فاتحة رسالته : أرجو أن أجد في إجابتك لي الشفاء لهذه النفس المتكدرة ثم يقول :

أولاً : هناك إحساس مرير يلازمني . . وهو أن القسمة والنصيب والحظ والقدر والدنيا اجتمعت على ظلمي ، فقد عانيت الأمرين . . وشعرت بالذل في متابعة دعوى قضائية استمرت فصولها القاسية خمس سنوات ، ولم يكن لي يد فيها ، وهناك بقايا من هذا الشعور حتى بعد الفصل فيها . . وأمر من هذا الشعور مايردده وتر في داخلي – وأعتقد أنه وتر يحركه الشيطان – بأن دعواتي لاتستجاب وأن الله لايأبه لها – أعوذ بالله وأستغفره وأتوب إليه – فأنا أصلي منذ ٢٣ عاماً وقد بلغت الآن الثلاثين ، والذي يعطيني هذا الإحساس باليأس صدى تعثري في حياتي العملية ، رغم «الليسانس» التي أحملها ، وهذا مايجعلني أحياناً أغار من بعض زملائي الذين يعملون ، وبعضهم لم ينل مانلته من التعليم . . وهذا الصوت مزعج مزعج . . والعياذ بالله .

أ . هـ

- وفي الرسالة مسائل أخرى ، ولكنني أقف هنا للإجابة على أهمها ، وهي هذه المأساة التي يعيشها القارىء «السائل» .

- ياأخي العزيز . . أنت مؤمن بالله عز وجل ، وتؤدي

الصلاة المفروضة عليك – كما ذكرت في رسالتك – وتدعوه دائماً ، ولكنه لايستجيب لك كما تقول ، ولذلك تتصور الدنيا والحظ والقسمة كلها ظالمة لك ، خانقة عليك ، مدبرة عنك .

- ولكن فاتك أن يقترن إيمانك بالصبر ، وأن تقترن عبادتك ودعاؤك بالأمل ، وأن تعلم يقيناً أن الدنيا دار امتحان وابتلاء واختبار .

- لقد فاتك أن تعلم – عن طريق القرآن لو كنت تتلوه دائماً – أن أنبياء الله ورسله ، الذين بعثهم لهداية خلقه ، وعصمهم من الخطأ ، قد لاقوا عنتاً شديداً وصداً عنيفاً من أممهم وأقوامهم ، بل لقوا أذىً قولياً وعملياً منهم ، وكان الله يستطيع أن يكفيهم ذلك ، وأن يجعل أقوامهم يسارعون إلى الإيمان بهم ، أو على الأقل يكف أذاهم عنهم . . ولكنه تبارك وتعالى لم يفعل وترك الأمر بين الأنبياء وبين أقوامهم مع تكفله بنصرهم في النهاية ، أي لابد من الصبر على البلاء حتى بالنسبة للانبياء .

لو كنت تقرأ القرآن – أو تسمعه – لأعطتك قصة سيدنا يعقوب عليه السلام مع أبنائه الذين أبعدوا أخاهم يوسف ثم أخاهم شقيق يوسف لأنه كان يؤثر يوسف عليه بمحبته وعطفه . . وصبر يعقوب نحو أربعين سنة حتى عمى بصره من الحزن على يوسف ، وقال لهم بعد فراق يوسف :

﴿فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون﴾* وفي المرة الثانية بعد فراق شقيق يوسف : **﴿فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾*** وأوصاهم بقوله : **﴿يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولاتيأسوا من روح الله ، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرين﴾*** .

- وكانت عاقبة هذا الصبر الطويل الجميل مع الإيمان المطلق بفرج الله أن جمع الله يعقوب بابنيه يوسف وشقيقه .

- وفي آية أخرى من القرآن جاء على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : **﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾*** .

- فلا بد للمؤمن الصادق من الإيمان الثابت مع الصبر الجميل ، والأمل الواسع في رحمة الله وفرجه . . وقد جاء التوجيه النبوي يحذرنا من أن يقول أحدنا : دعوت فلم يستجب لي ! فإن الله يستجيب للعبد مالم يعجل فيترك الدعاء .

- كما جاء التوجيه النبوي إلى أن دعاء المؤمن يستجيبه الله تبارك وتعالى ، وأن الإجابة تأتي في ثلاث صور .

الأولى : أن يعجل للعبد حاجته التى سألها .

الثانية : أن يدفع عنه من البلاء مثلها . . أي أن يكون هناك بلاء مقدر عليه ، فيصرفه الله عنه في مقابل هذه الدعوة .

---

* يوسف آية ١٨ . * يوسف آية ٨٣ .

* يوسف آية ٨٧ . * الحجر آية ٥٦ .

الثالثة : أن يدخر له دعوته للآخرة فيزيد من حسناته أو يرفع من درجاته .

- وهناك توجيهات نبوية متعددة إلى أن العبد عليه أن يدعو الله ، وأن يلح في الدعاء ، وأن يكثر من سؤال الله مايريد مما عظم أو هان من أموره . . ومن ذلك ماروي عنه ﷺ : «**إن الله يحب أن يسأله عبده كل شيء . . حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع**» ومن ذلك أيضاً : «**من لم يسأل الله غضب عليه**» .

- وثمة مطلب في غاية الأهمية في هذا الأمر وهو أن يؤمن الداعي يقيناً صادقاً باستجابة الله لدعاء المؤمن ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾* وفي الآية أيضا شفاء من القنوط الذي تشكون منه ورشد لك ولحياتك .

- فعليك ياأخي العزيز أن تتخذ من الآية القرآنية : ﴿**يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولاتيأسوا من روح الله ، إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾* شعارا ومبدأ ودليلاً يحمله قلبك وبصرك وسمعك وكل جوارحك . . وستجد برد الإيمان والأمل والصبر في نفسك أبداً .

---

* البقرة آية ١٨٦ .

* يوسف آية ٨٧ .

نفسك إن لم تشغلها بالحق . . شغلتك بالباطل !

- في سؤال لأحد الطلبة الثانويين – بعد إلقائي إحدى المحاضرات ضم نشاط التوعية الإسلامية – يقول الطالب : «أريد أن أكون مسلما حقاً . . لامنافقاً ولا مستسلماً . . أريد أن أخشع عند سماع ذكر الله ، لا أن ألقى له بالاً ؛ فماهى أحسن بداية لمعرفة الله ، والشعور بوحدانيته وعظمته ، حتى أتحاشى الوقوع في المزالق التي تثار في مجتمعنا بطريق خفي ؟» .

- سؤال الطالب يعني انبعاث (الفطرة) الدينية في ضميره ، وتحركها في نفسه . وهو يعني – كذلك – تألمه وتأذيه من إعراضه عن ذكر الله ، وقلقه وحيرته وحيرته تجاه مظاهر الانحراف ، ومزالق الفتنة . . التي يجدها حوله .

- وهذا مايؤكده القرآن الكريم وحديث الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، فالقرآن يشير إلى : ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾* . . وإلى : ﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**﴾* . . ويقص القرآن إلى جانب ذلك قصص الإنسان الفرعون ، والإنسان المشرك ، والإنسان الهلوع ، والإنسان الكفور ، والإنسان المجادل . . هؤلاء

---

* الروم آية ٣٠ .　　* البقرة آية ١٣٨ .

الأناسي الذين لاتستيقظ فطرتهم السليمة من نومها إلا عندما يدركهم الغرق فيؤمنوا بالله وحده .. أو عندما يضلون في البر والبحر، أو تثور في وجوه مراكبهم العواصف أو القواصف فيرفعون عندئذ أبصارهم وأيديهم إلى السماء يسألون الله النجاة .

- وفي الحديث النبوي : «**كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه**» .

- والدين – أو التدين أو التعبد لله عز وجل – كما أنه (فطرة) فهو ميثاق ﴿**وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا**﴾* .

- وبالنسبة لاسترشاد الطالب عن الطريق إلى الله ؟ أوصيه بقراءة كتاب (الداء والدواء) للإمام ابن القيم – رحمه الله – ففيه الجواب الكافي عن الدواء الشافي – وهذا اسم آخر للكتاب – فيه يقرأ الطالب لابن القيم ، وكأنما يقرأ لعالم نفساني حديث أو عالم أخلاقي معاصر ، إلى جانب الروحانية المؤمنة المطمئنة التي تسيطر على الأفكار والمعاني ، وتسلسل الألفاظ والجمل والسطور ، بسيطة بليغة فهي سهلة وممتعة ، وعميقة المعنى سامية المقصد ، ومفهومة مهضومة في نفس الوقت ! .

- يتحدث ابن القيم رحمه الله – في هذا الكتاب –

---

* الأعراف آية ١٧٢ .

حديث الملهم الخبير عن الذنوب وآثارها على القلوب ، وعقوباتها الشرعية والقدرية ، وعن مفاسد الشر وأنواعه الخفية والظاهرة ، وعن العدوان والظلم والزنا ومقدماته من نظرات وخطرات ثم إرادات وعزمات ، والقتل وحكمة الحدود وفلسفة التعزير . . الخ .

- يتحدث حديث القانوني الشارح ، وحديث الطبيب المصلح ، يتحدث مثلاً عن الذنوب صغارها وكبارها ، ومايتركه تتابعها من غير توبة : قسوة في القلوب ، وظلاماً في البصائر ، ووحشة في النفوس .

- ويتحدث – أيضاً – عن النظر . . وأنه أصل كل المصائب التي تدرك الإنسان ، ثم عن الخطرات وماتلده من الشهوات ، ثم مايتبع هذه الخطرات من الإرادات ومايلحق بها من العزمات . . ثم الوقوع في المآثم والمعاصي .

- ويحصر ابن القيم تفكير العاقل الرشيد في :

اولاً : التفكير في آيات الله المنزلة (القرآن) وفهم مراده من أمره وزجره وقصصه ووعظه .

ثانياً : التفكير في آيات الله المشهودة في كونه وخلقه .

ثالثاً : التفكير في إحسانه وإنعامه ورحمته ولطفه .

رابعاً : التفكير في عيوب النفس وآفاتها لإصلاحها حتى تعيش آمنة مطمئنة .

خامساً : التفكير في واجب الوقت ووظيفته .

وماعدا ذلك من الخطرات والفكر فوساوس الشيطان ،

وأماني باطلة ، وخدع كاذبة .

- ويتحدث - خلال ذلك - عن النفس الأمارة والنفس المطمئنة وكونها متعاديتين ، فليس أحب إلى الأولى من معصية الله ، ولاأحب إلى الثانية من طاعته ، وإن الحرب بينهما مستمرة . . ولكن النصرة مع الصبر والعاقبة للتقوى .

- إن قراءة كتاب (الداء والدواء) لمثل الطالب السائل متعة وشفاء لصدره ، ونور في طريقه الى الله .

السينما . . حلال أم حرام ؟

- الأخ تركي عبد الله أحمد - من جدة - يقول في رسالته : إني لاأبالغ إذا قلت أنك أحد الكتاب الذي أحرص على متابعة كتاباتهم في الصحف والمجلات ، ولذلك أود أن أسألك : هل السينما حلال أم حرام ؟ أم أنها من الشبهات ؟ وقد قرأت لأكثر من عالم إسلامي يقول : إن السينما كأداة شيء مباح لا يدخل في دائرة الحرام . . فإذا استعملت في كل ماهو فاسق صارت حراماً . وأظنك توافقني بأن الدواء وجد أصلاً لفائدة الإنسان ، ولكن استخدامه بطريقة خاطئة يعطى نتائج سيئة .. والسينما كوسيلة أظنها كذلك . . ولكن أعداء الإسلام استخدموا السينما لإفسادنا ، لأنها أكثر تأثيرا من الخطب والصحف . لذلك أرجو أن تقول كلمتك في السينما وشكراً . .

أ . هـ .

- وأجيب الأخ تركي على مسألته : بأن التصوير السينمائي ومايتبعه من عرض للانتفاع بالمصورات سواء أكانت تجارب علمية ، أو مواقف سياسية ، أو معارك حربية ، أو قصصاً اجتماعية . . ليس حراماً . . فالأساس فيه إيصال المصورات أو المعروضات إلى المشاهدين بأسلوب واقعي أكثر تأثيراً وإقناعاً – وإمتاعاً أيضاً – من أسلوب القراءة أو الاستماع عن طريق الإذاعة .

- وعندما نتدبر الواقع نجد أن التصوير السينمائي قد انتفع به العلماء في مختلف المجالات العلمية طبياً وطبيعياً وتربوياً وعسكرياً ، كما انتفع به في الوقت نفسه طلاب العلم في هذه المجالات المختلفة .

فالتصوير أو العرض السينمائي كالصحافة المقروءة والإذاعة المسموعة من حيث الاستخدام العلمي والثقافي على كافة المستويات .

- وإذا كان هناك سوء استخدام للتصوير السينمائي ، فهناك كذلك سوء استخدام للصحافة وللإذاعة أيضاً . . بلا اختلاف . . وكل هذه الأجهزة الإعلامية من تلفاز وصحافة وإذاعة صالحة لأن تقدم الطيب ، ولأن تقدم الخبيث في وقت واحد . .

وعلينا – نحن المسلمين في كافة دولنا ومجتمعاتنا – ألا نستخدم هذه الوسائل الإعلامية كلها إلا في المنافع والطيبات من علم وثقافة وقصص اجتماعية للاعتبار ، وأخبار

صحيحة ، وندوات أدبية نافعة .

وإذا كانت هناك عروض سينمائية أو تلفازية مفسدة للأخلاق ، ومخالفة للعقيدة أو الشريعة . . يجب علينا كأفراد وأسر أن نمتنع عن مشاهدتها ، وأن نمنع أطفالنا أيضاً عنها .

ولاشك أن كل دولة إسلامية مأمورة من دينها : أن تجعل أجهزة إعلامها من تلفاز وصحافة وإذاعة ودور السينما فيها أيضاً والمسارح كذلك . . وسائل نظيفة لإيصال المعارف النافعة ، والقصص الواعظة إلى شعبها المسلم . . الذي حرم الله عليه الخبائث ، وأحل له الطيبات ، وحثه على مكارم الأخلاق .

حول جراحة التجميل

الابنة (م . ع . ل) من جدة تقول في خطابها : إن في أنفها أعوجاجاً وطولاً زائداً عن الحد الطبيعي ، وأنها تريد أن تجري عملية جراحية لتجميل أنفها كي تبدو في أعين خطابها جميلة مقبولة الصورة – فهل يجوز لها ذلك ؟ .

- الجواب : نعم يجوز . وقد أفتى العديد من العلماء بذلك ، كما أن جراحة التجميل أصبحت تخصصاً طبياً حديثاً ، وإن كان له أصل من الطب القديم . . حيث أبيح

منذ مجيء الإسلام تركيب الأسنان الذهبية والفضية بدلاً من المنزوعة ، أو تلبيس الخربة منها أو إيصال المتباعد منها بجسور من الذهب والفضة . كما أبيح تركيب أنف من الذهب ، بدلاً من الأنف المبتور بسبب الحرب أو المعطوب بسبب المرض ، وأعين زجاجية بدلاً من الأعين التالفة لتبدو وجوه أصحابها أجمل وألطف .

فلا مانع – في رأينا – من إجراء أية جراحة تجميل في وجه المرأة أو الرجل لتقويم اعوجاج أنف ، أو إصلاح تالف من أعضائه ، أو تحسين صورة عضو مشوه .

وقد روي عن السيدة عائشة – أم المؤمنين – رضى الله عنها أنها قالت لأمرأة سألتها عن الزينة والتجميل للزوج – : (إن كان لك زوج فإن استطعت أن تنزعي مقلتيك وتضعيهما أحسن مما هى فافعلي) .

التجميل اللازم . . ليس تغييرا لخلق الله

هذا وقد تناقضت فتوى بعض العلماء – وهذا مايوقع القراء من شباب وكهول وشيوخ في حيرة شديدة – في مسألة التجميل التى توفرت وسائله الآن بسبب التقدم العلمي والتطور التقني لعمليات تجميل بعض التشوهات التى يولد بها بعض الفتيان أو تحدث لهم بفعل حوادث السيارات والهدم والحريق .

ففي مجلة «لواء الإسلام» المصرية الصادرة في ١٤٠٦/٧/٩هـ فتوى بجواز إزالة الشعر الموجود في وجه المرأة ، وجواز تسوية الحاجبين ، والاكتحال بالأثمد ، واستعمال أدوات الزينة بغير إسراف لحاجتها إلى ذلك ، وقد أباح الإسلام للنساء التحلي بالذهب ولبس الحرير ، وحرمهما على الرجال .

وفي المجلة نفسها بتاريخ ١٤٠٧/٦/٢٦هـ فتوى بجواز إزالة الإصبع الزائدة في القدم أو اليد .. حيث لاحرج في إزالتها لأن الإسلام حريص على أن يبقى المسلم بعيداً عما يسبب له ضيقاً أو اضطراباً أو تشوهاً .

وفي جريدة «المسلمون» فتوى مانعة من إجراء أي تجميل في وجه المرأة سواء أكان إزالة شعر الوجه أو غيره - بل ذهبت الفتوى بعدم جواز إزالة العضو الزائد الذي ينبت في جسم الإنسان كالإصبع الزائدة في إحدى يديه . . الخ . . واستند هؤلاء العلماء في تحريمهم عمليات التجميل هذه على الحديث النبوي الذي يلعن فيه الرسول ﷺ : «**النامصات والمتنمصات والواصلات والمستوصلات ، والمتفلجات للحسن . . المغيرات لخلق الله**» .

والرأي - من وجهة نظري - أن التشوهات أو الشذوذ الذي يحدث في بعض وجوه النساء - أو الرجال - أو أطرافهم . . هي أمراض وعلل يجب معالجتها وإزالتها ، وهذه المعالجة والإزالة ليست تغييراً لخلق الله .

فقد خلق الله عز وجل الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره فأحسن صورته ، وسواه وعدله - كما يحدثنا القرآن بذلك في عدد من آياته الكريمات ، ويمن الله أحسن الخالقين بذلك على الإنسان - فإذا نبت شعر في وجه المرأة ، أو زاد أصبع في يد الرجل . . فذلك خلاف وشذوذ في الفطرة الجميلة التى فطر الله الناس عليها بصفة عامة ، وهو يحدث كما تحدث الأمراض والعلل الجسدية للإنسان ، ويجب أن يعالج كما تعالج هذه الأمراض والعلل .

وبخاصة مايتعلق بالمرأة فوضعها دقيق وحساس ، وقد فطرها الله على التزين والتجمل حتى مع كمال خلقتها . . فكيف إذا نبت شعر في وجهها . . فأصبحت كالرجل ؟ ومن سيتزوجها عندئذ ؟ وكذلك الوضع بالنسبة لها إذا حدث شذوذ في إحدى أذنيها أو عينيها أو كفيها أو قدميها .

إن الله جميل يحب الجمال ، وهو أحسن الخالقين ، وأحسن المصورين ، وماشذ في بعض خلقه يجب إعادة الجمال إليه تماماً كإعادة الصحة إلى بدن المريض ، فالمشوه أو المشوهة خلقيا يعانيان من مرض نفسي شديد يستلزم المداواة كما تستلزمها الأبدان المريضة .

ويجب على العلماء والفقهاء أن يفهموا ماورد من لعن الرسول ﷺ للنامصات والمتنمصات ، والواصلات والمستوصلات والمتفلجات للحسن على حقيقته . . وهو أن هؤلاء النسوة ليس بهن عيب ولاشذوذ في خلقهن ، وإنما هن

يبالغن في التماس الحسن والجمال بما لا ضرورة له ، ولاخير فيه ، فيكون تغييراً حقيقياً لخلق الله الجميل .

وهذا ماتفعله كثير من النساء في عصرنا الحاضر حين يضعن الباروكات على رؤوسهن مع أن شعورهن صالحة وكافية وجميلة ، أو يخترن ألوانا لشعورهن غير ألوانهن الطبيعية . . فذات الشعر الأشقر ترتدي شعراً أسود ، وذات الشعر الأسود ترتدي شعراً أشقر ، وذات الشعر الناعم ترتدي شعرا خشنا ، والعكس حاصل أيضا .

ومن تغيير خلق الله في النساء ماتضعه المرأة مما يسمونه «الرميل» بين حواجبهن وأجفانهن من أصبغة بيضاء أو صفراء . . بينما يكون وجهها أجمل ، وعيناها أفضل لو تركت مابين الحاجبين والجفن كما هو طبيعي لونا ووضعا .

ولكنه التقليد الأعمى لنساء الغرب الجاهليات .

الصلاة جماعة في الحدائق العامة

- القارىء (عبد الله بن حميد – من جدة) يقول في رسالته : تعود المواطنون أن يخرجوا يوم الخميس أو الجمعة عصراً إلى الحدائق العامة للفسحة والنزهة وتدركهم صلاة المغرب ، فيؤدونها جماعة تماما كما يحدث في المساجد حيث يؤذن للصلاة تقام الصلاة ، ويصطفون صفوفا ،

ويؤمهم أحدهم . فهل هذه الصلاة تعتبر صلاة جماعة وللمصلين أجر الجماعة كما للمصلين بالمساجد أجرهم أيضا : أرجو الإفادة – وشكرا لكم سلفا .

الجواب : من الملاحظ في واقعنا نحن المواطنين في السعودية أن الدولة – جزاها الله خيراً – عودت الموظفين في الوزارات والإدارات الحكومية والأهلية – أن يقيموا الصلاة جماعة إذا أدركتهم وهم يؤدون أعمالهم أو وظائفهم ، وقد اتخذت الإدارات والوزارات والمحاكم والمؤسسات الخاصة مصليات في بعض القاعات أو الصالات داخل المباني لإقامة صلاة الظهر جماعة والمغرب والعشاء أيضا بالنسبة لطلاب الجامعات والمؤسسات الأهلية .

وكذلك يفعل المواطنون الموجودون بالحدائق العامة في أيام العطلة الأسبوعية – يؤدون صلاة المغرب جماعة في إحدى ساحات الحديقة .

ولاشك أن هذا تيسير للمسلمين الموجودين داخل الإدارات والوزارات والمؤسسات الأهلية والجامعات والمدارس – لكي يؤدوا الصلاة جماعة وينالوا أجرها – حيث لايتصور إلزامهم جميعا بمغادرة أماكن عملهم ودراستهم إلى المساجد ، كما أن المساجد لاتتسع لهم .

ومع التيسير المذكور ضمان لعودتهم من قريب لاستكمال أعمالهم ودراستهم . ولاشك أن هذا خير لهم للمسؤولية الواجبة عليهم – عملا كانت أم دراسة .

والإسلام دين اليسر ودين العمل . . ومادام هؤلاء المواطنون سواء أكانوا موظفين أم طلابا أم حاضرين في أماكن النزهة والفسحة - يؤدون الصلاة جماعة كما تؤدي في المساجد تماما فلا شك أن لهم مثل أجر المصلين جماعة في المساجد بفضل الله وعونه .

ولنلاحظ هنا أنه لم يكن في العهد النبوي - وهو عهد التشريع - وزارات ولا إدارات ولا محاكم ولامدارس ولاجامعات تمتلىء بآلاف الموظفين وآلاف الطلاب ، ولذلك كان التركيز في الدعوة إلى صلاة الجماعة في المساجد .

والمهم : هو أداء الصلاة جماعة . . وقد تحقق هذا - والحمد لله - في المؤسسات الحكومية والشعبية على الوجه الأكمل . ولنذكر توجيه الرسول المعلم الأعظم ﷺ : **«يسروا ولاتعسروا - وبشروا ولاتنفروا»** وقول الله عز وجل قبل ذلك : **﴿يريد الله بكم اليسر ، ولايريد بكم العسر﴾** (٧) وفي الحديث النبوي **«إنما بعثتم ميسِّرين ، ولم تبعثوا معسِّرين»** (٨) .

---

(٧) ذكر القارىء السائل في رسالته : أن بعض العلماء أفتى على مثل سؤاله بعدم جواز الصلاة جماعة في الحدائق العامة ، وإن هذا منكر يجب على الهيئات الأمر بالمعروف منع الناس منه ، وأمرهم بالصلاة في المساجد .

(٨) رواه الترمذي .

الصلاة جماعة في الدوائر الحكومية

أحد القراء – لم يذكر اسمه – يقول في رسالته : إن مديري الإدارات الحكومية وموظفيها لايؤدون صلاة الجماعة في المساجد ، ويظلون خلال فترة الصلاة في دوائرهم فهل هذا جائز ؟ .

- ياأخي العزيز . . المعروف والواقع فعلا : ان موظفي الإدارات الحكومية – والقطاع الخاص ايضا – يؤدون الصلاة إذا وجبت وهم في وظائفهم . . في مصليات اقيمت في الإدارات نفسها ، وقد شاهدت هذا الوضع في عدد من الإدارات – والوزارات ايضا عند مايؤذن لصلاة الظهر مثلا ينهضون للوضوء ، ثم الصلاة جماعة مع رئيسهم . وقد يصلى بهم الرئيس ، وقد يختار لهم من زملائهم اماما يكون أقرأهم لكتاب الله وأحقهم بالإمامة . . حتى أمارات المناطق بالمملكة يفعلون ذلك بمافيهم أمير المنطقة .

ولو كلفنا جميع الموظفين ، رؤساء ومرؤوسين بأداء الصلاة جماعة في المساجد لضاقت المساجد بهم اولا ، ولتعطلت مصالح الناس بخروجهم الى المساجد ورجوعهم منها – وقد لايرجع بعضهم .

ومادامو يصلون جماعة في إداراتهم فقد أدوا الواجب ، والدين يسر ولاداعي الى تكليفهم بالصلاة في المساجد . . الأمر الذي يؤدي الى تعطيل أعمالهم التى هى مصالح عامة للناس جميعاً .

لا مجاملة فيما حرمه الدين !

- بعث إلي أخ مصري من القراء بقصاصة من مجلة (آخر ساعة) المصرية تتضمن حديثاً للدكتور عبد الرحمن البيضاني عن ثورة اليمن في عهد الرئيس المصري عبد الناصر وعلاقته بها ، وعلاقة الرئيس السادات أيضاً وهو رئيس لمجلس الأمة حينذاك .

- وقد جاء في القصاصة – وتأريخها ١٤٠٤/٨/١٥هـ ١٦ مايو ١٩٨٤م – أن الدكتور البيضاني كان من أعضاء وفد يمني في زيارة موسكو ، وقد دعوا إلى مأدبة طعام في قصر الكرملين . . وكانت الملاعق الموضوعة على المائدة من ذهب ، فرفض القاضي عبد الرحمن السياغي وزير المعارف والداخلية وعضو الوفد أن يأكل بالملعقة لأنها من ذهب . . وهو حرام في الإسلام . . وتوقف الحفل نصف ساعة بحثاً عن ملاعق أخرى ، وأستأذن له الدكتور البيضاني أن يأكل بيده . . وكان عليه أن يترجم ماروواه القاضي السياغي عن الإمام النووي من إجماع العلماء على تحريم آنية الذهب والفضة في الطعام والشراب والطهارة ، وأن من يشرب أو يأكل في إناء من ذهب فإنه يجرجر في بطنه ناراً يوم القيامة .

- ويعلق الدكتور البيضاني – بعد روايته للقصة – على موقف القاضي السياغي : بأنه لم يدرك أننا كضيوف على قوم

ملحدين كان بوسعه أن يأكل بتلك الملعقة الذهبية وقلبه عامر بالإيمان ، ويرفع عنا وعنه الحرج .

ويسأل الأخ المصري : هل تعليق الدكتور البيضاني صحيح ؟ .

- أقول للأخ الفاضل : إن تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة مجمع عليه ، وثابت بالحديث النبوي الذي يرويه الإمام البخاري وهو قوله ﷺ : «**لاتلبسوا الحرير ولاالديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافهما . . فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**» ، وفي حديث ابن عمر مرفوعاً : «**من شرب في آنية الذهب والفضة ، أو إناء فيه شيء من ذلك . . فإنما يجرجر في جوفه نار جهنم**» أخرجه البيهقي والدارقطني . . وهناك أحاديث وآثار متعددة في ذلك لاداعي لسردها .

أما مارآه الدكتور عبد الرحمن البيضاني من أنه كان على القاضي السياغي مجاملة المضيفين الروس الملحدين رفعاً للحرج عنهم وعن الضيوف اليمنيين . . فغير صحيح . . إذ لاينبغي للمسلم أن يجامل في أمر دينه ، بل عليه أن يمتنع عن الحرام قولاً وعملاً وسلوكاً سواء أكان ضيفاً أم مضيفاً .

ولو أخذنا برأى الدكتور البيضاني لأبيح للمسلم أنيشرب الخمر في مجالس السكارى ، وأن يمارس الميسر في ندوات المخالفين والملحدين . . وهذا مالايقول به مسلم عاقل متمسك بدينه عقيدة وشريعة وأخلاقا .

لقد كنت قبل نحو عشرين عاما في أحد المؤتمرات الإسلامية في القاهرة مع الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي السابق الأستاذ محمد صفوت السقا أميني ، ودعينا مع الوفود إلى مائدة طعام ، فلاحظت بعض حملة العمائم ولابسي الجبب من علماء المسلمين يتناولون الطعام بأيديهم اليسرى . . فأنكرت ذلك عليهم ، وقلت : إن الأكل بالشوكة والسكينة على الطريقة الغربية لايمنعنا من أن نستخدم أيدينا اليمنى . . فنجمع بين السنة الإسلامية والأسلوب الغربي دون مخالفة لآداب ديننا . وأنا شخصياً تعودت أن آكل بيميني مع استخدام الشوكة والسكينة في الموائد والمآدب التي تقام في مناسبات خاصة أو عامة داخل بلدي وخارجه .

- وقلت لهم : انظروا . . ها أنا أقطع بالسكين ماأريد قطعه من الطعام بيدي اليسري ، وأتناوله بيدي اليمني دون أي مشقة أو تكلف ! !

إن الإسلام لايمنع من التقدم والتطور في وسائل الأكل والشرب والنوم والجلوس ، وغير ذلك من مرافق الحياة الاجتماعية . . ولكن يجب أن نحافظ بأخلاقنا وآدابنا الإسلامية ، والامتناع عما حرمة شرعنا الإسلامي . . دون مجاملة لأحد كائنا من كان .

سؤال عن ذبائح أهل الكتاب

وقد سأل الطالب نفسه عن اللحوم المذبوحة هناك هل يأكل منها؟ وهي تذبح بطريقة غير إسلامية، وهل يحل له أن يودع مرتبه في البنوك الأمريكية التي تتعامل بالربا؟.. لأنه مضطر لذلك حيث تفشو عمليات السرقة ولايأمن المرء على ماله إذا وضعه في جيبه أو تركه في بيته. كما يسأل عن التأمين.. هل يحل له؟ لأن القانون الأمريكي يفرض ذلك فرضاً، إذ لايأذن له ولا لغيره بقيادة السيارة حتى يضع تأميناً عليها.

- وأجيب الطالب الفاضل بمايأتي: إن طعام أهل الكتاب حل لنا، كما نص على ذلك القرآن الكريم.. إلا إذا علمنا يقيناً أو رأينا رأي العين أن طعامهم يشتمل على محرم كلحم الخنزير، أو أنهم ذبحوا ذبائحهم بغير الطريقة الإسلامية، أو ذكروا غير اسم الله عليها، فإذا رأينا ذلك رأي العين أو علمناه يقينا حرم علينا أن نطعم طعامهم.

أما إذا حضرنا موائدهم ولم نعلم شيئا مخالفا في طريقة إعداد طعامهم.. فلنا أن نأكل منه بعد أن نذكر اسم الله عليه.

وإذا تيسر للطلاب المسلمين أن يجتمعوا في مطعم أو عند أسرة أمريكية، ويتفقوا مع المطعم أو الأسرة على إعداد طعامهم وذبح ذبائحهم بالطريقة الإسلامية فهذا لاشك أفضل وأدعى لطمأنينتهم.

إيداع المرتبات في البنوك

إن إيداع مرتبات الطلبة في البنوك التي تتعامل بالربا لابأس به شريطة أن لايأخذوا فائدة عليها ، لأن هذه المعاملة ستكون مجرد ائتمان على وديعة ، مع ملاحظة كونهم مضطرين إلى ذلك لحفظ أموالهم من السارقين .

أما التأمين على السيارات الذي تفرضه الدولة هناك ، ولاتأذن لأحد أن يقود سيارته إلا بعد إنجازه – فهو أمر اضطراري يخضع له الطالب وغيره من المسلمين دون خيار في الإفلات منه ، وإذا فلابأس به تماما كضرورة الإيداع في البنوك الربوية ، وبناء على قاعدة : «الضرورات تبيح المحظورات» وصدق الله العظيم : **﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج﴾**[1] وصدق الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام : «**إن الدين يسر . . ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» .

أما مطلب الأخ الكريم وزملائه من الكتب الدينية لئلا ينقطعوا في أمريكا عن دراسة المعارف والقضايا الإسلامية . . فأعتقد أن رابطة العالم الإسلامي سوف تستجيب لهذا المطلب وتبعث بمنشوراتها وغير منشوراتها إليهم .

---

(١) الحج آية ٧٨ .

مطلق المشيئة . . لايعني الجبر !

يقول الأخ سالم أحمد حسن : إنه سجين . . وإنه يريد تفسير قوله تبارك وتعالى : **﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾**[٢]. كما أن هناك آية موجهة إلى الرسول ﷺ صريحة في القول : **﴿إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[٣] ويذكر أنه حساس تجاه هذه القضية . . قضية أن الله لو أراد لهداه إلى الصراط المستقيم ، كما أن أكثر من سجين معه ينتظرون الجواب وبيان الحقيقة ؟ !

والجواب باختصار كما أسلفت - أن الله عز وجل مطلق الإرادة والمشيئة في تدبير كونه وخلقه لأنه المالك المتصرف وحده ، وأن ماوهبه للخلق من حرية الاختيار ليس إلا جزءا من مشيئته ، وليس معنى هذه الحرية الممنوحة لهم أن يشتغلوا بها ، ويروا أنهم أحرار خارجون عن إرادة الله وقدره ومشيئته .

إن هذه الآية - ومثيلاتها الكثيرات في القرآن - تعبر عن مطلق المشيئة الإلهية ، لكنها لا تنفي أو لاتتعارض مع مامنحه الله للإنسان من حرية الاختيار كما جاء في قوله عز وجل : **﴿وهديناه النجدين﴾**[٤] وقوله : **﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾**[٥] وقوله : **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[٦]

(٢) التكوير آية ٢٩ . (٣) القصص آية ٥٦ .

(٤) البلد آية ١٠ . (٥) الانسان آية ٣ . (٦) الكهف آية ٢٩ .

فالإنسان فعلا وواقعاً حر في اختيار مايريده من خير أو شر، وهدى أو ضلال . . لأنه منح عقلا وسمعاً وبصراً، وكلف باستخدامها واستغلالها للمعرفة والتمييز ثم الاختيار، وأمر بأن لايتبع أحداً إلا على بصيرة وفهم واقتناع : **﴿ولاتقف ماليس لك به علم . . إن السمع والبصر والفؤاد . . كل أولئك كان عنه مسئولا﴾**[٧]

ثم ألا يرى الأخ سالم أحمد حسن أنه حر في اختيار الطعام الذي يشتهيه، والشراب الذي يتمناه، والمركب الذي يريده، واللباس الذي يحلو له، والعمل الذي يحبه ويستطيعه، والصديق الذي يصحبه، والزوجة التي يحب أن ينكحها ؟ .

فلماذا نفرق بين هذه الحرية في هذا المجال من الاختيارات، والحرية في اقتراف الخطأ أو الذنب أو الجريمة ؟ مع أن الإنسان عندما يقترفها يعلم حقيقة أنه يخالف أمر ربه عز وجل، أو يخالف أمر الحاكم أو أمر القانون، ثم بعد أن يقع في المؤاخذة يتذرع بأنه قضاء وقدر . . بل بأنه مجبور غير مختار ! .

ومن ناحية أخرى : إن تقرير هذا المعنى لمشيئة الله عز وجل بأنها فوق مشيئات البشر يستهدف تعليمهم وتوجيههم إلى اللجوء دائما إلى الله كي يستعينوا به للثبات على هداه، والاستمرار في صراطه المستقيم، وطلب توفيقه وتيسيره .

---

(٧) الاسراء آية ٣٦ .

ألا ترى ياأخي سالم : أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو المعصوم من الخطأ . . كان يدعو دائماً : «**اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» فكيف بنا نحن الخطائين . . الذين توعد الشيطان وتهدد ليقعدن لنا على الصراط المستقيم ، وليزينن لنا الخبائث ، وليغويننا أجمعين

وكان رد الله عليه ، وهو لاشك مشيئته وقدره النافذ : ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾[8] وعباد الله هم الذاكرون له دائماً ، المستعينون به أبداً في كل أحوالهم وأعمالهم ، الخائفون من التحول عن طاعته وتقواه ، الداعون إياه بأن يثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

ومعنى آخر لهذه المشيئة المطلقة : هو أن كل شيء في الدنيا والآخرة بإرادة الله وحده حتى ماقدره من جزاء بالجنة للصالحين ، ومن نار للظالمين . وعلى العقلاء من الناس أن يتخيروا الطريق الموصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى . وصدق الله العظيم فيما قال : ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾[9] .

---

(٨) الاسراء آية ٦٥ .

(٩) المدثر آية ٣٨ .

المضطرون لا إثم عليهم

أخ من ليبيا رمز لاسمه بهذه الحروف «أ . م . ع» يذكر في رسالته أن كتابي «يسألونك» يقرأه كثير من شباب ليبيا ، ولكن له ملاحظة مجرد ملاحظة قد يكون مخطئاً فيها – كما يقول – ولذلك يريد توضيحاً أو تفصيلاً أكثر – فقد جاء في ص/١٨٦ من الكتاب إجابة على سؤال سائل عن الأنسولين المستخرج من الخنزير : (المعروف طبياً أن هناك أنسولين يستخلص من البقر وأنسولين ينتج من الخنزير ، ويكتب عادة على معلباته جنسية إنتاجه – فعلى المسلم أن يختار المنتج من البقر ، وإذا لم يكن هناك بد من استعمال الأنسولين المنتج من الخنزير فلا بأس بذلك نزولاً عند الرخصة الشرعية «الضرورات تبيح المحظورات» .

ثم يعقب الأخ الليبي بقوله : إن الرسول ﷺ نهى عن التداوي بما هو حرام في الحديث النبوي : «**إن الله عز وجل أنزل الداء وأنزل الدواء ، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولاتتداووا بمحرم**» رواه أبو داود الخ .

ولو قرأ الأخ الليبي إجابتي كاملة لعرف أني نصحت السائل أولاً باستخدام الأنسولين المستخرج من البقر فإن لم يجد وهو مضطر لمعالجة مرض السكر الذي لم يعرف له دواء حاسم حتى الآن باعتراف الأطباء – فلا بأس للضرورة الشديدة أن يستخدم الأنسولين المنستخرج من الخنزير ،

والضرورة مقدرة بقدرها وظروفها . وقد نبهت السائل إلى اختيار الأنسولين المستخرج من البقر في أول الإجابة .

وأضيف إلى ماسبق أن مبدأ الضرورات تبيح المحظورات «استنبطه الفقهاء من قول الله عز وجل ﴿**فمن أضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه**﴾[1] فلماذا نعطل هذه الرخصة الربانية القرآنية التى استخدمها الأئمة والعلماء للتيسير على المضطرين وأصحاب الحاجات الشديدة من جوع أو ظمأ أو مرض أو خوف على حياة أو مال أو عرض ؟ ألا يباح لهم مباشرة المحرمات بقدر حاجتهم إليها لانقاذ حياتهم ، أو حماية أعراضهم وأموالهم ، أو تهدئة عللهم وأسقامهم إلى أن يجدوا الحلال ميسرا بين أيديهم فحينئذ ؟ يقال له ، هذا حرام وهذا حلال .

كما أضيف أن لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أجابت مثل إجابتي على استفتاء مريض بالسكر ، وأباحت له استعمال الأنسولين المستخرج من الخنزير إذا لم يتيسر الأنسولين المستخرج من البقر – وذلك في جريدة (المسلمون) الصادرة يوم ١٤٠٦/٩/٢هـ .

ويجب أن نلاحظ أن (الكحول) وهو خمر لاشك فيه يدخل في تركيب كثير من الأدوية التي يتعاطاها المسلمون وقد أفتى الفقهاء سلفاً وخلفاً بجواز تناولها للضرورة ولعدم استطاعة الناس الاستغناء عنها ، وكذلك المواد المخدرة

---

(١) البقرة آية ١٧٣ .

الأخرى التي تدخل في تركيب أدوية عديدة .

فلعل الأخ الليبي (أ . م . ع) اقتنع بهذا التفصيل والتدليل في مسألة الأضطرار وما يسرت به الشريعة الاسلامية على المضطرين .

قاضي في الجنة . . . وقاضيان في النار

الأخ عبد الوهاب أحمد خليل - مصري يعمل بجدة - بعث إلي بقصاصة من جريدة «الوفد» المصرية الصادرة يوم ١٤٠٦/٧/٩هـ وهي تتضمن مايأتي : (حكم الإسلام في مهنة القضاء - س : هل يأثم القاضي الذي يحكم بالقانون الوضعي رغم علمه التام بأنه مخالف للشريعة الإسلامية ؟ وهل يعد دخله حراماً أم حلالاً ؟ وقد وجه هذه المسألة المستشار أحمد الزند رئيس محكمة تلا - وأجاب عليها الدكتور عبد الغفار عزيز عضو مجلس الشعب بقوله (القضاة الذين لايملكون التصرف فيما يصدرونه من أحكام حيث يكون هناك نص محدد معين ، لايستطيع القاضي مخالفته . . فإن الإثم لايقع على القاضي ، وإنما يقع على الدولة التي فرضت هذه النصوص المخالفة للشريعة الاسلامية ، وإن كانت هناك حرية اجتهاد من القاضي فيما أمامه من نصوص لايؤاخذ وظيفياً فيا اجتهد فيه . . فليحاول ماأمكن أن يكون اجتهاده لصالح التشريع الإسلامي أما إذا لم يتمكن من ذلك

ويقع تحت طائلة المسؤولية فله عذره . وعليه فإن دخل القاضي حلال ولاشيء فيه !) .

وقد طلب مني الأخ عبد الوهاب أحمد خليل أن أقول رأيي في هذه المسألة ، وفي إجابة الدكتور عبد الغفار عزيز عليها . .

أقول للسائل الفاضل : إن القاضي المسلم يجب عليه ألا يحكم بين الناس إلا بأحكام الشريعة الإسلامية ، وألا يقضي بينهم بقضاء يخالف هذه الشريعة العادلة الفاضلة . . وكان عليه قبل أن يعمل قاضياً في دولة لاتطبق أحكام الشريعة في قوانينها أن يعلم أنه سيضطر للحكم بغير ماأنزل الله ، وقد وصف الله عز وجل في القرآن الكريم من لم يحكم بما أنزله تبارك وتعالى من أحكام بالكفر والفسوق والظلم – في ثلاث آيات من سورة المائدة .

كما نفى «الإيمان» عمن لايرضى بحكم رسوله ﷺ في سورة النساء ، وسمى الله عز وجل أي حكم غير إسلامي حكماً جاهلياً في سورة المائدة . .

ولايعتبر هذا القاضي مكرهاً معذوراً فيما يقضي به من أحكام غير إسلامية – لأن أمامه مجال العمل واسع كمستشار أو محام أو غيرهما .

وفقهاء الإسلام يلزمون القضاة بالحكم بشريعة الإسلام ، ويذكرون – في هذا المجال – قول الله عز وجل : ﴿**وأن**

احكم بينهم بما أنزل الله . . .﴾[2] وقوله ﴿. . . **لتحكم بين الناس بما أراك الله . . .﴾**[3] وقوله : ﴿. . . . **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول . . . .﴾**[4].

ويذكرون أيضا كتحذير من الحكم بغير ماأنزل الله من شريعة عادلة ماروواه ابن ماجة في سننه من قول النبي ﷺ : **«القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة : رجل علم الحق فقضى به – ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار – ورجل جار في حكمه فهو في النار»** .

والصورة الثالثة في هذا النذير الشرعي هى التى تنطبق على القاضي الذي يحكم بالقوانين الوضعية مع علمه بمخالفتها لأحكام الشريعة الإسلامية فحكمه يعد «جوراً» إي ظلماً لأنه يعرف الحكم الصحيح ، ويعدل عنه إلى غيره . . فهو في النار كما قال ﷺ .

وإذا كان فقهاء الإسلام منعوا القاضي المسلم من أن يتقيد بمذهب من المذاهب الفقهية الإسلامية ذاتها ، وأوجبوا عليه أن يحكم بما يظهر له من حق وعدل ولو كان في غير مذهبه – فكيف بمن يعدل عن الحكم الإسلامي إلى الحكم الوضعي المخالف له مخالفة صريحة منكرة ؟ !

كما أوجب فقهاء الإسلام على القاضي المسلم إذا رفعت إليه قضية حكم فيها بحكم يخالف الكتاب والسنة أو

---

(٢) المائدة آية ٤٩ . (٣) النساء آية ١٠٥ (٤) النساء آية ٥٩ .

الإجماع : أن ينقض هذا الحكم – أي يبطله لأن الحكم بغير ماشرع القرآن والسنة النبوية تفريط يجب نقضه ، وإقرار الحق مكانه .

وهكذا يتجلى وضع القاضي الذي يحكم بغير ماأنزل الله : أنه في النار ، وبهذا يكون دخله حراماً ليس حلالاً ، ومن واجبه أن يبحث له عن عمل آخر يتكسب منه بالرزق الحلال ، ويسلم من عقوبة الآخرة التى أنذر بها الرسول الرؤوف الرحيم ﷺ .

حول تحريم الخمر والميسر ؟

وهذا طالب جامعي آخر قد اشترط في رسالته أن يرمز لاسمه بالحروف الأولى منه (أ . ع . ج) يقول : إن بعض الشباب الذين عادوا من دراستهم في بعض جامعات أوربا وأمريكا يحتجون لإباحة الخمر بأن القرآن الكريم نفسه يقرر بأن لها (منافع) في قوله تبارك وتعالى : ﴿**ويسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس**﴾[٥] ويبترون الآية ولايكملونها : ﴿**وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ فهل من توضيح أو تعقيب على هؤلاء المتحللين من أحكام الإسلام وآدابه ؟

---

(٥) البقرة آية ـــ٢١٩ .

قلت : إن القاعدة الفقهية الأصولية تقرر أنه : (إذا عارضت المصلحة مفسدة فإن دفع المفسدة مقدم على استجلاب المصلحة) أو بعبارة أخرى موجزة : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ودليل هذا الأصل التشريعي الإسلامي هو قوله تبارك وتعالى : ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾[6].

فإن مصلحة الخمر : هي الاتجار بها والانتفاع بثمنها ، وإثمها في إفساد العقول والإضرار بصحة الشارين ، وإحداث الشقاق بينهم أكبر من نفعهما المالي . وقد أوضحت هذه النتيجة لشرب الخمر وتعاطي الميسر آية أخرى هي قوله عز وجل : ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾[7].

والقمار فائدته في ربح المقامر أو المشرف على دور القمار ، وما يمكن أن تبرر به بيوت اللعب عملها من جلب السائحين ، وإنفاق المشروبات والمطعومات .

أما ضرر القمار فهو أكل أموال الناس بالباطل ، ودفع اللاعبين إلى تخريب أوضاعهم الاقتصادية ، والإساءة إلى أسرهم وأولادهم ، وإلى مجتمعهم بعامة .

---

(٦) البقرة آية ٢١٩ . (٧) المائدة آية ٩١ .

لذلك وجب درء المفسدة بمنع القمار والخمر ، وتقديمه على المصلحة التي تخص اللاعب أو المتاجر وحدهما ، وسبق أن صححنا للكاتب الفرنسي (جاك أوستروي) انتقاده لتحريم الإسلام القمار على المسلمين . . الأمر الذي حرمهم - بزعمه - لذة المجازفة والمغامرة .

وقد جاءت آية صرحية أخرى تحرم الخمر والميسر مطلقاً ، وهى قوله تبارك وتعالى : **﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**[٨].

هل التليفزيون حرام شرعا ؟

تلقيت من أحد قرائي سؤالا . . هل لديكم تليفزيون في بيتكم ؟ وهل تسمحون لأولادكم بمشاهدته ؟ فإن بعض الآباء - وخاصة من العلماء - يحرمون التليفزيون على أهليهم وأولادهم ؟ .

- قلت للأخ السائل : نعم . . عندي تليفزيون ، وأنا وأولادي نشاهد مايعرض فيه من أحاديث وندوات دينية وعلمية وأدبية وسياسية ، كما نشاهد فيه مايعرض أيضا من تمثيليات وبرامج أخرى لاتتعارض مع الدين والخلق . .

ثم إن تليفزيوننا - مع كراهيتنا لبعض مايعرضه - أفضل كثيراً من أمثاله في البلاد الأخرى ، فليس فيه معروضات مخلة بالدين والخلق . .

---

(٨) المائدة آية ٩٠ .

وأنا لو منعت أهلي وولدي من التليفزيون ، أو لم أضعه في بيتي اضطررتهم الى مشاهدته عند الأقرباء والجيران ، ولا أجد مبررا لمنعه مطلقا ، فهو كالإذاعة والصحافة . . سلاح ذو حدين نستطيع أن نرى فيه المنافع ، وننصرف عن مضاره ومفاسده .

و (القدوة) هي الإساس في التربية بالنسبة للأبناء والبنات ، فإذا رأى الأبناء والبنات آباءهم وأمهاتهم يستخدمون الإذاعة والصحافة والتلفاز فيما ينفع علميا ، ويفيد تربويا ونفسيا وأخلاقيا ، وينصرفون عن مضارها ومفاسدها – اقتدى الأولاد بالوالدين وصلح الحال ، وسعد المآل .

واذا كان هناك آباء من هذا النوع المتطرف الذي يمنع الحلال ويسيىء تربية أولاده ذكورا وإناثا ، ويضطرهم الى كراهيته وتمنى موته ، والهروب الى بيوت الغير لإشباع رغبتهم الطبيعية . .

فهناك آباء متطرفون – على الجانب الآخر – يبيحون في بيوتهم عرض الأفلام الجنسية والغرامية الخليعة عبر (الفيديو) . . وهؤلاء لايقلون خطأ عن أولئك ، فإن خير الامور الوسط ، أي لا انحراف الى الباطل ولا امتناع عن الحق ، او لاتحريم للحلال ولاتحليل للحرام[٩] .

---

(٩) حدثت ظاهرة مشابهة بين الشباب المتدينين . . حيث يطلقون لحاهم دون تهذيب ويقصرون ثيابهم الى نصف الساق ، ويمنعون أهلهم من مشاهدة التلفاز والاستماع الى الاذاعة .

آباء يمنعون ابناءهم إطلاق لحاهم !

وهذا سؤال من أحد الطلاب الشباب : مارأيكم في عتراض بعض الآباء على ابنائهم اذا أطلقوا لِحاهم ؟ وهى سنة بوية كما تعلمون ؟ .

– قلت للاخ السائل : إعفاء اللحي – كما جاء في الحديث النبوي «**خالفوا اليهود والنصارى . . أحفوا الشوارب ، وأعفوا عن اللحى**» سنة مؤكدة ، وهى من سنن الفطرة أو خصالها كما يرى فريق من الفقهاء – وهناك رأي لفريق آخر يقول بوجوبها .

والعجيب في أمر المسلمين : أن بعضهم يحلقها ويحلق شاربه معاً . . بحيث يبدو كالمرأة تماماً – وبعضهم يطلق شاربه غليظاً كثيفاً بحيث يسد منخريه ، ويغطي شفته العليا ويستأصل لحيته كلها – وآخرون يفرطون في إرسال لحاهم دون تهذيب وتنسيق بحيث تملأ الكتفين عرضا ، وتملأ الصدر طولاً ، ويبدو الوجه ضائعاً بين انتشارها يميناً وشمالاً .

ولاشك في أن إطلاق اللحية مع كونه سنةً مؤكدةً ، ومن خصال الفطرة السليمة هو من معالم الرجولة والذكورة ، والتمييز بين الرجل والمرأة ، وفي ظهورها كمال وجمال ، ولكن ينبغي الاعتدال في إطلاقها مع التهذيب طولاً وعرضاً ، فإن الله كما جاء في التوجيه النبوي : (جميل يحب الجمال ، نظيف يحب النظافة) .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر لاحظنا على كثير من الشباب والطلاب في المدارس والجامعات : أنهم يطلقون لحاهم لمجرد التقليد لمدير أو مدرس أو ممثل أو لاعب كرة أو بطل مصارعة أو ملاكمة . . ثم لايلبثون قليلاً حتى ينظفوا وجوههم منها ومن شواربهم ايضاً .

وهناك طائفة الموظفين والتجار . . إذا رأى الموظف الشاب رئيسه أو مديره الذي يملك زمام ترقيته ، ويستطيع تقريبه أو إبعاده – إذا رآه مطلقاً لحيته أرسل هو لحيته مجاملة ومداراةً وطمعاً في رضاه وقرباه .

أما التجار فكثير منهم يرسلون لحاهم لاستنانا بالرسول ﷺ ، ولارغبة في الظهور بمظهر الرجال كما هو المطلوب – وإنما يفعلون ذلك ليصدقهم عملاؤهم وزبائنهم فيما يعرضون عليهم من سلع وأسعار وليثقوا في أقوالهم وأيمانهم .

وماأقل من يطلق لحيته إيماناً واحتساباً ، ومن هنا تأتي معارضة بعض الآباء لأبنائهم حين يطلقون لحاهم أياماً أو شهوراً ، ثم يحلقونها ويعودون إليها بعد فترة أمام إغراءٍ جديد ، واقتداءٍ آخر ــ ثم يجردون وجوههم منها تجريداً كاملا ..

الاستماع إلى الشرائط ؟

الأخ محمد السيد محمد أبو المعاطي – من مصر محافظة الدقهلية – يقول في رسالته : أستاذي الفاضل/أحمد محمد

جمال سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . أشكر سيادتكم جزيل الشكر على اهتمامكم بالشباب في باب (حوار مع الشباب) وذلك في مجلتكم (التضامن الإسلامي) وهذا الباب حتى الآن يقدم ماهو خير ومفيد لكل الشباب القارىء لهذه المجلة وفي صميم حياتنا اليومية . . وذلك لأنني الآن والحمد لله أداوم على قراءة هذه المجلة كل شهر وأنا مثل غيري من الناس عندي كاسيت ومجموعة كبيرة من الشرائط وأحب الاستماع إلى الأغاني والمقطوعات الموسيقية لدرجة أنها تأخذ بعض الوقت من وقتي فهل ذلك الانصات أو الاستماع إلى مثل ذلك محلل أو محرم وذلك لأن معظم الشباب يفعلون ذلك . وأرجو من سيادتكم الرد على هذا التساؤل ولكم جزيل الشكر .

- الجواب : كل الملهيات عن العبادة والعمل الصالح من غناء . . وموسيقى . . وسينما . . لايحل للمسلم أن ينشغل بها عن عزائم الأمور ، وعن طلب العلم بكثرة القراءة والاستماع إلى الدورس العلمية النافعة في الراديو والتلفاز والمجلات الخ وحسبك قول الرسول ﷺ : **«اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل مرضك ، وشبابك قبل هرمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك»** وفقك الله لمايحبه ويرضاه ، وسدد خطاك إلى الخير والعلم النافع ، والعمل الصالح .

سؤال عن الوجودية ؟ !

أحد قراء التضامن الإسلامي ، الأخ عيسى عبد السلام القاري يسأل عن المذهب الوجودي الذي يتردد ذكره دائماً على ألسنة الكتاب اليوم ؟ .

- الجواب : إن الوجودية – كما عرفها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني – ثورة على القيم الأخلاقية القديمة ، وغربلة مخيفة للمبادىء والتقاليد .

والعقيدة الوجودية عند من يؤمن بها : أن هذا الوجود ضرب من العبث وبعبارة صريحة يزعم الوجوديون أن الله – تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً – ألقى بالإنسان في هذا الكون ، ثم أهمله ، ولذلك فإن الإنسان لم يعد في حاجة إلى ربه وعليه أن يحقق وجوده في حرية مطلقة بعيداً عن الدين والأخلاق ! .

ويقول (فرانسوا أدوبكيرنز) مامعناه : إن فكرة مزعجة تجتاح بعض الأوساط التربوية الملحدة اليوم . . وهي الاكتفاء بالتربية النفسانية الصرفة ، وجعل علم النفس المرجع الأخير للإنسان في حالات قلقه وأزماته المختلفة وبالاستغناء – بالتالي – عن الدين والأخلاق .

ويضيف فرانسوا قوله : (ولن يقاوم هذه التيارات الملحدة من أمثال وجودية (سارتر) إلا أن نتجند من جديد لمناصرة (الأخلاقية) العالمية الدينية التي تستمد تعاليمها من روح

وكرامة الإنسان . . الذي يفقد كل رفعة وكل إنسانية حقيقية إذا غابت السماء المرصعة بالنجوم من فوق رأسه ، والشريعة الأدبية من قلبه) .

كما يقول أيضاً : (يجب أن نتجند لتوجيه الناس إلى اعتبار وجودي – غير اعتبار سارتر – لعلاقاتهم بالأشياء لأجل استعمالها لمصلحتهم الإنسانية السامية ولعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان لأجل محبته ومساعدته واحترام كرامته وحقوقه . . وأولاً وأخيراً لعلاقاتهم بالله ، لأجل تمجيده واعتباره الأساسي والموحي لكل أدبية عالمية تستمد منها رفعتها وثباتها وديمومتها) .

ونقف هنا لنتذكر قول الله عز وجل : **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾**[1] وقوله تبارك وتعالى : **﴿ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾**[2].

ثم يواصل (فرانسوا) حديثه فيقول : (إنه إذا كان العلم قد تقدم تقدماً هائلاً ، بحيث استطاع وزن درجة الذكاء والتصور والتذكر ، فهذا لايعني أنه مستطيع إنماء درجة الروح في الإنسان – إن تلك الآلة الجامدة التي تديرها بطارية كهربائية – تشكل خطراً كبيراً على الإنسان الذي يؤمها مستجلباً خفايا الأمور . . فهنا حيث تفشل الآلة في خدمة

---

(١) التين آية ٤ . (٢) الاسراء آية ٧٠ .

روحانية الإنسان ، وعلو قدره تدخل الفلسفة الأدبية لتوقظ في الناس حاسة التدين التى يحتاجها الإنسان احتياجه للخبز والماء والهواء . . وتزرع في قلبه القيم الأخلاقية الصحيحة) .

وذلك مايرد به الكاتب الفرنسي (فرانسوا) على ابن جلدته (سارتر) زعيم الوجودية حيث يتحدث عن مهمة الدين ، ومهمة الفلسفة الأخلاقية إزاء (وجودية سارتر) وأمثالها من المذاهب المادية . . التى تزعم للإنسان حرية كاملة ، وتدعي له أسباباً اجتماعية ونفسانية تبرر له أن يأتي من رغباته مايشاء بعيداً عن وحي السماء .

حول الماسونية والبهائية

- الأخ حمزة سعيد العمري – من الأردن – يسأل عن الماسونية والبهائية ؟ .

– الإجابة باختصار :

أولاً : الماسونية منظمة سرية يهودية تعمل للإرهاب الفكري لمصلحة قيام ودوام دولة إسرائيل الكبرى ، وهى تنطلق من العقائد اليهودية ، وتتصرف وفق التأريخ اليهودي ، حتى عباداتها أو طقوس هذه العبادات ورموزها يهودية المصدر والمنهج والثقافة والتوجيه .

ومفهوم (الجماعة الماسونية) هو البناة الصادقون أو

لبناؤون الأحرار ويرجع جورجي زيدان في كتابه تاريخ بداية لحركة الماسونية إلى سنة ٧١٥ قبل الميلاد تقريباً ولها بداية حديثة كطور جديد لها يبدأ من سنة ١٧٨٣ ميلادية وللماسونية محافل متعددة في أوروبا وأمريكا وبعض البلاد العربية .

ومايسمى (بروتوكولات صهيون) تكاد تكون هى فلسفة الماسونية ومخططها النافذ منذ الثورة الفرنسية التى كانت تطبيقاً عملياً للحركة الماسونية وقد كان شعارها هو شعار الماسونية : (حرية – واخاء – ومساواة) وهو شعار تضليل وتدجيل .

ولمزيد من التفصيل يراجع كتاب (الماسونية ذلك العالم المجهول) لصابر طعيمة (والماسونية) لمحمود ثابت – والماسونية للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

أما (البهائية) فهي إحدى الحركات الباطني ، وهى تهدف إلى أفساد عقائد المسلمين ، وإخراجهم من دينهم – وهي المرحلة الثانية بعد (البابية) التي تعتمد على مبادىء الاثنى عشر . وقد جعلت البهائية (١٩) رقمها المقدس ومثله رقم (٩) ومن مظاهر هذه القداسة : أن الصلاة عندهم ثلاث صلوات في اليوم مجموع ركعاتها تسع ركعات ويدفن الميت عندهم بعد (١٩) يوماً ويجوز للمطلق أن يراع زوجته بعد (١٩) طلقة ، والشهور عندهم (١٩) شهراً والزكاة مقدرة بنسبة ١٩٪ والصوم عندهم (١٩) يوماً وقبلة البهائية

عكا ومركزها في حيفا في فلسطين .

وقد أصدر المجمع الفقهي الإسلامي قراره التأريخي بشأن البهائية في ١٤٠٨/٦/٢٣هـ باعتبارها نحلة باطلة لادعاء مؤسسها أنه رسول ، وأنه يوحى إليه ، وإنكاره أن محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وزعمه أن الكتب المنزلة عليه ناسخة للقرآن الكريم . . كما أن (البهاء) مؤسس البهائية غير وبدل في الصلوات الخمس وأوقاتها إذ جعلها تسعا تؤدي على ثلاث مرات ، وجعل الصيام تسعة عشر يوما وحول القبلة إلى بيته في عكا ، وحرم الجهاد وأسقط الحدود ، وسوى بين الذكر والأنثى في الإرث .

كما قرر المجمع في ختام قراره أن من يعتنق ذلك تنطبق عليه أحكام الكفار بإجماع المسلمين .

سؤال عن القاديانية

- سألني أحد الطلاب عن القاديانية ؟

- فقلت له : إن العقيدة القاديانية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وتسمى أيضاً بالأحمدية . ومؤسسها هو ميرزا غلام أحمد القادياني نسبة إلى بلد في الهند . . حيث ادعى أنه نبي يوحى إليه ، وأنه المسيح الموعود ، وأن النبوة لم تختم بسيدنا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ ، ومن مزاعمه أنه أوحى إليه أكثر من عشرة آلاف آية ، وأن من

يكذبه كافر ، وأن المسلمين يجب عليهم الحج إلى قاديان ، لأنها البلد المقدسة كمكة والمدينة .

- ومما قاله أيضاً : (إننا نخالف المسلمين في كل شيء : في الله ، في الرسول ، في القرآن ، في الصلاة ، في الصوم ، في الحج ، في الزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك) .

- يضاف إلى عقيدتهم هذه ماثبت بالنصوص الصريحة من كتب ميرزا غلام أحمد نفسه إعلانه تحريم الجهاد ، وأنه ينفي فكرة الجهاد ليصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية المستعمرة في الهند لأن فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهال المسلمين تمنعهم من الإخلاص للإنجليز .

- ويقول في هذا الصدد في ملحق كتابه (شهادة القرآن) مانصه : (أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد لأنه من الإيمان بأني المسيح أو المهدي إنكار الجهاد) .

- وبناء على ماتقدم من ثبوت ضلال الفئة القاديانية قرر مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بالإجماع رفض وإنكار العقيدة القاديانية المسماة أيضاً بالأحمدية رفضاً وإنكاراً قاطعا جملة وتفصيلاً لكونها خارجة عن الإسلام ، وأن معتنقيها مرتدون عن الإسلام ، وأعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين عموما وغيرهم مكافحة هذه

النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم .

- وقد اتخذ المجلس النيابي لمقاطعة الحدود الشمالية في باكستان سنة ١٩٧٤ م قراراً جماعياً باعتبار الفئة القاديانية بين مواطني باكستان أقلية غير مسلمة ، وفي الجمعية الوطنية الباكستانية (مجلس الأمة) لجميع المقاطعات وافق أعضاؤها بالإجماع على ذلك القرار .

- وفي سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م اتخذ مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي قراراً (باعتبار العقيدة القاديانية - المسماة أيضاً بالأحمدية - عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً ، وأن معتنقيها كفار مرتدون عن الإسلام ، وأن تظاهر أهلها بالإسلام إنما هو تضليل وخداع ، وعلى المسلمين حكومات وعلماء وكتابا ومفكرين ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم) .

مفهوم العلمانية

في أعقاب محاضرتي بمعهد عنيزة العلمي عن (خصائص الشخصية الإسلامية) توجه إلى أحد الطلاب بسؤال عن العلمانية والماسونية .

- فقلت للطالب السائل : إن معنى العلمانية هو فصل الدين عن الدولة بكل أجهزتها وأنظمتها السياسية والاقتصادية والتعليمية والتربوية والاجتماعية . . وبقاؤه مجرد علاقة بين

العبد وربه .

وقد بدأت فكرة العلمانية في أوروبا المسيحية حيث سيطر رجال الدين المسيحي على مقدرات الدولة ، وحكموها بأيد من حديد . . بعيداً عن تعاليم السيد المسيح عليه السلام . . حتى ارتفع شعار (أن الكنيسة هى ظل الله في الأرض ، وأن رجالها معصومون من الخطأ والضلال ، ومن حقهم أن يسود حكمهم ، وأن يعلو سلطانهم) .

وعلى هذا الأساس كانت للكنيسة محاكم خاصة ، وأصبح من حقها أن تفرض الضرائب المالية على الرعية ، وأن تقيم سجوناً لمعاقبة المذنبين ، وكانت صكوك الحرمان والغفران تصدر منها على من تغضب عليهم أو من ترضى عنهم .

بل وتجاوزت عقوباتها السجن إلى التعذيب بالحرق والنفي من البلاد ، وتم لها في عام ١٥٧٢م ذبح ألف مسيحي بروتسانتي من المخالفين لعقيدتها الكاثوليكية المحافظة . . وشملت لعنتها المفكرين والعلماء والفلاسفة .

واستمر رجال الكنيسة في عدوانهم وطغيانهم حتى بلغت ضحايا محاكمهم الدينية تسعة ملايين نسمة . . ومن هنا بدأ الخصام والصدام بين القساوسة والرهبان من ناحية ، والملوك والأباطرة ورجال السياسة والحكم والعلماء والمفكرين من ناحية أخرى . . وانتقلت المعركة بين الفريقين إلى المجالس النيابية في بريطانيا وفرنسا ، إلى أن قامت الثورة الفرنسية

فأطاحت برجال الدين المسيحي المستبدين ، ورمت بهم إلى زوايا الكنائس المظلمة بعيدا عن مجالات الحكم والسياسة والقضاء والتشريع . . وتم بذلك فصل الدين عن الدولة في أوروبا[٣] .

وانتقل هذا الوباء من أوروبا إلى العالم الإسلامي عبر الاستعمار الإنجليزي والفرنسي للدول العربية والإسلامية بعد انهيار الخلافة الإسلامية العثمانية ، ونتيجة لتأثر الشباب العربي المسلم بالثقافة الغربية داخل ديارهم وخارجها عندما كانوا يتلقون تعليمهم العالي في اوروبا .

وبلغ من تأثير الثقافة الغربية على المفكرين المسلمين أن كتب بعضهم يزعم أن الإسلام دين لادولة ، ويطعن في الخلافة الإسلامية العثمانية مؤيدا قيام الحكم العلماني الذي قام بعدها في تركيا ، وحارب الإسلام واللغة العربية ، وحول تركيا المسلمة إلى دولة أوروبية لادينية[٤] .

مع أن الإسلام - في حقيقته - عقيدة وعبادة وحكم ، ليس فيه رجال كنيسة كما حدث في اوروبا ، ولم يثبت عبر تاريخه الطويل الحفيل أن تحكم أو سيطر أو استبد علماؤه وفقهاؤه وأقاموا دولة داخل الدولة الإسلامية ، وكانت لهامحاكم وضرائب وسجون ومذابح كما فعل القساوسة والرهبان في أوروبا في القرون الوسطى الميلادية .

---

(٣) عن كتاب (فصل الدين عن السياسة) للأستاذ محمد كاظم حبيب .
(٤) من هؤلاء علي عبد الرازق مؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) .

كيف يفتح الله على الكفار ؟

وسألني طالب آخر : كيف يفتح الله على الكافرين علمياً واقتصادياً ؟ وهم لايؤمنون به ، ولايعبدونه ؟ .

- فأجبته : إن الله عز وجل خلق الخلق ، وسخر لهم ما في الأرض جميعاً ، ليتعلموا وينتفعوا ، ووضع للعلم والانتفاع بخيرات الأرض قوانين وسنناً . . فمن تعلم ونظر وفكر واجتهد في التعليم والانتفاع بمرافق الكون ، فتح الله عليه أبواب كل شيء ، سواء أكان مؤمنا أم كافرا ، وإن كان المؤمن أحق من الكافر بهذا (الاجتهاد) في طلب العلم ، والتماس النفع من خيرات الأرض وكنوزها .

ولكن الواقع – مع الأسف الشديد – هو العكس – ، فالمؤمنون هم المقصرون ، والجاحدون بالله هم المتفوقون في التعلم والبحث والاكتشاف وتسخير قوى الطبيعة ، وثروات الأرض لمصلحة الإنسان .

هذا من ناحية الفتوح العلمية . . أما من ناحية الفتوح الاقتصادية ، أي الكفالة الإلهية لمعائش الجاحدين بالله ، فهي أيضاسنة الله عز وجل وقانونه الخالد ، من أجل عمران الأرض يسعى الانسان – كل إنسان – وعلمه واجتهاده في الانتفاع بالمسخرات الكونية الظاهرة والباطنة .

- ثم قلت للطالب : إن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة الكونية في سياق قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما

أراد – في دعائه – أن يكون رزق الله الكريم الحكيم وقفا على المؤمنين به : ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا . وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر – قال : ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار ، وبئس المصير**﴾[٥] .

- فأنت ترى أن الله عز وجل الذي ينظر إلى خلقه كما ينظر الوالد إلى عياله ، قد رد على إبراهيم ماأراده من حبس الرزق على المؤمنين ، وشمل الله برزقه الكافرين امتحانا في الدنيا ، فإن آمنوا فيها ، وإلا فسيضطرهم إلى عذاب النار ، وبئس المصير . .

- وأكد القرآن هذه الحقيقة في آية من سورة الإسراء بعد الكلام عن المؤمنين الذين يريدون بعملهم الآخرة ، والكافرين الذين يعملون للدنيا ، فقال عز وجل : ﴿**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾[٦] .

- ثم أزال القرآن من قلوب المؤمنين كل ارتياب واغترار بمايرون من تقلب الكافرين في حلل النعمة والقوة ، وإنما ذلك متاع للامتحان والإعذار ، فقال تبارك وتعالى : ﴿**لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**﴾[٧] .

---

(٥) سورة البقرة : ١٢٦ .

(٦) سورة الإسراء : ٢٠ .

(٧) سورة آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧ .

حول الإسلام ومنظماته ومجلاته ؟

تلقيت رسالة حزينة مثيرة من شاب اكتفى بالرمز لاسمه بالحروف الأولى : (م . ط) يبكي فيها حالة الشباب المسلم ، ومايعانيه من حيرة كاملة شاملة لكل جوانب تفكيره وسلوكه - يقول في بدايتها :

- إن كل شاب عربي مسلم يبحث عن طريق الصواب ، وعن جادة الحق في وسط عالم لم نعد نعرف فيه - نحن الشباب - الصادق من الكاذب ، المخلص من المنافق . . كل واحد منهم يزعم أن الحق هو طريقه ، وأن الخير هو دعوته !

- إن مادفعني إلى الكتابة إليك : هو أنني ومجموعة من الشباب كنا نتحاور ونتجادل حول ذلك الكاتب ، أو ذلك الرئيس ، أو هذا الكتاب . . وقد خرجنا من مناقشاتنا بتساؤلات كدنا معها أن نصاب باليأس من مستقبل أمتنا العربية الإسلامية ، وسوف نطرح عليك بعض هذه التساؤلات الحائرة التى اصطدمنا بها دون أن نعرف لها جواباً شافياً .

- لعل أهم سؤال يفرض نفسه : هو لماذا تصاب كل حركة إسلامية بالفشل ؟ فتلك جماعة الإخوان المسلمين في عدد من الدول العربية ، لماذا لاينصرهم الله ؟ ألم يعدهم بالنصر ؟ أم تراهم لم ينصروا الله حتى ينصرهم ؟

- ثم لماذا لم تصل أية حركة إسلامية إلى الحكم ؟ اللهم إلا في دولة واحدة . . ومع الأسف الشديد . . أساءت هذه الدولة إلى الإسلام إساءة عظمى بما ارتكبت من سفك دماء المسلمين باسم الإسلام ؟

- ولماذا أصبح الإسلام سلعة يتاجر بها المتاجرون ؟ ! بمايضعون على رؤسهم من

وقد ذكر السائل « الإخوان المسلمين» كمثل لهذه الحركة الإسلامية وأشار إلى مالقيت من مواجهة قاسية في بعض البلاد العربية .

والحقيقة الأولى – في موضوع الإخوان المسلمين – : أن مؤسسها الأول الإمام حسن البنا – رحمة الله – لم يهدف من إنشاء هذه الجماعة أن تحكم مصر أو غيرها ، وقد أعلن ذلك مراراً في مذكراته وخطاباته ومقالاته ، وإنما كان هدفه الأول والأساسي : التربية على منهج الإسلام ، ومشاركة الإخوان في مقاومة الاستعمار البريطاني في مصر ، وفي مواجهة العدوان الإسرائيلي على فلسطين – عسكريا – لا يعنى ذلك أن الإخوان يهدفون إلى الحكم ، وإنما كان ذلك مساهمة في (الجهاد) الذي يفرضه الإسلام على كل مسلم إذا واجهت بلاده عدوانا .

وما كان لدى بعض أفراد الجماعة من أسلحة . . لم يكن من أجل الثورة على الحكم ، والاستيلاء على السلطة داخليا ، وإنما كان لمقاومة الاستعمار البريطاني ومواجهة العدوان

الإسرائيلي .

والحقيقة الثانية : أن مالاقته الجماعة من عقبات واضطهادات يعود لأسباب متعددة : منها :

(أ) وشاية الاستعمار لدى الدولة بخطر الاتجاهات الإسلامية ، للقضاء عليها .

(ب) تخوف الدولة نفسها من مطامع الجماعات الإسلامية في الحكم .

(جـ) مطالبة هذه الجماعات بتطبيق الشريعة الاسلامية .. والدولة والاستعمار – معا – لايريدان ذلك .

(د) أخطاء يرتكبها بعض أعضاء هذه الجماعات كما فعل أحمد عبد المجيد حسن عندما اغتال رئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي فكانت النتيجة أن انتقمت الدولة التى كان يحكمها الحزب السعدي برئاسة إبراهيم عبد الهادي خلف النقراشي – باغتيال المرشد حسن البنا بعد أن حرمت نشاط الجماعة وصادرت أموالها ، وأغلقت مراكزها .

ويؤكد لنا حقيقة المنهج السلمي للمرشد حسن البنا : أنه عندما طلب إليه النحاس باشا أن يتنازل عن حقه في الترشيح لمجلس النواب ــ بناءً على رغبة الإنجليز استجاب لطلبه .

وحسبنا عزاء في محنة الإنسانية وابتلائها بهؤلاء الخبثاء أن الرسول ﷺ يقول : **«الناس كإبل مائة .. لا تجد فيها راحلة»** أي أن الأكثرية منحرفة عن الطريق القويم ، أو أنها لا

خير فيها ، وإنما الخير في القليل .

وحسبنا تثبيتاً من الله عز وجل للمؤمنين الصادقين قوله تبارك وتعالى : **﴿ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضرُّكم من ضل إذا اهتديتم﴾**[٨] .

أما المسألة الثالثة للشباب الحائر . . لمن يقرأون من الكتاب وأية صحيفة يختارون لقراءتهم ؟ بعد أن أصبح الاهتمام الصحفي للرياضة والفن أكثر منه للأدب والعلم ؟ .

- فالجواب عليها : أن الله عز وجل وهبهم عقولاً وأبصاراً وأسماعاً . . ليميزوا بها بين الحق والباطل ، وبين الجد والعبث ، وبين الهدى والضلال . . والأمر كما قال رسولنا ﷺ : **«الحلال بين والحرام بين . . وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام»** .

فعليكم باختيار الكتب والصحف والمجلات التي تهتم بالثقافة الإسلامية أدبا وعلماً وخلقاً ، وتزودوا بماينفعكم في دينكم ودنياكم وآخرتكم ، ويمنحكم القوة والقدرة على الحياة الطيبة العفيفة خلقاً ، العزيزة مقاما تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى : **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾**[٩] .

وقد أسفت مثلكم أسفاً شديداً عندما كنت في بريطانيا

---

(٨) سورة المائدة : ١٠٥ .

(٩) سورة المنافقون : ٨ .

بعد عيد الفطر في عام سابق واطلعت على بعض المجلات العربية التي يصدرها عرب بلغة عربية ويتبادلون فيها الشتائم والاتهامات والفضائح . . إحداها مع الدولة الفلانية تشتم خصومها ومعارضيها ، والثانية تفعل مثل فعلها . . يحدث ذلك في وسط أجنبي يشمت بنا ، ويضحك علينا ، ويسخر منا !

وما رأينا بريطانياً أو فرنسياً يشتم بلاده أو يعارض دولته في أمريكا ، ولا أمريكياً يفعل مثل ذلك في بريطانيا أو فرنسا !

التحدي واحد . . والمواجهة واحدة

أحد الطلاب الجامعيين . . يريد التحضير لشهادة الدكتوراه بإحدى البلاد العربية ، وجه إلى سؤالاً عن التحديات التى توجه إلى المجتمعات الإسلامية في المجال السياسي والاقتصادي والتربوي والفكري والاجتماعي ، وقد فصلها تفصيلاً لاأرى ضرورة لسرده ، وهو يريد رأيي في مواجهة هذه التحديات المتعددة التى يهدف أعداء الإسلام من ورائها أن يتفرق شملهم ، وتتمزق صفوفهم ، وتفسد عقيدتهم ، ولايحكمون فيما بينهم شريعتهم ، ويضعف كيان أسرتهم . . الخ .

- أقول لهذا الطالب : إن (التحدي) واحد ، وإن اختلفت مجالاته ، وتعددت موضوعاته ، وغايته واحدة أيضاً ، فيما

يفد إلينا من عقائد شيوعية واشتراكية وعلمانية أو مذاهب فكرية إلحادية ، أو نظريات تربوية ، أو أفكار اقتصادية . . من أجل إبعادنا عن إسلامنا ، وتأثرنا بهذه العقائد والمذاهب والأفكار والنظريات المخالفة لعقيدتنا وشريعتنا وأخلاقنا . . كل ذلك موضوع واحد لهدف واحد . . ومواجهته يجب أن تكون واحدة .

وسبب تأثرنا بهذا التحدي المعادي لنا حقيقة ، والمتحبب إلينا ظاهراً . . وهو واحد أيضا . إنه (استعدادنا) نحن المسلمين لاستقبال هذا (التحدي) بصدور رحبة ، وأذرع مفتوحة ، ووجوه منبسطة .

إن خصمك دائما يريد أن يغلبك ، ويستخدم العديد من أسلحته ليحقق انتصاره عليك ، ولكنه لن يغلبك مالم يجد عندك (استعداداً) للهزيمة أمامه ، والخذلان بين يديه ، والتسليم له بالنصر .

فالمسلمون هم المسؤولون عن قبول هذه (التحديات) المتعددة الألوان ، وإن كانت مما أسلفت تجتمع في (تحد) واحد هو إرادة قهر المسلمين وإطفاء نور الإسلام .

وليست هناك (مواجهة) صالحة وناجحة وفعالة لهذا التحدي الأثيم اللئيم الموجه إلينا من أعداء الإسلام ، إلا العودة إلى العقيدة الإسلامية ، وشريعتها العادلة الفاضلة ، وأخلاقها الكريمة القويمة .

- فلنكن مسلمين حقاً وصدقاً حكاماً ومحكومين ، أسراً

ومجتمعات ، مدارس وجامعات أسواقاً وأندية . . وسنرى أن كافة هذه التحديات العدوانية مهما تعددت سبلها وموضوعاتها ومجالاتها . . قد ذهبت مع الريح ، وصدق الله العظيم **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾**[1]، **﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾** **﴿ولينصرن الله من ينصره﴾**[2].

جوستاف ليبون وحضارة العرب

أحد طلابي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (سعود محمد هندي) عقب على خلال حديثي عن اعترافات بعض المستشرقين ، وشهاداتهم بما قدمه العرب – بسلوكهم الإسلامي – من حضارة رائعة نافعة . . تتلمذت عليها أوروبا في كافة مجالات تقدمها العلمي وتطورها الاجتماعي . .

عقب على هذا الطالب النابه عندما ذكرت من هؤلاء المستشرقين جوستاف لوبون مؤلف كتاب (حضارة العرب) الذي نقله إلى العربية الأستاذ محمد عادل زعيتر سنة ١٣٧٤هـ – ١٩٤٥م ، فقال : إن جوستاف لوبون أساء الأدب كثيراً عند ذكره للرسول ﷺ بأوصاف لاتليق به وهو براء منها . ثم قدم لي كتاب : (جزيرة العرب) للدكتورة وفاء

(١) آل عمران آية ١٦٠ . (٢) الحج آية ٤٠ .

رفعت والدكتور جمال عبد الهادي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة . . وفيه تعرض المؤلفان لذكر العبارات التى كان جوستاف لوبون أساء الأدب بذكر الرسول ﷺ فيها .

من ذلك قوله : «حقاً إن من أعاجيب التاريخ أن يلبي نداء ذلك المتهوس الشهير شعب (جامح) شديد الشكيمة» .

وقوله : «ويقال إن محمداً كان قليل التعلم . . وإلا لوجدت في تأليف القرآن ترتيباً أكثر مما فيه . .» .

وقوله : «ضعف محمد الوحيد هو حبه الطارىء للنساء ، ولم يبال محمد بسن المرأة التى يتزوجها ، وأطلق محمد العنان لهذا الحب . . حتى أنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه بالتبني وهى عارية ، فوقع في قلبه منها شيء ، فسرحها بعلها ليتزوجها محمد !

وقوله : «وتزوج أربع نسوة في سنة واحدة ، وبلغ عدد من تزوجهن خمس عشرة امرأة . .» .

وقوله : «ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح . . وذلك كأكثر موسسي الديانات ، وأولو الهوس وحدهم – لاذوو المزاج البارد من المفكرين – هم الذين ينشؤون الديانات ، ويقودون الناس . .» !

وقوله : «ومحمد كان يجد في هوسه مايحفزه إلى اقتحام كل عائق» .

وقبل التعليق على كلام جوستاف لوبون نشير إلى بعض

التحريف في نقل العبارة السابقة من الأصل – فنصها هو :
«ونرى محمداً الثاقب النظر من الناحية العلمية من ذوي الهوس . . الخ» وبين العبارتين اختلاف كبير . . فهو يشهد لمحمد ﷺ بالنظر الثاقب في الناحية العلمية مع اتهامه إياه بالهوس . . بينما العبارة المنقولة في كتاب (جزيرة العرب) تجعل اتهامه بالهوس من الناحية العلمية أي أنه مضطرب في معارفه ومعلوماته .

وقد رجعت إلى النسخة الموجودة عندي من كتاب (حضارة العرب) لجوستاف لوبون فوجدتني مؤشراً على الملاحظات نفسها وعلى غيرها في الكتاب . ولا أدري الآن بعد مرور أربعين عاماً على قراءتي للكتاب ، هل عقبت على هذه الملاحظات أم لم أعقب ؟ .

وفي البداية أريد أن أقول : إن هذه مسؤولية المترجم محمد عادل زعيتر . . فقد كان عليه أن يعقب على هذه الجمل وأمثالها في الكتاب بما يصحح معلومات المؤلف التي قد يكون معذوراً فيها لجهله بحقيقة سيرة الرسول ﷺ ، ودوافع تعدد زوجاته . . هذه الدوافع الإنسانية لا الشهوانية كما زعم كثير من المستشرقين وغيرهم من العرب المستغربين .

أما وصف جوستاف لوبون للرسول (بالهوس) حسب ترجمة الأستاذ محمد عادل زعيتر – فيبدو لي أنه ربما كان

في الترجمة خطأ . . لأن مفهوم العبارات التى ورد فيها هذا الوصف يدل على أن المؤلف لايقصد (الهوس) بمفهوم الجنون أو التهور أو الاضطراب العقلي – كما هو معروف وشائع – وإنما يقصد معنى الحماس والاندفاع والإصرار .

- فهو يعترف في أول العبارة بأن (محمد ثاقب النظر من الناحية العلمية . .) حسب النص الأصلي من الكتاب لا النص المنقول عنه في كتاب (جزيرة العرب) فكيف يكون ثاقب النظر من الناحية العلمية ، ويكون في الوقت نفسه مجنوناً أو مضطرب العقل أو متهوراً ؟ .

- كذلك نجد جوستاف لوبون يصف مؤسسي الديانات كلهم – أي الرسل والأنبياء – بالهوس فيقول تتمة للعبارة السابقة : « . . وذلك كأكثر مؤسسي الديانات» ثم أكد هذا الحكم بقوله : «أولو الهوس وحدهم – لاذوو المزاج البارد من المفكرين – هم الذين ينشؤون الديانات ، ويقودون الناس» !

- وجملة : «لاذوو المزاج البارد من المفكرين» تؤيد ماذهبنا إليه من أن جوستاف لوبون – في أصل النص الفرنسي – ربما أراد بكلامه ذوي المزاج الحار ، أي ذوو الحماس والاندفاع فيما يدعون إليه الناس من ديانة أو فكرة أو رسالة دينية .

ولعل أخاً كريماً يجيد اللغة الفرنسية ، ويملك نسخة من

كتاب (حضارة العرب) في أصله الفرنسي يشترك معنا في هذا الحوار ، ويدلنا على حقيقة مقصود جوستاف من هذه الصفة التي وصف بها رسول الله ﷺ ، وهو منها براء .

- أما ماتحدث عنه جوستاف لوبون عن حب الرسول للنساء وتزوجه بأكثر من واحدة فقد رددت على هذا الاتهام في كتابي (مفتريات على الإسلام) رداً مفصلاً وقلت ماخلاصته : «إن الحديث الذي يقول فيه ﷺ : «**حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة**» إنما يقصد به الحث والتوجيه لأمته إلى الزواج وإكرام النساء . . فهن خير متاع الدنيا كما في حديث آخر .

- . . . كما أن معظم زوجات الرسول من الأرامل كبيرات السن ، وقد تزوجهن ليخلف عليهن أزواجهن الذين توفوا كأم سلمة ، وحبيبة بنت أبي سفيان ، وقد كان لأزواجهن سوابق إيمان وجهاد وهجرة في سبيل الله . . ولذلك قلت في الكلمة السابقة : إن دوافع الرسول إلى تعدد زوجاته إنسانية لاشهوانية .

- وإحصائية جوستاف لوبون عن زيجات الرسول غير صحيحة أيضاً .

ومن ملاحظاتنا على كتاب (حضارة العرب) سوى ماأشار إليه مؤلف كتاب (جزيرة العرب) أنه قال – في ص ١٣٠ – : «ويعد العرب القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان ، ومع مافي ذلك من غلو . . نعترف بأن في القرآن

آيات بلغت الغاية من الفصاحة لم يسبقه إليه كتاب ديني آخر» .

فهو أولاً يذكر أن العرب يعدون القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان ، وهذا من حقهم لأنهم هم وحدهم – بوصفهم عرباً – الذين يقبل حكمهم على كتاب عربي . . وليس جوستاف لوبون الفرنسي ! !

وقوله : إن في ذلك غلواً . . لاقيمة له ، لأن فاقد الشيء لايعطيه ، وليس في قدرته أن يتذوق البلاغة العربية إلا العربي الأصيل . . ومع ذلك فهو يعترف – في ختام كلامه – بأن في القرآن آيات هى غاية في البلاغة مما لم يسبقه إليه أي كتاب آخر – وهذا حسبنا منه .

وفي ختام هذا الحوار أريد أن أقول لإخواني من القراء : أننا – أقصد نفسي وغيري من الكتاب أو المؤلفين أو المحاضرين – عندما نستشهد بأقوال بعض المستشرقين التي تؤيد بعض أحكام الشريعة الإسلامة أو آداب الحضارة العربية . . فنحن نأخذ ماطاب من كلامهم وماكان حقاً ، وهذا لايمنعنا من أن نصحح ماأخطأوا فيه بل يجب التصحيح .

وليس من الحق ، ولا مما يقتضيه العقل والإنصاف : أن نمتنع عن الاستشهاد باعترافاتهم الحقة عن ديننا وحضارتنا من أجل أنهم أخطأوا ، أو كذبوا – متعمدين أو معذورين بالنقل عن غيرهم .

- إن جوستاف لوبون – في كتابه (حضارة العرب) – قال الكثير الطيب عن الدين الإسلامي وعن الحضارة العربية .

- ومن ذلك قوله : «إن الدين الذي دعا إليه النبي الناس سهل جداً ، وهو مايؤيد الحديث النبوي : «**إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» .

- ويقول : «لم تقل براعة الخلفاء الراشدين السياسية عن براعتهم الحربية التى اكتسبوها على عجل . وقد عرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقسوة على الإسلام ، وعرفوا كيف يجعلون حسن السياسة رائدهم ، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون ديانات الشعوب الأخرى وعرفها وعاداتها» .

- وأثنى على عمر بن الخطاب عند دخوله مدينة القدس ومعاملته لأهلها ، كما أثنى على عمرو بن العاص عند فتحه لمصر ، وحسن معاملته للمصريين ، وبخاصة الأقباط الذين احتفظوا بدياناتهم ، وقال : «إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب» .

- وتحدث عن أسباب تعدد الزوجات – في الشريعة الاسلامية – حديث الفاهم المقتنع بهذه الأسباب وقال : «إن الإسلام حقاً – لا النصرانية – هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه»

- كما تحدث عن سوابق العرب في المجال الطبي ، وبخاصة الطب الوقائي ، وذكر اجتهادات ابن زهر وابن رشد وابن سينا وغيرهم من الأطباء العرب !

والمجال لايتسع لسرد إيجابيات جوستاف لوبون عن الإسلام ، وعن حضارة العرب ، وفضلهم العلمي على أوروبا . ومن أجل ذلك نقول – بالنسبة له ولأمثاله من المستشرقين المنصفين – إن أخطاءهم يجب أن تصحح ، وأن يعقب عليهم . . دون إساءة الظن بهم ، والظن فيهم بالعداء للإسلام والافتراء عليه .

وربما نعود الى ذكر إيجابيات هؤلاء المستشرقين مستقبلاً ، والمهم أن نكون واقعيين ، ونتقبل من المخالفين لنا مانتفق عليه معهم فيه ، ونصحح لهم مايبدو لنا من أخطائهم ، كما نصحح للمؤرخين المسلمين أنفسهم أخطاءهم الكثيرة .

الدعوة إلى الإسلام بالقدوة العملية

حدثني أحد طلابي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة : أن هناك جماعة من العمال الكوريين ، غير مسلمين . . استقدمهم أحد رجال الأعمال السعوديين – فعملوا لديه فترة من الزمن – نحو عشرة أشهر – ثم أراد ترحيلهم إلى بلادهم دون أن يعطيهم أجورهم ، فشكوه إلى المحكمة الشرعية بجدة ، فقضت بوقف ترحيلهم حتى تسلم إليهم أجورهم . . فلما رأوا هذه (العدالة) الشرعية في الحكم الإسلامي الذي

يحكم به القاضي أخذتهم الروعة ، وسرتهم النصفة ، ولم يغادروا المحكمة ، حتى أعلنوا إسلامهم ، ذاكرين : أنهم يفتقدون مثل هذه (العدالة) الإسلامية في بلادهم !

- قلت للطالب : هكذا ينبغي أن تكون الدعوة إلى الإسلام . . بالسلوك العلمي ، وبالقدوة الشاخصة أمام المدعوين إلى الإسلام ، لابالكلام والخطب ، والمقالات التي تنشر في الصحف والمجلات ، ولابيعث البعوث ، وإرسال الخطباء إلى هنا أو هناك من إفريقيا أو آسيا فقط .

كذلك تجب مقاومة عمليات التنصير الجارية في قلب بعض البلاد الإسلامية ، وأمام أبصار ولاة الأمر فيها وأسماعهم . . يجب أن تقاوم عملياً مؤسسات التنصير . . بالعمل لابالقول والصراخ والنداء بالويل والثبور وعظائم الأمور .

كيف يترك (الدعاة) شباب الإسلام يتنصر وهو في دياره الإسلامية ؟ .

ولماذا لايتجهون بقلوبهم وألسنتهم وجيوشهم إلى حمايته ورعايته ، ويهتمون بحل مشكلاته ، وقضاء حاجاته ، وإغناء فقره ، ومداواة علله ، وشفاء أمراضه . . حتى يغلقوا الأبواب والنوافذ في وجوه منظمات التنصير ، وشياطين الإلحاد والوثنية ؟ .

ولنضرب مثلاً واحداً . . فإنا نقرأ كثيراً ، ونسمع دائماً عن انتشار أعمال التنصير في أندونيسيا بصورة مذهلة ، وأنا

هنا أريد أن أسأل عن الجماعات أو الجمعيات الإسلامية في أندونيسيا، وعن العلماء والدعاة الإسلاميين فيها . . لماذا لايقاومون عمليات التنصير بمواجهة عملية حاسمة ؟ . . وذلك بجمع الأموال من الأغنياء، والشركات والمؤسسات التجارية، لإقامة المدارس والمصاح والملاجىء (للفقراء) و (المرضى) و (الأرامل والأيتام) الذين يستغل المنصرون ضعفهم ومرضهم وحاجتهم، فيقيمون لهم المدارس والمصاح والملاجىء !

- وأعود فأقول لكل المهتمين بالدعوة إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا - من حكوميين وأهليين - اتجهوا أولاً إلى إعادة الإسلام إلى مجتمعاتكم وبيوتكم وأسواقكم ؟ واتجهوا أيضاً إلى منع إخراج المرضى والفقراء وطلاب العلم من الشباب من دينهم عن طريق عمليات التنصير التى تتباكون منها دون مقاومة عملية لها .

هذا . . وتذكرنا حادثة إسلام العمال الكوريين متأثرين بما رأوا من عدالة القضاء الإسلامي . . بما حدث في العهد الصحابي عندما كان سيدنا على بن أبي طالب - رضي الله عنه - خليفة أو أميرا للمؤمنين .

فقد افتقد - رضي الله عنه - درعه فوجدها عند يهودي . . فشكاه إلى القاضي شريح . . فطلب شريح من الإمام على البينة على دعواه فقال : هى درعي لم أبع ولم أهب، ولم يقدم البينة فحكم شريح لليهودي بالدرع . .

فأخذه العجب وقال : أمير المؤمنين يقاضي خصمه إلى قاضيه فيحكم قاضيه لخصمه عليه ! ! والله إن هذه لأخلاق الأنبياء . . أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول ﷺ ، وأسلم اليهودي واعترف بأن الدرع لأمير المؤمنين سقطت من جملة يوم صفين فالتقطها . . فأكرمه الإمام على وأهدى إليه الدرع .

من أجل مواجهة أعمال التنصير !

في رسالة من الأخ (نجيب أمين) يعقب فيها على ماأكتبه عن الغزو الفكري الأجنبي ، وتأثرنا به ، وتقليدنا إياه . . يقول : إن هذه المبادىء الهدامة القادمة من غرب ومن شرق . . قد انتشرت بين شباب إقليم (فطاني) المسلم ، هؤلاء الشباب الذين يعيشون تحت وطأة الاستعمار التايلندي البوذي . . الذي يبث المبادىء والأخلاق البوذية ، التى لاتتفق مع الشريعة الإسلامية السمحة .

ثم اضاف كاتب الرسالة : أن هناك حملات تنصيرية تقدم للشباب كل أنواع الإغراءات والمساعدات المالية . . من أجل هجر دينه الإسلام ، وهناك أيضا دعايات شيوعية باسم «الاشتراكية» حتى انخدع الشباب الفطاني والف منظمة ثورية لتحرير فطاني من الاستعمار التايلندي باسم «الاشتراكية الإسلامية» . . على الرغم من تنبيه العلماء المسلمين لهؤلاء

الشباب إلى هذه الخديعة الشيوعية الخطيرة ! .

ويقول الأخ نجيب أمين في ختام رسالته : لذلك أرجو إنقاذنا بالنصائح القيمة امتثالاً لقول الرسول ﷺ : «**الدين النصيحة** . .» وتزويدنا برأيكم . . حتى نتمكن من مواجهة حملات التنصير ، ودعايات الشيوعية ، والغزو الفكري الهدام لمبادىء الإسلام وأخلاقه وعقيدته السمحة . . لينجو الشباب الفطاني المسلم من الضياع الفكري ، والهلاك الديني .

أقول للأخ نجيب أمين . . لقد كتبت الكثير عن ضرورة مواجهة أعمال التنصير ، ودعايات الشيوعية ، والغزو الفكري الغربي – بأعمال مماثلة ، لابمجرد الكلام ، والصراخ والعويل ، وعقد الندوات والمؤتمرات ، وإعلان التوصيات والقرارات التي لاترى النور بعد إعلانها .

أي يجب أن تتعاون المؤسسات المالية والاقتصادية مع المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية في الدول الإسلامية . . من أجل البذل المادي والمعنوي في مواجهة هذه الأعمال العدوانية الهادفة إلى إخراج الشباب المسلم عن دينه وعقيدته وأخلاقه الإسلامية . . وبخاصة في البلاد الفقيرة في آسيا وإفريقيا التي يضطر الفقر شبابها إلى الالتحاق بمؤسسات التنصير التعليمية والصحية ليكفي نفسه حاجاته الثقافية والطبية والمعيشية .

' نعم . . لابد من البذل المادي والمعنوي ، للمواجهة العملية لهذه الأخطار الفكرية والعقائدية الموجهة للشباب المسلم - كما تفعل تماما المؤسسات المعادية بذلاً ، عملاً واجتهاداً وإخلاصاً في نشر مفاسدها وخبائثها . . فنحن المسلمين أولى بالبذل والعمل لحماية عقيدتنا وأخلاقنا من هذه المفاسد والخبائث الشيوعية والنصرانية .

أرض خصبة للدعوة الإسلامية

تلقيت رسالة مطولة من طالب عربي يدرس في أمريكا يتحدث خلالها عن قضايا ومسائل متعددة تتعلق بزملائه الطلاب ، وبالمسلمين الأمريكيين أيضا .

ومن هذه القضايا مسألة الإسلام في ولاية كاليفورنيا . . فهو يرى أن هذه الولاية الأمريكية أرض خصبة لإنبات أجيال من المسلمين . . ومن قبل الهيئات التى تملك البذل المادي في سبيل نشر الإسلام .

ويقول الطالب العربي : إن إخواننا من الأمريكيين المسلمين يعلقون آمالا كباراً علينا نحن العرب - بعد الله عز وجل - كي نهتم بشؤونهم ومشكلاتهم وحاجاتهم الدينية . . لذلك يجب أن نسارع بإنشاء مركز إسلامي في لوس انجلوس عاصمة الولاية . . يقام في جناح منه مسجد

للصلاة وفي أخر مكتبة للمطالعة وفي ثالث ميتم للأطفال ، وفي رابع مدرسة لابناء المسلمين وبناتهم ، وفي خامس معهد لتعليم العربية للأمريكيين وتعليم الإنجليزية للطلاب العرب .

ومن الممكن أن تتعاون الجامعات العربية والأزهر بمصر ورابطة العالم الإسلامي والرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية على تهيئة مايحتاج إليه هذا المركز من أدوات وكتب ومرافق ، مع مايقدمه الإخوان الأمريكان أيضاً من مساعدات في هذا المجال .

ويقترح الطالب العربي في رسالته : أن تهتم الجامعات العربية بتقديم دراسة مقارنة للأديان الثلاثة قبل ابتعاث الطلاب لإتمام دراستهم العليا في أمريكا . . لأن الطلبة المبتعثين يلاقون صعوبات جمة في الحوار الذي يجري بينهم وبين المعادين للفكرة الإسلامية من أساتذة وكتاب وغيرهم في المجتمع الأمريكي . . فهم – أي طلابنا – فارغون من أية ثقافة كافية لمعرفة حقائق اليهودية والمسيحية حتى الإسلام – أحيانا .

ويقول الطالب : إن الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة : إما أن تدرس كمادة مستقلة ، أو تدرس مع مادة الثقافة الإسلامية . . على ألا تدرس بأسلوب الكتب القديمة التى لايفهمها ولايهضمها الطلاب وإنما تدرس بأسلوب عصري سهل ميسر .

كما يقترح الطالب تدريس الطلاب في موضوع الفرق

الضالة الحديثة : كالقاديانية والبهائية والماسونية . . حتى يستطيع الطالب عندما يجيء لإتمام دراسته في أمريكا أو أوروبا أن يكشف ما تحتويه هذه المذاهب الضالة من انحراف عقائدي وفكري لاولئك الشباب المسيحي الذهي هجر ديانته واعتنق القاديانية أو البهائية أو الماسونية وكان حقا عليه – لو فهم الإسلام حق فهمه أن يعتنقه ويدخل فيه . . لينجو في دنياه وآخرته .

وإذا كانت هناك عوائق من ضيق الوقت أو كثرة المواد الدراسية الأخرى تحول دون تدريس هذه المادة للطلاب جميعاً . . فلا أقل من أن تهيأ دورة للطلاب المبتعثين قبل سفرهم إلى الخارج ، يتسلحون خلالها بمعرفة حقائق الأديان الثلاثة والفرق بينها ، وحقائق المذاهب الضالة العصرية التى أشرنا إليها آنفا .

حول الأطعمة المصدرة

وفي رسالة الطالب العربي فقرة طويلة تناول فيها موضوع الأطعمة المصدرة إلى البلاد العربية والإسلامية يقول الطالب ماخلاصته : (لقد من الله علينا فعرفنا طرق الغش والتدليس التي تمارسها المصانع المسيحية هنا في أمريكا حين إعدادها للأطعمة والأشربة المعلبة التى تصدر إليكم فإنهم يضعون هذا

المصطلح : (Shoptening) على الخبز والبسكويت والحلوى وقد ترجمها قاموس المورد بأن معناها (زبدة) والصحيح الذي عرفناه من سؤالنا للمصانع نفسها : أنها تعني الدهن أو السمن المقطّر والمجمع من عدة حيوانات من بينها الخنزير .

وعلى العرب – كما يرجو الطالب – أن يحذروا هذه المعلبات ، وأن يقرأوا المحتوى (Contentes) أولا قبل أن يشتروها ويأكلوها .

(ويضيف الطالب : إن الدهن والمادة السكرية اللذين يستخرجان من لحم الخنزير وجلده رخيص الثمن ولذلك تلجأ إليها مصانع الحلويات والأطعمة في أمريكا وأوروبا في إنتاج سلعها الغذائية – ومن بينها شركة (KRAFT) كرافت لإنتاج الأجبان ، فهي تستخدم الأنزيمات التى تستخرجها من معدة الخنزير لأنها غنية بهذه المادة أولا ، كما أنها رخيصة الثمن وتكاد تلقي مع فضلات الطعام .

ويقول الطالب أيضا : إن المصانع هنا تحترم مشاعر اليهود ورغباتهم فتكتبَ على معلباتها من الأغذية والأشربة كلمة (Renitless) أي خالية من أنزيمات الخنزير – لأن اليهود – يمتنعون عن أكل لحم الخنزير ومشتقاته .

ولفت نظري في رسالة الطالب العربي قوله : (إن بعض الأمريكان من غير اليهود يمتنعون أيضا عن أكل لحم الخنزير ومشتقاته . . إما لقذارته وإما بناء على إرشاد طبي) .

- قلت : إذاً فلأطباء هناك يرشدون مرضاهم الذين تأذوا من أكل لحم الخنزير إلى اجتنابه ، وسبق لى أن أجبت سائلا استغرب من استباحة المسيحيين لأكل لحم الخنزير وسلامتهم ؟ مما يقال عنه أنه يسبب بعض الأمراض .

فقلت للسائل : ومايدريك أنهم سالمون من العلل التي يسببها لحم الخنزير وشحمه ؟ وها نحن نعرف اليوم من رسالة الطالب العربي : أن بعض الأمريكان المسيحيين يجتنبون لحم الخنزير وشحمه بناء على إرشادات الأطباء لهم بذلك وأن مصانع الأغذية والزيوت المعلبة تحترم إرادتهم فتضع لهم أطعمة ودهوناً لاتخلطها بلحم الخنزير أو شحمه وتكتب على أغلفتها وأوعيتها عبارة (Renitless) .

ويختم الطالب رسالته : بأنه لاحظ عند زيارته لبعض أصدقائه خلال إجازته : أن نوعا من البسكويت المالح معروض للبيع والأكل في الأسواق والبيوت مكتوبا عليه بالانجليزية كلمة (شوبتنينج) وقد شرحنا معناها آنفا ، وفي جانب آخر من الغلاف مكتوب بالعربية : (مصنوع من زيوت نباتية) وهى خديعة من المستوردين اتفقوا عليها مع المصنع المصدر فينبغي الحذر من الغش التجاري الذي يمارسه الموردون ويؤذون به مواطنيهم دينيا وطبياً . كما يجب على وزارة التجارة أن تتنبه لذلك .

وبعد . . فإنا ندعو مخلصين للطلاب العرب والمسلمين جميعاً بعون الله وتوفيقه لهم في غربتهم ومهمتهم الدراسية .

حول الاحتفال بالذكريات الإسلامية

دعيت إلى معسكر الشباب - بالطائف - وهو واحد من معسكرات عديدة تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، لتلقي المزيد من الثقافة الإسلامية ، وللتعود على النظام الإسلامي في المجال الاجتماعي حيث يعيش الشباب والطلاب بضعة أيام يختلطون في مأكلهم ومشربهم وحديثهم .

- ومن بين المسائل التى طرحت على بعد إلقاء محاضرتي على الشباب ، سؤال يقول فيه الطالب السائل : مامدى صلة (الموالد) التى تقام عادة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بالعقيدة ، وما صحة مايقال من أن الرسول ﷺ يحضر هذه (الموالد) أثناء قيام الحاضرين وهم يرددون الصلاة والسلام عليه ؟ .

- قلت للطالب السائل : لاشك أن معظم هذه الاجتماعات التي تسمى (موالد) لاسند لها من كتاب ولاسنة . وقد يجري في بعضها مايخالف العقيدة الإسلامية من دعاء أو توسل أو مديح مبالغ فيه . وغير صحيح أن الرسول ﷺ يحضر هذه الاجتماعات . ولكن صح عنه أنه قال : صلاة المسلمين وسلامهم عليه في أي مكان من الدنيا يبلغه حيث تحمله الملائكة إليه . ولذلك شرع - بنص القرآن الكريم - أن يكثر المسلمون من الصلاة والسلام عليه في قوله تعالى : **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي . ياأيها الذين آمنوا**

صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[٣] .

ولعلكم تلاحظون أن أئمة المساجد في خطبة الجمعة يحثون الحاضرين بالصلاة والسلام عليه ، ويشيرون إلى هذا التوجيه القرآني إلى ذلك .

وفي الحديث النبوي : «**من أفضل أيامكم الجمعة . . فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي . قالوا : يارسول الله كيف تعرض صلاتنا وقد أرمت ؟ – أي بليت – قال : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل كل أجساد الأنبياء**»[٤] .

- ونعيش نحن المسلمين – الآن – ذكرى ميلاد نبينا الكريم محمد ﷺ وإحياء هذه الذكرى العظيمة – في نظري – ليس بالحديث عنه : كيف ولد ؟ وماهي بشائر ميلاده ؟ ولا أن نبدي ونعيد في ذكر شمائله وسجاياه الكريمة العظيمة . . صلوات الله وسلامه عليه .

فكل ذلك معروف ومذكور لدى الناس جميعاً من أمة محمد ، ومن غير أمته ممن درسوا سيرته ، وعرفوا تاريخه ، وإن كانوا على غير دينه الحنيف الشريف .

كما أن الإذاعات والمجلات والتلفازات – في العالم الإسلامي – تفيض عادة في مثل هذه المناسبة التاريخية

(٣) سورة الاحزاب : ٥٦ .
(٤) رواه ابن ماجة .

الإسلامية بالأحاديث الطوال ، والكلمات القصار ، وقصائد الشعر الحسان . . عن رسالته العظمى ، وأستاذيته الكبرى ، وفضله السابغ على البشرية جمعاء من غربيين وشرقيين ، ومسلمين وغير مسلمين . . ممن تعلموا علم الإسلام ، وتخلقوا بأخلاقه ، ولكنهم لم يؤمنوا به كدين ناسخ لما قبله من الأديان .

وقد اعتادت أحاديث الإذاعات ، ومقالات الصحف والمجالات ، وقصائد الشعراء : أن تروي الشواهد الصوادق على بطولته ورجولته ، ومن أحداثه وأحاديثه ﷺ كرسول ، وحاكم ، وقاض ، وكرائد لايكذب أهله ، وراع لايخون رعاياه .

وتذكر هذه الأحاديث والمقالات والقصائد — إلى جانب ذلك اعترافات المفكرين والمؤرخين الأجانب من غير العرب ومن غير المسلمين .. اعترافاتهم بعظمة رسالة الإسلام ، وإنسانية أخلاق رسوله ، وسداد قيادته لأمته نحو الخير والحق ، ونحو السعد والمجد ، ونحو الصلاح والفلاح .

ونحن المسلمون نعرف مايعترف به غيرنا ، ونشهد به قبلهم ، ولكن طربنا يزداد ، وفرحنا يشتد عندما نسمع غير المسلمين يشهدون بعظمة الإسلام ، ويعترفون بأخلاق رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

- مع أنه يكفينا أن نقرأ في كتاب الله الذي بين أيدينا وصف الله عز وجل لرسوله بهذه المزايا الجلائل :

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٥]
﴿وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٦].

ومع هذه الذكرى الفرحة المبتهجة بميلاد أعظم نبي وأكرم رسول . . يغشى قلوبنا وعيوننا ووجوهنا أسف وأسى شديدان . . على أن أمة هذا الرسول البشير النذير ، الذي أرسله الله رحمة للناس ، ونعمة للكون . . تعيش الآن بعيدة بعض أو كل البعد عن هديه ضالة عن سبيله ، متبعة سنن الأمم الأخرى في حضارتها المزعومة وثقافتها المسمومة ، وترفها المنهوم !

إن أمة محمد تتداعى عليها أعداؤها كما تداعى الأكلة على قصعتها ، وتتساقط عليها كما تتساقط الطير على اللحم . . وتتخذ هيَ هؤلاء الأعداء أولياء وأصدقاء ، تسر إليهم بالمودة ، وتلتمس عندهم النصيحة ، وتطلب منهم النصر ! .

وإذا كنا نردد دائماً – في اعتزاز – إن الله عز وجل يقول عن المسلمين في القرآن : **﴿كنتم خير أمة أخرجت لناس . .﴾**[٧] فإننا مع الأسف ، والخجل أيضا . . نجهل ونغفل عن أسباب هذه (الخيرية) وأوصافها اللازمة ، وهى مثبتة في نفس الآية التى نقرأ أولها وننسى آخرها : **﴿. . . تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله﴾** .

---

(٥) القلم آية ٤ . (٦) الأنبياء آية ١٠٧ . (٧) آل عمران آية ١١٠

فإذا شئنا أن نكون كالأسلاف الصالحين : (خير أمة) فلنستمع ولنتبع توجيه القرآن نفسه : **﴿ماآتاكم الرسول فخذوه ، ومانهاكم عنه فانتهوا﴾**[8] ، ولنحترم ولنلتزم أسباب (الخيرية) وأوصافها : أيمانا صادقاً بالله ، وأمراً جريئاً بالمعروف ، ونهياً صريحاً عن المنكر ، وتعاوناً على البر والتقوى ، وتواصياً بالحق والخير .

وإن يكن لإحياء ذكرى ميلاد محمد من ثمرات وبركات . . فهى الاتباع لهديه ، لا الابتداع لأخلاق وعادات ينكرها العقل ، وتأباها المروءة ، ويرفضها الأدب .

وإن كنا نريد لقضايانا ومشكلاتنا فصلاً وحلاً ، ولهزائمنا السياسية والاجتماعية انتصاراً وازدهاراً ، فل مانرجوه إنما نجده في (الإسلام) إذا عدنا إلى ظلاله تائبين راغبين .

إن ذكرى الميلاد المحمدي يجب أن تشدنا إلى السيرة العطرة للاقتباس والاقتداء ، لامجرد الذكر والفخر ، والتمدح والإنشاد . فصاحب الذكرى نفسه ﷺ يزجر عن الكلام بدون عمل ، ويرفض الإيمان بدون سلوك : **﴿وقل اعملوا . . فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . .﴾**[9] .

---

(٨) الحشر آية ٧ .

(٩) سورة التوبة : ١٠٥ .

- وقد أمر الرسول في القرآن أن يقول للمسلمين : ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1] .

- مع أصدق الصلوات وأزكى التسليمات على رسولنا العظيم الكريم ، الرؤوف الرحيم .

الضوابط الشرعية لعلاقة الرجال بالنساء

- يقول الأخ الفاضل الأستاذ (محمد شريف بشير محمد) رئيس لجنة التخطيط والبرامج في جمعية شباب مسجد أمير بالأبيض في السودان العزيز في رسالته الأولى المؤرخة ١٦/٨/١٤٠٤هـ : إنه سبق أن أرسل إلى سؤالاً فقهياً بواسطة مجلة «المسلمون» التي كانت تصدر في لندن حول علاقة المرأة بالرجل في الإطار الاجتماعي ، والضوابط الشرعية لهذه العلاقة ، ولأن المجلة قد توقفت . . لم يعرف مصير الرسالة .

- ثم يضيف : أنه يبعث هذه الرسالة الجديدة ليعرف الجواب . . وبخاصة بعد أن ازدادت عليهم تبعات العمل في حقل الدعوة الإسلامية ثم يذكر سؤالين للإجابة عليهما :

الأول : عن حكم الإسلام في «الاختلاط» بين الرجال والنساء . . لأن في السودان بعض الاتجاهات الغربية نحو

---

(١) سورة آل عمران : ٣٠ .

ترويج الاختلاط ، وتبريره بحجج باطلة . . منها : أن الأصل في علاقة الرجال بالنساء هو الاختلاط ، وأن المجتمع الإسلامي الأول كان مختلطاً فقد كان الرجال والنساء يخرجون معاً لأداء الصلاة وللجهاد أيضاً .

الثاني : ماهى الضوابط الشرعية للعلاقة بين الرجل الأجنبي والمرأة الأجنبية . . في حالة وجودهما في مكان واحد بحكم الدراسة أو العمل ، وفي مجال الدعوة الإسلامية ، وماذا يجب على الرجل أن يكون سلوكه في هذه الحالة .

- وأجيب الأخ الفاضل الأستاذ محمد شريف بشير :

- بأن الله عز وجل الذي خلق كلاً من الرجل والمرأة ، وجعل لكل منهما طبائع وغرائز مناسبة لكل جنس منهما ، هو الذي شرع الاختلاط بينهما في نطاق الزوجية ، وما يتأدى عنها من نطاق آخر هو نطاق (المحارم) ونطاق ثالث هو نطاق (الرضاعة) . . ففي هذه النطاقات الثلاثة يختلط الرجال بالنساء دون حرج ولا مأثمة .

- ولكن الإسلام حرم اختلاط المرأة برجل أجنبي . . كما حرم سفرها حتى لأداء عبادة الحج إلا مع ذي محرم من زوج أو أب او ابن أو أخ . . وأمر تبارك وتعالى الرجال بغض الأبصار إذا تصادف التقاؤهم مع النساء في الطريق أو في المسجد أو المستشفى – مثلاً – كما أمر النساء أنفسهم بغض أبصارهن في الحالة نفسها : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من**

أبصارهم﴾[٢]. **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾**[٣].

- وإذا تأملنا التوجيهات القرآنية والنبوية في قضية تحريم الإسلام للسفور والاختلاط بين الجنسين – وهى متعددة الجوانب والمواقفل – نجدها مانعة رادعة بحزم وصراحة – لايقبلان الجدل إلا من المبطل المعاند – عن «الاختلاط» الذي يدعو إليه دعاة الحرية النسائية بحيث تجتمع الفتيات مع الفتيان في مجال التعليم والعمل ، وهن سافرات الوجوه والنحور والشعور ، بارزات النهود ، وكاشفات عن سوقهن وأذرعهن – جريئات في الحديث معهم في كل الشؤون والأمور .

- مع أن هؤلاء الدعاة إلى الاختلاط يرون رأي العين مايحدث في الجامعات والمدارس ومكاتب العمل المختلطة . من افتتان الفتيان بالفتيات ، والعكس حاصل أيضاً ، وماينجم من مشكلات وضياع لأوقات الدراسة والعمل ، وانشغال بال هؤلاء بهؤلاء ، ورسائل الغرام والحب والغزل التى تدس بين الأوراق وصفحات الكتب ، وما يقع من تغرير الذكور بالإناث ، ثم بعد قضاء الحاجة يترك المفترس ضحيته للندم والحسرة وضياع الشرف والكرامة .

- وكم من فتاة موظفة خطفت زوجاً من أولاده وزوجته ، وكم من فتى خطف موظفة من زوجها وأولادها . . كل ذلك بسبب الاختلاط والتحادث والتجاذب الحر بين

---

(٢) النور آية ٣٠ . (٣) النور آية ٣١

الجنسين في مجالات العمل والتعليم .

- إن «وقائع» السفور والاختلاط في المجتمعات التي تبيحهما ، أعظم شاهد على حكمة الإسلام ورحمته في حماية المرأة والأسرة كلها من عواقب فساد الذمم ، وضياع الأعراض ، وخراب البيوت .

- ثم أليس السفور والاختلاط هما اللذين جراء عصابات الشباب على خطف البنات علنا وهن مصطحبات لأزواجهن أو آبائهن خلال الشوارع والطرقات ، ثم انتهاك أعراضهن اغتصاباً دون رحمة أو خوف أو حياء ؟ !

- . . أما قول المبطلين : بإن المجتمع الإسلامي الأول كان يسوده الاختلاط بين الرجال والنساء . . حيث كانوا يجتمعون للصلاة بالمساجد ، ويخرجون للجهاد في سبيل الله ، فهو قول ظاهره الحق ، وباطنه الباطل والزور .

- ذلك أن النساء – في القرون الأولى للإسلام وبخاصة في العهد النبوي – كن يصلين جماعة مع الرجال في المساجد ، ولكن في صفوف متأخرة منعزلة عن الرجال ، ولذلك جاء التوجيه النبوي : «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[4] وكان الرسول ﷺ يأمرهن أن يخرجن إلى المساجد (تفلات) أي غير متطيبات لئلا يجذبن أنوف الرجال وعيونهم إليهن ، وكن يخرجن إلى المسجد ويعدن منه متحجبات كأن

(٤) رواه مسلم

رؤوسهن الغربان .

وكذلك كن يخرجن للجهاد منعزلات عن الرجال ومتحجبات ، ومختصات بأعمال إسعاف المرضى والجرحى وتطبيبهم ، وإعداد الطعام للمجاهدين . . ولاشك أن معهن محارمهن من أزواج وآباء وإخوة . . فهم يساعدونهن في تناول مايقدمنه من خدمات للرجال الأجانب عنهن .

- فهل «الاختلاط» اليوم في المدارس والجامعات ومكاتب العمل يجري على هذا النحو المحتشم ؟ أم هو اختلاط كاختلاط الزوج بزوجته رفقةً وجواراً وحديثا وغزلا وغراما وتزاورا واختلاء . .

والإسلام لايمنع – كما قلنا مراراً – من أن تتعلم المرأة وأن تعمل . . ولكن بشرط عدم الاختلاط مع الرجال . . وهذا مايجري – بحمد الله – في المملكة العربية السعودية حيث الانفصال الكامل بين الجنسين في مجال التعليم والعمل .

وإذن فقد أعطينا المرأة حقها في التعليم وفي العمل ، في حدود الشريعة الإسلامية ، وفي نطاق مصلحتها ومصلحة المجتمع ، حيث امتنع الفساد الذي ينجم عن الاختلاط المطلق . . كما هو واقع في المجتمعات الأخرى .

كما استفدنا – في الوقت نفسه – بتعليم المرأة وعملها في القطاع النسوي . . كالمدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها .

- أما سؤال الأخ محمد شريف بشير عن الضوابط الشرعية للعلاقة بين الرجال والنساء . . فقد أسلفنا الإشارة إلى شيء من ذلك في الإجابة على سؤاله الأول . . فالضابط الأول هو الزواج ، ومايتأدى عنه من محارم للزوجة وقرابات أخرى بسبب الرضاعة . . أما إذا اضطرت المرأة للحضور أو الوجود في مواقف معينة كالدراسة المختلطة أو المستشفيات أو الشوارع والطرقات والمتاجر . . فالواجب عليها : أن تحتجب الحجاب الشرعي ، وأن تجتنب الحديث غير الضروري مع الرجال . . كما يجب على الرجل أن يقف من المرأة الأجنبية إذا اضطر للالتقاء معها موقف الأخ الذي يغار على أخته وزوجته ، وأن يغض بصره ، كما تغض هى بصرها .

- وفي مجال الدعوة الإسلامية يجب أن يكون عمل المرأة مع أخواتها النساء ، كما يكون عمل الرجال مع إخوانه الرجال ، فالنساء محتاجات إلى الدعوة الإسلامية احتياج الرجال أنفسهم ، بل ربما هن أكثر احتياجاً لانشغالهن بشؤون البيت والأسرة والأولاد .

الواقع المرير لاختلاط الجنسين

يسأل الأخ (ف . م) : هل الإسلام يمنع أن تعمل المرأة

جنباً إلى جنب مع الرجل . . حتى لو استطاعت أن توفق بين العمل والبيت ؟

- وأجيب الشاب السائل : إن عمل المرأة مع الرجل الأجنبي جنباً إلى جنب – أي في مكتب واحد ، أو غرفة واحدة – يعني الاختلاط بينهما رؤية وكلاما وحوارا وجدلا ، وهذا يعني – بدوره – تبادل النظرات والخطرات بين الجنسين اللذين طبعا وخلقا على ميل كل واحد منهما إلى الآخر ميلا عاطفيا أو غريزيا أو جنسيا – سمه ما شئت فالمعنى واحد – وقد احتاط الإسلام وكل الأديان السماوية في أصالتها الأولى قبل أن تبدل أو تحرف لهذه الغريزة الجنسية الطبيعية بالتكريم والتنظيم لتجري أو تسير في الطريق السليم ، طريق الحلال والعفاف والطهر . . وذلك :

- أولا : بتشريع الزواج والتشجيع عليه .

- ثانيا : بالابتعاد عما يوقع الجنسين المتحابين غريزيا في المحظور أو المحذور ، بالالتقاء المحرم قبل الالتقاء الحلال . . الذي هو الزواج المشروع .

- ولايتحقق الابتعاد عن المحظور أو المحذور – في التقاء الجنسين – إلا بغض النظر الذي من شأنه أو من نتيجته ألا ينشغل البال بالتفكير في اغتصاب الفاكهة المحرمة .

- والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف صريحان في التنبيه إلى ذلك في قول الله عز وجل : ﴿**قل للمؤمنين يغضوا**

من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ . ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . .﴾ .

- وفي الحديث النبوي الشريف يقول ﷺ : «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، النظرة الأولى لك والثانية عليك . إياكم والدخول على النساء**»[٥] وفي أمره الصريح لبعض زوجاته – وهن أمهات المؤمنين الطاهرات – بالاحتجاب عن النظر إلى الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم ، وهو كفيف البصر . وعندما قالت إحداهن : يارسول الله أليس هو أعمى لايرانا ؟ رد عليها مستنكراً : أفأنتما عمياوان ؟ !

- وهذا يعني أن غض البصر ليس واجباً على الرجل وحده ، بل هو واجب أيضاً على المرأة . . لأنها تحب كما يحب ، وتشتهي ، وتميل كما يميل ، بل ربما كانت أكثر حبا وشهوة وميلا .

- فكيف يتقي الرجال وكيف يتقي النساء – الذين يعملون جنبا إلى جنب في المكاتب والغرفات ، ويتبادلون النظرات والأحاديث والضحكات أيضا – كيف يتقون وكيف يتقين نوازع الميل الطبيعي ، ودوافع الغريزة الجنسية ؟ إنهم – حتما – لايستطيعون التحكم في ضبط هذه النوازع والدوافع الغريزية المركبة في تكوينهم ، الجارية مع دمائهم في عروقهم ، المنفعلة في أعصابهم وأفكارهم .

---

(٥) رواه الحاكم والطبراني

والواقع المرير الخطير في المجتمعات التى يختلط فيها الرجال والنساء ، والفتيان والفتيات في مجالات العمل أو الوظيفة ، أو في قاعات الدراسة والعلم ، يصدق ما أسلفنا من حقيقة عن الجنسين والمحظور أو المحذور من التقائهما غير المشروع .

والواقع المرير الخطير - أيضا - في تلك المجتمعات ذاتها يكذب مايزعمه المفسدون المخربون من إمكانية توفيق المرأة بين وظيفتها كأم وزوجة وربة بيت . . وبين عملها الإداري في المكتب أو الديوان خارج المنزل .

أجل إن الواقع الأليم الأثيم ينفي هذا التوفيق المزعوم ، لأنه - أي هذا الواقع الخراب - ينادي ويصرخ في ندائه بمطالبة المرأة للعودة إلى زوجها وأولادها في حمى البيت الأمين ، وجنة الأسرة والبهجة .

وهو - أي هذا الواقع الخراب - ينادي ويصرخ في ندائه : إن الأطفال البشر لم يعودوا يجدون حتى مثل عطف أمهات الحيوان على ولائدها ، ولامثل حنانها على صغارها . . فالآباء والأمهات مشغولون بالعمل خارج المنازل ، والأطفال في دورهم أو حدائقهم أو محاضنهم أو شوارعهم غرباء مضيعون ، وهم في المستقبل القريب سوف يكونون أشد غربة ، وأكثر ضياعاً ، وأعمق حقدا على آبائهم وأمهاتهم وكافة أقربائهم . . بل على المجتمع كله لأنهم فتقدوا في صغرهم - وحين حاجتهم - الحنان والحب والنصح والتوجيه .

عرفنا دور المرأة فما هو دور الرجل ؟

- قرأت في بعض الصحف العربية كلمة حول الطلاب الذين يتمون دراستهم العليا خارج بلادهم ، يقول فيها كاتبها الفاضل مانلخصه في السطور التالية :

أولا : إن في الابتعاث إلى خارج البلاد العربية أخطاراً على شبابنا من الناحية العقائدية والأخلاقية .

ثانيا : يقترح الكاتب الفاضل أن يسبق الابتعاث اختيار وانتقاء للطلاب الصالحين المحافظين على عقيدتهم وخلقهم .

ثالثا : ينبغي بل يجب أن تكون هناك مراقبة مستمرة لسلوك الطلاب في الجامعات الخارجية . . مراقبة متفرغة للطلاب أنفسهم . لايكتفي فيها بالملحقين الثقافيين الذين لايستطيعون أن يقوموا بأكثر من مسؤولياتهم الإدارية والمالية وهم على مكاتبهم .

- وتلقيت في الفترة نفسها – من الطالب العربي السعودي عبد الإله محمد المؤيد الذي يدرس في جامعة بورت لاند بولاية أوريجان – رسالة يقول في مقدمتها : إنه كان يخشى عند مقدمه إلى أمريكا من أن يحرم من مجالس الإيمان والذكر التى كان يسعد بها في بلاده الإسلامية ، وأن يحرم أيضاً من القراءة والمطالعة في كتب التفسير والفقه والحديث التى كان يتلذذ بها . ولكن الله من عليه بإخوة من رفاقه لم

يتأثروا بالحضارة الغربية ، فحافظوا على عقيدتهم الإسلامية وسلوكهم بل زادهم مارأوا في المجتمع الجديد من تمزق وقلق وانحلال خلقي - زادهم كل ذلك تمسكا بدينهم اعتقادا وخلقا ، ولكن حرمانه ورفاقه الصالحين من الطلاب السعوديين من الكتب القيمة التي كانوا يدرسونها هناك - مازال قائما ، وهو لذلك ينتظر تزويده ورفاقه بهذه الكتب .

ثم يتحدث الطالب عن قضية المرأة . . فيذكر أنه كان يسيء الظن بكتابي (مكانك تحمدي) قبل قراءته ، وكان يظن أني متعصب للرجل ضد المرأة . . ولكنه بعد أن قرأه هناك في أمريكا أسف لموقفه السابق من الكتاب قبل قراءته ، وهو الآن يعتذر عن ذلك ، ويطلب العفو والسماح عن سوء ظنه بالكتاب ومؤلفه .

ثم يقول : «إن الكتاب بحق من أفضل ماقرأت في موضوعه ، ولعمري لقد أنصفتم المرأة ، وإن كنتم قسوتم عليها أحيانا . ولكنها قسوة أب رحيم ، قسوة حب وعطف ، لاقسوة بغض وتحامل - لقد أوضحتم دورها الطبيعي ، ومكانها الذي أراده الله لها صونا لكرامتها وتحقيقا لرسالتها» .

ويضيف الطالب السعودي : إنه يقف وقفة سريعة ليبدي ملاحظة مهمة . . وهي أنه فيما قرأ عن المرأة لم يجد من تصدى بروح إسلامية لدور الرجل . . ومايجب عليه تجاه المرأة - وعن مواقف الظلم التي وقفها الرجل في

معاملتها . . كاتخاذه رخصة تعدد الزوجات وسيلة للمتعة فهو يتزوج أربع نسوة ثم يطلق إحداهن ليتزوج بأخرى تحل محلها .

كما أن بعض الرجال لايبالون عواقب الطلاق من ترمل الزوجة ، وتشرد الأطفال ، ويزعمون أنهم إنما يمارسون حقوقهم الشرعية ، وغير ذلك من المهازل – على حد تعبير الطالب نفسه – التي يدعوني شخصيا إلى وضع كتاب مماثل لكتاب (مكانك تحمدي) أقول فيه للرجل (مكانك . أيضاً) .

- وهنا أعقب على ملاحظة الأخ الكريم . . بأن كتبا عديدة صدرت عن نظام الأسرة كما يرسمه الإسلام ، وقد تصدى مؤلفوها للحديث عن حقوق كل من الزوج والزوجة وواجباتهما ، وماشرعه الإسلام من أحكام وأخلاق وآداب . . من شأنها أن تحقق سعادة الجنسين وأولادهما في ظل بارد كريم من المودة والسكن والتعامل بالحسنى بين الزوجين ، وبين الآباء والأمهات من جانب . . والأبناء والبنات من جانب آخر .

- كما صدرت كتب خاصة عن نظام الطلاق ، وعن تعدد الزوجات . . وماأوجبه الإسلام وماشترطه من حقوق وتصرفات قبل ممارسة هذين الأمرين وبعدهما .

- وأنا شخصيا وبمناسبة مااقترحه الأخ الكريم على من

وضع كتاب خاص عن واجبات الرجل ومسؤولياته نحو المرأة - قد تحدثت في الكتاب نفسه (مكانك تحمدي) وكتابي (نساء وقضايا) وفي كتابي (محاضرات في الثقافة الإسلامية) وكتاب (دين ودولة) وكتابي (مفتريات على الإسلام) عن مقام المرأة المسلمة كما يحدده القرآن وسنة الرسول ﷺ وعن حقوقها المعلومة على الرجل أبا وزوجا وابنا وقريبا .

الخاطب ليس له إلا النظر إلى مخطوبته

- تحدث إلى صديق عزيز من الرياض شاكيا ومستفتيا . . قال : إن خطيب ابنته يتصل يوميا عن طريق الهاتف ليتحدث معها ، حتى اضطر إلى قطع توصيلة الهاتف داخلياً . . ثم أضاف : إن خطيب ابنته فعل ذلك بناء على الفتوى التى نشرتها جريدة (المسلمون) بإباحة التحادث بين الخطيب وخطيبته هاتفيا . . ثم سألني : مارأيكم دام فضلكم ؟

ورجعت إلى (المسلمون) العدد (٣٩) المؤرخ ١٤٠٦/١٢/١٩ - ١٩٨٥/١١/٢م فوجدت إعلانا عن الفتوى في الصفحة الأولى بعنوان (يجوز التحدث مع الخطيبة في الهاتف ، وتحت العنوان : أفتى الشيخ (. . .) بأنه لامانع من مخاطبة الخطيبين بواسطة الهاتف وحديثهما مع بعض ، فالله تعالى يقول : **﴿وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن**

من وراء حجاب . . ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[6]
والممنوع في هذه الحال أن يخلو بها وأن يخرجا دون محرم !

المفتي بهذه الفتوى عالم جليل ، وهو مع ذلك صديق حبيب[7] . ولذلك أعتقد بأن خلافي معه في فتواه لن يفسد مابيننا من مودة وإخاء جمعتنا عليه الدعوة الإسلامية من قديم .

- إن الأحاديث النبوية التي يستند إليها الفقهاء قديماً وحديثاً في موضوع الخطبة تقتصر نصوصها على توجيه الرسول ﷺ إلى جواز نظر الخاطب إلى مخطوبته . . وأشهرها حديث المغيرة بن شعبة عندما أخبره بأنه خطب امرأة فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : «انظر إليها فذلك أحرى أن يؤدم بينكما» أي يوفق بينكما ويحبب أحدكما إلى الآخر .

وبعض الأحاديث تشير إلى أن أحد الصحابة خطب امرأة ، فجعل يتربض بها ليختلس النظر إليها وليس في أي حديث منها إباحة الجلوس من الخطيب مع خطيبته ، ولا الحديث معها مباشرة أو عن طريق الهاتف . . لأن الهاتف لم يكن موجودا يومذاك .

---

(٦) سورة الاحزاب : ٥٣ .
(٧) هو فضيلة الشيخ سيد سابق مؤلف كتاب (فقه السنة) والاستاذ بجامعة ام القرى .

أما الآية التي استدل بها الأستاذ الجليل على إباحة التخاطب بين الخاطب وخطيبته في الهاتف . . فليس حجة للإباحة المطلقة ، وإنما هى – في بدايتها – نزلت خاصة بنساء الرسول ﷺ حين فرض عليهن الحجاب ، وأبيح للصحابة رضوان الله عليهم أن يكلموهن عند الحاجة من وراء حجاب : ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب . .**﴾ .

ولاشك أن هذا الحكم يسري على سائر النساء عندما يضطرن، لمكالمة الرجال الأجانب ، وعلى سائر الرجال عندما يضطرون لمكالمة النساء الأجنبيات في قضاء حوائجهم أو حوائجهن .

- ومخاطبة الخاطب في الهاتف لخطيبته ليس لها دافع الحاجة ، فالحاجة قد انقضت بالنظر إليها عندما اجتمع بها في دار أبيها ورأى منها مايعجبه أو مايدعوه لنكاحها . . فما حاجته بعد ذلك إلى الكلام معها في الهاتف ؟ .

- هل يريد أن يتغزل بها ؟ أن يثني على جمالها ؟ أو أن يبثها شوقه اللاهب إلى اللقاء معها ؟ .

- ومع أن التوجيه النبوي صريح في أن الإباحة مقصورة على النظر وحده ، وآية حجاب نساء النبي ﷺ ليست دليلاً على إباحة الكلام مع المخطوبة مباشرة أو عن طريق الهاتف . . مع كل ذلك نقول : إن الفتوى كان يجب أن تلاحظ أحوال شبابنا من الجنسين . . ومافشا في مجتمعاتنا

من معاكسات الشباب للفتيات عن طريق الهاتف ، وأن تقتصر الفتوى على مايناسب تحلل المجتمعات الإسلامية في زماننا الحاضر من التزاماتها الأخلاقية . . وهو الاكتفاء بنظر الخطيب لمخطوبته والمسارعة بعد ذلك إذا رضيها زوجة له إلى عقد نكاحه عليها . . ليجتمع بها بعد العقد ، أو يكلمها مباشرة أو بالهاتف كيف يشاء ، في ظل ميثاق الزوجية الحلال .

- لقد كنت أريد أن تكون فتوى العالم الجليل : أن يقول للسائل ماحاجتك إلى كلامها عن طريق الهاتف ، وقد رأيتها رأي العين ؟ ومالذي يمنعك من العقد عليها لتحل لك وتحل لها . . سارع ياأخي إلى العقد عليها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

- هذا . . مع إجلالي وودي الدائمين لفضيلة العالم الجليل حفظه الله ورعاه وسدد خطاه إلى الحق والخير والصواب .

شراركم عزابكم

القارىء (ع . م . س) من الرياض - يسأل : هل هذا الحديث صحيح : (شراركم عزابكم) ؟ . . وماذنب من لم يتيسر له الزواج بسبب غلاء المهور وتكاليف حفلات الزواج ؟ .

الجواب :

- هذا الحديث (شراركم عزابكم) الذي أورده أبو يعلي والطبراني من حديث ابي هريرة رضى الله عنه : في سنده ضعف واضطراب من حيث الرواية – ولهما ايضاً : (ان من سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، وشرار أمواتكم عزابكم) ومثله بهذا اللفظ للإمام أحمد برواية ابي ذر – ولكنه كما يرى الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) لايحكم عليه بالوضع الخ [٨] .

وهكذا يبدو أن معنى الحديث صحيح ، ولكنه لم يثبت أنه صادر عن رسول الله ﷺ . .

وهناك دراسة علمية حديثة للدكتور ليف يقرر مايلي :

- اولاً – إن معظم الحالات الصحية الاستثنائية لاتلاحظ الا لدى المتزوجين ، وان الأرامل من ذكور وإناث لايعيشون في صحة جيدة دائماً مالم يتزوجوا مرة ثانية . .

- ثانيا – ان المتزوج أعقل من العازب وأقل منه اسرافاً وبخاصة في مجال الأكل والشرب والتدخين ، كما أن المتزوج يضطر الى الحرص على العناية بصحته البدنية لسبب لايكترث به العازب ، وهو شعوره بالمسؤولية نحو أسرته زوجة واولاداً .

- ثالثا : بالنسبة للمرأة . . فإن الأشغال المنزلية التى تنصرف إليها وتهتم بها المرأة المتزوجة كالكنس ، وغسل

---

(٨) المقاصد الحسنة – للحافظ السخاوي .

الصحون ، وتنظيف الامتعة والمفروشات – إنما هي رياضة بدنية تساهم في تطويل عمر الزوجة . .

- رابعا – إن راحة البال ، والاعتناء بالأولاد والزوج (أو الزوجة) هي بمثابة مصارف ومنافذ للغرائز العصبية الهجومية التي تضني البدن وترهق النفس . .

- خامساً – يؤكد الدكتور ليف صاحب الدراسة أن الزواج بالنسبة للرجل والمرأة يزيل أسباب التوتر العصبي ، كما أن تنظيم العلاقات الزوجية بين الجنسين يصون السلامة البدنية في حين أن توتر هذه العلاقات طويلا يجفف الغدد في الطاعنين في ا لسن . . إلى جانب ان شجون الحب ، والتقلبات العاطفية التى يتقلب على أشواكها العازب والعازبة تعجل بهما الى طريق الهرم والشيخوخة المبكرة .

أما غلاء المهور ، وكثرة تكاليف حفلات الزواج التى تقف عقبة في طريق زواج الشباب من الجتسين – فالذنب والإثم في ذلك واقع على الآباء والامهات . . وهم دون شك مؤاخذون ومعاقبون .

سؤال عن الزواج المؤقت ؟

أحد طلابي بجامعة أم القرى : (ص . م) تحدث الي قائلا : إنه قبل فترة طويلة من الزمن استمع الى برنامج (نور وهداية) في التلفاز – وكان من بين الموضوعات المطروحة :

زواج المتعة ، ومما أفتى به صاحب البرنامج أنه لابأس بزواج المتعة للطالب الذي يدرس خارج بلاده ، ويخشى على نفسه الوقوع في الحرام ، فيتزوج من أهل الكتاب في أمريكا أو أوروبا ثم يطلقها عند العودة إلى بلاده .

ثم أضاف الطالب : ولكنه استمع الى برنامج (قضايا وردود) في التلفاز صباح الخميس ١٤٠٣/٤/٦هـ حيث طرحت المسألة نفسها فأجاب المتحدث فضيلة الشيخ صالح محمد اللحيدان : بأن زواج المقيم في بلد مؤقتا لايجوز . . لأن النية أساس في عقد الزواج ، وزواج (المتعة) أو الزواج المؤقت محرم بنص الحديث النبوي الصحيح .

وسألني الطالب بعد عرضه للمسألة : مارأيكم دام فضلكم ؟ .

- فقلت له : سبق لي أن أجبت على هذه المسألة : بأن نكاح المتعة حرمه الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة خيبر وراوي الحديث هو علي بن ابي طالب رضي الله رضي الله عنه – والحديث في الصحيحين ، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : «لاأجد رجلاً نكحها – اي المتعة – الا رجمته بالحجارة ، فقد هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث !

ثم إن النية في عقد النكاح أساسية فكيف ينوي الزوج التوقيت في زواجه ، ويخفى ذلك على الزوجة ، وهو إلى جانب ارتكابه الحرام يخدعها ويغشها إذ يفارقها بغتتة بعد

قضاء حاجتة و (من غش فليس منا) وقد يكون له منها أولاد فإلى من ينتسبون ؟ .

وكانت إجابتي تعقيبا على الموضوع نفسه الذي طرح في التلفاز كما طرح في مجلة (الدعوة) السعودية - قبل عامين او اكثر .

ثم أحلت الطالب السائل الى كتابي (محاضرات في الثقافة الاسلامية) فصل (تكريم الاسلام للمرأة) لمزيد من البيان والاستدلال[٩] .

حول تكاليف الزواج

بعد فراغي من إلقاء محاضرتي عن (مشكلات الشباب ، ومسؤولية الآباء والمعلمين) بالنادي الأدبي في المدينة المنورة - طرح الحضور من الاساتذة والطلاب بعض المسائل والمشاكل من اجل الحوار حولها والإدلاء بوجهات النظر عن الحلول او الاجابات المطلوبة . .

- يقول احدهم - في مسالته - ان غلاء المهور ، وارتفاع تكاليف الزواج من شبكة وعقد وزفاف . . هي اكبر مشكلة يعانيها الشباب في الواقع ، واذا حلت هذه المشكلة كانت المشكلات الاخرى أيسر حلاً ، وأهون شراً ؟ ثم ألا ترون ان

---

(٩) في كتابي الآخر (نساء وقضايا) فصل بعنوان : (نكاح المتعة يجعل المرأة سلعة) .

الشباب بحاجة شديدة الى مساعدة الدولة المالية لتيسير عملية الزواج ، مساعدة مالية تتراوح بين (٥٠) ألف ريال و (١٠٠) ألف ريال ؟ .

قلت للاخ السائل : أولاً أنا ألوم الآباء والأمهات لوماً شديداً ، لأنهم هم الذين يعسرون عمليات الزواج على الأبناء والبنات . . مع أنهم يستطيعون التيسير والتسهيل ، وبذلك يقضون على الفتن والانحرافات في أوساط الشباب من الجنسين ، فلاتسمع عن المكالمات الهاتفية التى تحمل عواطف الطرفين المحرومة من الري والسقيا بطريق الحلال – الذي هو الزواج – كما لانرى الانتظارات الطويلة في مداخل الاسواق ومخارج المدارس والجامعات . . لتبادل الهمسات والنظرات المحرمة .

إن الآباء والامهات هم المسؤولون والمسؤولات عن هذا (البلاء) النازل بمجتمعات الشباب ذكوراً واناثاً . ويجب الاننسى أن البنات أسرع نضجاً ، وأبكر رغبة في الزواج ، واكثر استعداداً له منذ المرحلة الإعدادية بل الابتدائية ، فما بالك بالثانوية والجامعية ؟ انهن يكن عندئذ في (القمة) أو (الذروة) من الرغبة والشهوة والفتيان بعد لم يكملوا دراستهم فضلا عن ان يعملوا ويكسبوا ليتزوجوا ويؤسسوا بيوتا وأسرا ، وينجبوا اطفالا .

إنني انصح الآباء والأمهات ان ييسروا سبل الزواج لأولادهم – ذكوراً واناثاً – دون ان يشترطوا مهوراً عالية ،

ولاتكاليف شبكة وعقد وزفاف باهظة . . ليكن المهر ماتيسر ، والاحتفال موحداً – اي يقام في ليلة واحدة يتم فيها العقد ويتبعه الزفاف ، ويخرج العروس بعروسه عند منتصف الليل ، لاعند الفجر ولابعده كما هو الحال المرهق الآن .

ولتكف الأمهات عن مطالبهن في اختيار غرف النوم ، وغرف الاستقبال ، والمطبخ والمائدة . . غالية الأثمان لبناتهن ، وليدعن ذلك للخطيب وخطيبته يختاران (الوسط) من هذه المطالب او المرافق الزوجية او البيتية ، ثم يكملان النواقص فيما بعد عندما تتوفر للزوج نفقات التجميل والتكميل .

وبهذه المناسبة نآمل من ديوان الخدمة المدنية – بالاشتراك مع المسؤولين في جامعاتنا – إعادة النظر وتفهم حاجة المتخرجين الشديدة الى رفع مرتباتهم من السادسة الى الثامنة – على أقل تقدير – لتمكينهم من الزواج الذي يلبون به نوازعهم الطبيعية ، ويقيمون عليه بيوتهم السعيدة ، وينجبون ذريتهم الرشيدة ، وتستقر نفوسهم ، وتحسن اعمالهم ، وتخلص قلوبهم وجوارحهم تجاه أمتهم ودولتهم .

وإلى جانب هذا الأمل في إنصاف المتخرجين – نرجو أن يكون هناك اقتداء من الدولة بجاراتها في الخليج العربي – بمنح المقدمين من الشباب على الزواج هبات مالية تعينهم على مستقبل حياتهم الزوجية – كما اقترح صاحب السؤال .

زينة المرأة وحدودها

في أعقاب المحاضرة التى ألقيتها في قسم الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز قبل سنوات معدودة سألتني طالبة - عن طريق التلفاز - ماهو حكم قص المرأة لحواجبها من تلقاء نفسها أو بأمر زوجها ؟ .

- قلت للأخت السائلة : لقد كررنا القول كثيراً عن المنهج التربوي الإسلامي الذي رسمه نبي الإسلام ﷺ ورددنا مرارا مايحذر منه الرسول الكريم المرأة من تغييرها لخلق الله وجهها أو شعرها . . فقد روينا عنه ﷺ لعنته للواصلة والمستوصلة ، والنامصة والمتنمصة . . وقد جمعهن في وصف واحد فقال : المغيرات لخلق الله .

وحذر أيضاً - في منهجه التربوي للمرأة - من الكاسيات العاريات المائلات المميلات . . اللاتي رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة فإنهن من أهل النار .

ونحن الرجال نعجب ونستنكر ونستقبح في وقت واحد ماتصنعه المرأة في وجهها من أفاعيل ، بل أباطيل . . تظن أنها تجميل وتحسين وهى تشويه وتقبيح . . فهي تخفف حواجبها الطبيعية الجميلة حتى تبدو كالخيط الرفيع ، وتضع مايسمونه (الرميل) بلون أصفر وأخضر أو رمادي بين الحواجب والرموش فتبدو كالعفريته ! وتظن أنها به جميلة وساحرة . .

– وأخرى : يكون شعر رأسها ناعماً رقيقاً فتخشنه بصورة موحشة . . في حين أن أختها ذات الشعر الخشن تتمنى أن يكون شعرها رقيقاً ناعماً .

– وثالثة : يكون لون شهرها الطبيعي أسود رائعاً . . فتصبغه بلون بني لايتفق ولون بشرة وجهها ، أو تكون بيضاء الوجه فتصبغ شعر رأسها بلون أشقر . . فتبدو باهتة المحيا لافرق بين شعرها ووجهها .

– وتكون (رابعة) ذات شعر غزير مرسل . . فتأبى – لمجرد التقليد – إلا أن تضع على رأسها باروكة . . بينما تتمنى أخت لها أو رفيقة أو جارة ذات شعر خفيف أن يكون لها مثل شعرها .

وهكذا نرى أن النساء ناقصات عقل فعلاً وواقعاً . . لالأنهن يخالفن منهج التربية الإسلامية للمرأة – الذي يمنعها من تغيير خلق الله في وجهها وشعرها وجسمها كله ولكنهن ناقصات عقل لأنهن يتعمدن تشويه جمالهن الطبيعي بهذه العمليات والأصبغة والأدهنة التي يحسبن أنها تزيدهن جمالاً ، وهي في واقع الأمر تذهب بجمالهن الحقيقي ، وتؤدي في الوقت نفسه إلى الإضرار بهن . . كما أثبت ذلك الخبراء والأطباء فيما نقرأ لهم من أبحاث ودراسات عن هذه الأصبغة والأدهنة المسمومة التي يضعنها في وجوههن وشفاههن ومابين حواجبهن ورموشهن . . حيث أكد هؤلاء الخبراء والأطباء أنها تؤذي العين والشفة ، وتنتهي إلى تجعيد

بشرة الوجه وتوسعة مسامه . .

وبذلك يتأكد للمرأة أن النبي ﷺ عندما ينهى عن منكر أو أى فعل قد يبدو - لأول وهلة ولقصار النظر - غير ضار ، فهو لاينطق عن الهوى وإنما يحذر من الشر والضر والأذى .

وقد نشرت جريدة الندوة خبراً عن الهيئات العلمية الامريكية بانها حذرت من هذه الصبغات التى تستعملها النساء وطلبت ان يكتب على علبها تحذير مشابه للتحذير الذي يكتب على السجائر وزجاجات الخمور .

فعلى المرأة العاقلة : أن تحافظ على جمالها الطبيعي بالنظافة ، واتباع النظام الصحي الذي يمنع العين والوجه والفم والشفتين والجسم كله من التعرض للأمراض وبالرياضة والقيام بأعمال المنزل حيث تمشي وتتحرك ، فتكون قوية العضلات ، ويجري الدم في كافة عروقها ، وتبدو صحيحة جميلة طبيعياً دون تكلف ودون تصنع ، ودون رد فعل سيىء لعمليات التجميل المزعوم .

معاملة الزوج لزوجته كيف تكون ؟

وسألت مستمعة اخرى : هناك زوجة تطيع زوجها وتنفذ معه كل أوامر الله وهو يهينها ويطردها كثيرا من البيت فما الذي تفعل معه ؟

- قلت للأخت السائلة : لاشك أن هذا زوج مخالف

لأمر الله وأمر رسوله بالتعامل بالحسنى بين الزوجين . . فالقرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى فيه : ﴿**وعاشرهن بالمعروف**﴾[1] ويقول : ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾[2] وهذه الدرجة هى درجة القوامة العادلة الفاضلة ، وليست درجة الإهانة والايذاء والكبرياء .

والحياة الزوجية يجب أن تقوم على المودة والرحمة كما تريد ذلك الطبيعة والشريعة في قول الله عز وجل ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[3].

كما أن الرسول ﷺ يوصي في أحاديث عديدة بالنساء خيراً – من ذلك قوله : «**استوصوا بالنساء خيرا**» وقوله «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» .

وقوله أيضاً : **لايكرمهن إلا كريم ولايهنهن إلا لئيم**» أو كما قال ﷺ .

ولابد أن يعرف زوجك هذا الحق لك ، وأن يستقيم في سلوكه معك ، وإلا فهو خاطىء لابد من رده إلى الصواب .

---

(١) النساء آية ١٩ . (٢) سورة البقرة : ٢٢٨ . (٣) الروم آية ٢١

زوجة غير صالحة

- تلقيت الرسالة التالية من طالب سعودي عائد من أمريكا بعد أن أتم دراسته هناك ، وهو يعرض فيها شكواه من زوجته حيث يقول :

«أنا من أسرة محافظة دينيا ، شاءت الأقدار أن أتزوج من فتاة أحببتها قبل الزواج وعشنا فترة قبل الزواج ، وبعد الزواج عشنا معا بأمريكا ، فظهر الأمر على حقيقته ، وعصت أمري في طاعة الله وطاعة رسوله ، ولم تتقيد بما أطلبه منها من صلاة وصيام وحجاب ، وعشت معها على مضض طيلة هذه السنوات ، حاولت أن أقنعها ولكن بلا فائدة ، نصحها أهلها فلم تسمع . المهم أن لي ثلاثة أبناء منها ، ولاأستطيع الاستمرار بعد أن فقدت الأمل . . فما هو الحل ياأستاذنا الجليل ، والأولاد هم كل شيء في حياتي ؟!» .

- الرأي عندي ألا تشتد في الخلاف مع زوجتك . . وأن تدعو لها بالهداية ، كما تطلب من والديها أو أحدهما – إن كان الآخر غير موجود – بالدعاء لها بالهداية أيضاً ، فكثيراً مارأينا شبابا من الجنسين يهملون شيئا مما ذكرت . . ثم يهدي الله من يشاء فيصلي ويصوم ، وتستقيم حاله .

إن الصبر والمصابرة مطلوبان في كل شؤون الحياة ، وبخاصة الأسرة والحياة الزوجية ، وتربية الأهل والأولاد مقرونان بالدعاء الصالح الخالص .

و (الرفق) كما جاء في حديث الرسول ﷺ يجب أن يسود تعاملنا مع الناس ، ومع الأهل والأقرباء من باب أولى .

وحسبنا أن الله عز وجل يقول لرسوله الذي بعثه معلما وهاديا : **﴿إنك لاتهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[٤] وهذا يعني بالطبع : أن نهمل أهلنا وأولادنا من الموعظة الدائمة ، ومن التوجيه المستمر إلى الخير والحق والهدى ، فإن ذلك واجب على الآباء والأزواج . . ولكن مع الرفق والدعاء .

هذا . . ولابأس أن تقوم بتجربة تأديبيه : أن تهجرها في المضجع وتهمل رغباتها الخاصة ، كرد فعل لموقفها من رغباتك .

وفي حالة عدم الاستجابة لكل المحاولات السابقة لإصلاحها وتأكدك من إصرارها على سلوكها الذي يخرجها من المحيط الإسلامي ، فالواجب عندئذ فراقها ، وأخذ أولادك منها ، ولو كانو مازالوا في حضانتها أنها لاتؤمن على تربيتهم تربية إسلامية ، والله الموفق والمعين .

لماذا أباح الإسلام ضرب الزوجة ؟

سألني طالب آخر ، لماذا أباح القرآن الكريم تأديب

---

(٤) القصص آية ٥٦ .

الزوج لزوجته في قوله تبارك وتعالى : ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجرهن في المضاجع ، واضربوهن**﴾[5] فإن بعض أساتذتنا – في الجامعات الأمريكية – يعيبون علينا ذلك ؟

قلت للطالب السائل : إن النفوس البشرية – أي الرجال والنساء على سواء – تختلف في الاستجابة للموعظة والنصيحة . . فبعضها لايستجيب إذا أخطأ ، أو انحرف إلا بالأخذ على يده بالشدة ، ولذلك شرعت الحدود والعقوبات والزواجر البدنية للرجال والنساء معاً ، كما روي عن بعض الصحابة قوله : «إن الله ليزع بالسلطان مالايزع بالقرآن» . ومع ماترى من إباحة القرآن الكريم تأديب الزوج لزوجته العاصية بالضرب ، فقد جعله المرحلة الثالثة بعد النصحية والموعظة ، وبعد هجرها في المضجع – أي ينام إلى جوارها دون مقال أو وصال – ثم يختم القرآن الكريم ذلك بقوله : ﴿**فإن أطعنكم فلا تبغو عليهن سبيلاً**﴾[6] وقد اشترط الفقهاء والعلماء أن يكون ضرب الزوج لزوجته النافرة خفيفا لطيفا لايكسر عظما ولايسيل دما .

ومن العجائب أن يستنكر أستاذك الأمريكي هذا التأديب القرآني الرحيم من الزوج لزوجته إذا عصته ونفرت منه في

---

(٥) النساء آية ٣٤ .

(٦) النساء آية ٣٤ .

حدود شرع الله ، وينسى أو يتناسى ماتنشره صحف بلاده من أخبار مزعجة حقا عن ضرب الأزواج لزوجاتهم ، وضرب الزوجات لأزواجهن .

وإليك خلاصة عما نشرته صحفهم في آخر يناير عام ١٩٧٨م .

العنف في الزواج مشكلة خطيرة يعاني منها المجتمع الأمريكي . . فقد أثبتت الدراسات والإحصائيات الأخيرة أن ٢٥٪ من الأزواج الأمريكيين يضربون زوجاتهم ، وأن عدداً كبيراً منهن يحال إلى المستشفيات ، وأن ٢٠٪ من الزوجات يضربن أزواجهن بصورة منتظمة . . والعلة في ذلك الصراع الزوجي الدموي هو مايعانيه الزوجان من أمراض نفسيه وفراغ عائلي . .

وفي كتاب صدر في نيويورك من تأليف زوجي لانجلي وريتشارد ليلني ، اعتراف صريح من المؤلفين بأن الحياة الزوجية في أمريكا يسودها العنف . . وأن الأزواج يتلقون ضرباً مبرحاً من زوجاتهم ، ولايستطيعون رفع شكاياتهم إلى المحكمة أو الشرطة خجلاً وحياء .

وهذا - بحمد الله - لايحدث في المجتمعات الإسلامية ، لأن الأغلبية العظمى من الأزواج المسلمين لايستخدمون هذا الحق في تأديب زوجاتهم العاصيات ، ويكتفون بالنصحية فالهجر ، ثم الفراق إذا تعسرت الأمور وعز الاتفاق .

زواج الاقارب والتذكير والتأنيث

سألني (الطالب خالد عريف)[٧] عن نكاح الاقارب - وقال ان المستر «هول» مدرس اللغة الانجليزية بالكلية قال للطلبة ان انجلترا قد منعت التزاوج بين ابناء العمومة وبناتها لئلا تضوي الذرية ، ولتجديد الملكات والمواهب بالزواج من الاباعد - وقال المستر هول أيضاً : لماذا حرم الاسلام نكاح الأمهات والبنات والاخوات والخالات والعمات الخ ؟ وكيف عرف المسلمون أضرار الزواج من الأقارب ؟ وانما اكتشف ذلك العلماء المعاصرون نتيجة لتقدم الدراسات النفسية والإجتماعية الخ ؟

- قلت للطالب : إن الذي شرع شريعة الاسلام هو الله تبارك وتعالى وهو فاطر الناس ، العليم بغرائزهم ومشاعرهم وتكوينهم الحيوي والنفسي : ﴿**الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى**﴾[٨] .

ثم إن العرب قوم امتازوا بالذكاء والنباهة ، والمعرفة الفطرية ، والانتفاع بالتجارب . . من ذلك مانجده في قصة أعرابية هجرها زوجها لانها تلد البنات دون البنين فأنشدت :

مالأبي عزة لايأتينا ؟

يقعد في البيت الذي يلينا

---

(٧) احد طلابي بجامعة الملك عبد العزيز في بداية تأسيسها .

(٨) سورة الاعلى : ٢ و ٣ .

غضبان الا نلد البنينا
تالله ماذلك في أيدينا
فنحن كالأرض لزارعينا
ننبت مازرعوه فينا

فلما سمع زوجها بهذا الشعر عاد الى بيته إيمانا منه بأنها غير مسؤولة عن إنجاب البنات دون البنين .

وفي القرآن الكريم آيات تؤكد هذا المعنى : ﴿**أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ؟ فجعل منه الزوجين الذكر والانثى**﴾[9] اي ان نطفة الرجل هي التى تتحكم في تذكير الجنين أو تأنيثه .

وفي بعض الآثار والأخبار والاحاديث التى تروى عن النبي ﷺ ، وبعض اصحابه والتابعين . وقد تكون ضعيفة في الإسناد . . لكنها صحيحة المعنى : «**اغتربوا لا تضووا**» اي تزوجوا الغرائب لئلا تضوي – اي تضعف – ذريتكم ! .

كما عرف العرب بذكائهم الفطري وتجاربهم أن الولد يتأثر بأمه أكثر من أبيه ، وقالوا حكمتهم المأثورة : (تكاد المرأة تلد اخاها) وأثر عن عمر بن الخطاب أنه قال عن حق الولد على الوالد أن ينتقى امه ، وان يحسن اسمه ، وان يعلمه

---

(٩) سورة القيامة : ٣٦ : ٣٩ .

الكتاب[١] (اي القران) ، فانتقاء الزوجة الطيبة الاصل ضروري لتأثيرها بطباعها واخلاقها في اولادها .

الزواج بالمسيحيات

وسأل طالب عن الزواج بالمسيحيات بالنسبة للطلاب المسلمين الذين يتلقون دراستهم في اوروبا ؟

- قلت له : ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يميل الى تحريم نساء أهل الكتاب لقوله عز وجل : **﴿ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن . .﴾**[٢] ويقول : لاأعلم شركاً أعظم من قول إمرأة إن عيسى ربها - وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الاية الاخرى **﴿والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم﴾**[٣] .

كما كان رضي الله عنه ينهى عن الزواج بالاجنبيات ويقول للمسلمين : (إن في نساء الاجانب خلابة فلا يغلبنكم على نسائكم) .

والوقائع التى تحدث نتيجة لزواج المسلمين سواء أكانوا طلاباً أم تجاراً ، ام زوارا لأوروبا وامريكا - تؤكد حكمة سيدنا عمر رضي الله عنه في نهيه عن الزواج بالكتابيات .

---

(١) يحتم ان يكون معنى (الكتاب) الكتابة . . اي يعلمه الكتابة والقراءة فيهما يتعلم القرآن وغيره .

(٢) البقرة آية ٢٢١ . (٣) المائدة آية ٥ .

فان هؤلاء الازواج كثيراً ماشكوا من مخالفة زوجاتهم المسيحيات لهم، ومفارقتهن بعد العشرة الطويلة، وفرارهن باولادهن . . مع مايشعر به الزوج المسلم من ضياع اولاده واعتناقهم للنصرانية .

اندية رياضية للبنات

- تكرر سؤال طالبين عن انشاء أندية رياضية خاصة بالبنات – هل هو حلال ام حرام ؟

– قلت : هناك قاعدة إسلامية حكيمة، وهي : (درء المضرة مقدم على جلب المصلحة) الى جانب التوجيه التشريعي الآخر : «سد الذرائع» إي قفل الابواب والطرق التى تؤدي الى المفاسد والآثام .

- وافتتاح اندية خاصة برياضة البنات أمر – في ظاهره – لاشيء فيه، ولكنه في حقيقته وعاقبته مجلبة للفساد، وذريعة الى اختلاط الجنسين مستقبلا عند الأبواب، وخلال الذهاب إلى النادي والإياب منه .

وهذا مانلاحظه ونلمس مضاره الآن في محيط المدارس والأقسام الخاصة في الجامعات بتعليم البنات، وكان التعليم بالنسبة لهن ضرورة، فلابد من احتمال الاذى في سبيله مع محاولة تجنيبهن إياه بقدر المستطاع .

اما (الرياضية البدنية) فليست ضرورة لهن، ويستطعن

ممارسة التمارين السويدية في بيوتهن وبين أهليهن وهن في ستر عن الأعين الخائنة .

مع ملاحظة انهن ممنوعات من رياضات معينة لاتصلح لهن ، لأنهن يختلفن عن الرجال بماخصهن الله به من جسم رقيق وكما وصفهم رسول الله ﷺ بالقوارير .

حول زراعة القلوب والكلى

وسألني طالب عن حقيقة امكانية زرع القلوب في صدور المصابين بضعف قلوبهم ، وذلك بانتزاع قلوب حية من مصابين في حوادث السيارات أو غيرها ممن لاترجى حياتهم الخ ؟ وهل هذا مما يعارض الاسلام ؟ وهل تعتبر إطالة لعمر الانسان ؟ .

فأجبت الطالب - باختصار :

إن هذه العملية عملية زرع القلوب التى أجريت إحداها في جنوب افريقيا ، والاخرى في امريكا خلال ديسمبر ١٩٦٧ ويناير ١٩٦٨ لم يثبت نجاحها . . وتوفي الشخصان اللذان زرعت قلوب جديدة في صدورهما ، وذكر الاطباء الذين أجروا هذه العمليات أن الاجسام رفضت قبول هذه الاعضاء الغريبة عنها . . كالدم له فصائل خاصة يرفض الجسم الذي يمد بدم آخر اذا لم يكن من فصيلته ويسبب وفاته . . وذكر لي طبيب سعودي أنه حتى زراعة الكلى وغيرها مما هو أبسط

من القلوب لم تنجح أيضا ، وقرأت في مجلة (العربي) القعدة ١٣٨٧ صفحة مصورة عن زراعة الكلى جاء فيها : ان عمليات زرع الكلى نجحت (وعاش من نقلت اليهم ولكن عيشا مؤقتا ، الا اذا كان المنقول اليه الكلية وهبها أخ له توأم مطابق) .

وعلى احتمال نجاحها مستقبلا فهى دليل جديد على قدرة الله الواسعة في تعليم الإنسان مالم يعلم ، ثم هى تجري بإذن الله ومشيئته ولاتعتبر إطالة من الطبيب لعمر المريض ، وأنما تعتبر علاجاً له كاي علاج لاي مريض قد يشفى به إذا أذن الله وقد لايشفى – وصدق الله العظيم : **﴿علم الانسان مالم يعلم﴾**[٤] **﴿والله خلقكم وماتعملون﴾**[٥] **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾**[٦] .

يقول الاستاذ يوسف القرضاوي في مجلة (حضارة الاسلام جمادى الاولى ١٣٨٨هـ) عن هؤلاء الاطباء الذين يزرعون في إنسان حي خلقه الله ، فالأمر كله لله من قبل ومن بعد .

وقد نشرت مجلة (الجمهور الجديدة) اللبنانية ١٨/١٠/١٣٨٧ تحقيقا علميا بعنوان (زرع القلوب جريمة أم إبداع) جاء فيه : إن الدكتور كالاهان جراح القلب الامريكي يقول : لاأمل بالحياة للمرضى الذين تزرع في صدورهم

(٤) سورة الفلق : ٦ .
(٥) الصافات : ٩٦ .
(٦) فصلت : ٥٣ .

القلوب – وان الاطباء بحاجة الى فهم كامل لوسائل المقارنة بين بروتين القلب وغشاء الخلايا وكريات الدم البيضاء بالطريقة نفسها التى يقارن فيها بين أنواع الدم – قبل محاولة زرع قلب بشري – ان الدكتور بارنار أجرى حتى الآن (٤٦) عملية زرع قلب لكلاب لم تنجح واحدة منها فلا يجوز إجراء عمليات للبشر اعتمادا على الحظ .

وفي ألمانيا شن الدكتور فورسمان الحائز على جائزة نوبل في الطب حملة على الدكتور كريستيان بارنار وقال في نهاية حملته : (. . . وهكذا يهبط الطبيب الى مرتبة الجلاد والى مصاف عزرائيل) .

وفي لبنان يقول الدكتور احمد النقيب زميل الدكتور برنار أنه اذا كانت عمليات زرع الكلي – وهي اسهل من زراعة القلوب نسبة نجاحها ضئيلة إذ على المريض ان يستعمل بصورة دائمة علاجات خاصة لصيانة الكلية المزروعة من رفض الجسم لها فكيف بالقلب الذي يحتل مركزا حيويا في الانسان – اي ان اي تعطيل به يسبب الموت ، ومن هنا نقول ان محاولة زرع قلب بشري سليم مكان قلب مريض هي جريمة مالم يتوصل العلم الى حل مشكلة لفظ الجسم للاعضاء الغريبة .

ونشرت مجلة الاسبوع العربي اللبنانية ايضا بحثا في ١٥/١٠/١٣٦٧هـ يؤكد ماسبق من أن سبب فشل عمليات زرع القلب هو وجود بروتين خاص في كل جسم يختلف

بانفعاله وردود فعله وتكوينه عن اي جسم آخر ، فهو يرفض البروتينات الغريبة الدخيلة ويبيدها .

لماذا لم تمحق بنوك الربا

ويسأل الطالب (علوي العيدروس) : هل رأيت بنكا من البنوك قد محق لتعامله بالربا . . كما يقول القرآن : **﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾**[7] أو رأيت شخصا يتعامل بالربا قد محق أو أفلس ايضا ؟

- في سؤال الطالب شبهة مثيرة وخطيرة ، فهو يريد ان يرى مصداقا لنذير القرآن بمحق الربا وتحقيقا لمقصد تحريمه ، وبخاصة وهو يرى أن البنوك في العالم كله وفي الدول الاسلامية قائمة ، وعاملة ناصبة ، ورابحة كاسبة !

وكان جوابي للطالب :

أولا - ان الله سبحانه وتعالى لايعجل العقوبة كما نتصور نحن البشر فور ارتكاب المعاصي او المخطىء للأثم . . وفي القرآن آيات كثيرة بهذا المعني منها : **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى . .﴾**[8] .

ثانيا : قرأت عليه بعض صفحات من (ظلال القرآن) لسيد

---

(٧) البقرة آية ٢٧٦ . (٨) سورة النحل : ٦١ .

قطب عن عواقب (الربا) في اوروبا وامريكا ومايعيشون فيه من قلق واضطراب أعصاب ، وبحثهم عن العزاء في الشراب والنساء[٩] .

ثالثا : قلت له إني أعرف افرادا ممن يتعاطون الربا لم يبارك لهم في ثروتهم ، ولا في اهلهم ، ولا أولادهم ، وكانت خاتمتهم سوء لحالهم ومحقا لمالهم . .

حول التعامل بالاوراق النقدية

الاخ الفاضل السيد أحمد إبراهيم علاونة – من الأردن – وجه خطابا ببعض الملاحظات حول كتابي (يسألونك) حيث يقول : (لايسعنى إلا أن أثنى عليه . . لأنه تضمن مسائل ومشكلات عصرية . . كذلك كتابك (مفتريات على الإسلام) . . وأضاف سؤالا عن حكم العمل (بالصرافة) لأنه قرأ فتوى للشيخ محمد إبراهيم الشقرا تحرم الصرافة بدعوى أن أصل الصرافة بيع الذهب بالذهب وهو حرام ، والعملة قائمة على ماتمتلكه الدولة من الذهب . . الخ .

- الجواب : أن المسألة خلافية بين الفقهاء . . ولكني أرجح مذهب القائلين بجواز الصرافة . . أي أنه لاحرمة في التعامل بالأوراق النقدية يدا بيد وبأجل ، وبزيادة او نقصان مثل عروض التجارة ومبادلات (الفلوس) تماما بلا اختلاف .

فلا بأس أن تشترى – مثلاً – دولارا أمريكيا بنصف دينار

---

(٩) جـ/٣ ص/٧٥ .

أردني أو أقل قليلا ، أو تشترى جنيها استرلينيا بدينار أردني أو بزيادة قليلة . . لأن الرسول ﷺ أجاز بيع الذهب بالفضة – والعكس – متفاضلين شرط التقابض في المجلس ، وكذلك بيع الدراهم بالدنانير – والعكس – بالأسلوب نفسه . . ويروى عنه ﷺ قوله : «**بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يداً بيد**»» .

كما سأل ابن عمر رضي الله عنهما رسول الله ﷺ عن بيع الإبل بالدنانير على أن يأخذ بدلا منها دراهم ، أو بيعها بالدراهم على أن يأخذ بدلاً منها دنانير فقال ﷺ : «**لابأس أن تأخذها بسعر يومها**» .

وسئل ابن عمر نفسه عن الكراء بالدراهم وليس مع السائل إلا دنانير ؟ فقال : اعطه بسعر السوق – اي اعطه دنانير بقيمة الدراهم بسعر من السوق .

أما كون غطاء العملات الورقية ذهباً[١] . فهو لايجعلها مثل الذهب تماماً . . اي أن الدينار الاردني ذهب ، والجنيه الإسترليني ذهب ، والريال السعودي ذهب . . وبالتالي فإن الإسلام لا يمنع المصارفة بينها مع التفاوت في أقيامها واختلاف أسعار السوق بين فترة وفترة ، لأنها تصدر عن دول متعددة ، كما أنها تختلف في أقيامها حسب قاعدة العرض والطلب في الأسواق المحلية والخارجية . . فهي أشبه بالسلع وعروض التجارة .

وهذا مايجري في كل الأسواق ، والناس محتاجون إليه ،

ومن هنا جاءت إباحة الرسول ﷺ له ، وكذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما[١٠].

سؤال حول منع الزكاة

الأخ (فهمي مواري) من اندونيسا يقول في رسالته :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد - فقد فرحت فرحاً شديداً لاهتمامكم بالشباب في هذا الحوار عبر مجلة (التضامن الإسلامي) التى أداوم على قراءتها - والحمد لله - ولذلك أرجو الإجابة على السؤال الآتي :

- رجل في قريتي لايريد أن يخرج الزكاة ، ولايحب أن يسمع قول العلماء ، كما لايريد أن يقوم إلى الصلاة إذا سمع الأذان - هل نصلي على جنازته إذا توفي ؟ .

- الجواب ينبغي قبل إصدار الحكم على هذا الرجل وأمثاله أن نعرف حقيقة منعه للزكاة ، وإهماله لإقامة الصلاة إذا سمع الأذان - هل يحدث ذلك منه جحوداً للزكاة والصلاة وكونهما ركنين من أركان الإسلام ؟ أم هو بخل وشح منه بالنسبة للزكاة ، وتهاون وتكاسل بالنسبة للصلاة ؟

---

(١٠) قرأت بعد كتابة هذه الاجابة ونشرها بمجلة (التضامن الاسلامي) في عدد ذي القعدة ١٤٠٩ - تحتوى لعلامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمة الله - بجواز عمل الصيارفة في بيع الأوراق النقدية المختلفة نقصا وزيادة وبشرط التقابض في المجلس .

فإن كان الأول – فهو مرتد عن الإسلام ، ويستتاب ثلاثاً فإن تاب وإلا يقتل – وإن كان الثاني فيجب الاستمرار في نصحه وزجره ، وتوجيهه إلى أداء الزكاة وإقامة الصلاة فإن أبى يهجر ولايصلى عليه إن مات فهو من العصاة الفساق الذين يفوض أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفى عنهم .

حول التجارة بالعملة ؟

الاخ (أ . أ . باعشن) من جدة – يسأل في رسالته : هل تجوز التجارة بالعملة حيث يشتريها التاجر إذا انخفضت قيمتها ، ويحبسها إلى حين ارتفاع القيمة فيبيعها بسعر أغلى ؟ ويضيف السائل : أن أحد العلماء الكبار أفتى في بعض الصحف المحلية بجواز المتاجرة بالعملة وأن ذلك حلال لا حرمة فيه !!

- الجواب : إن العملة – سواء أكانت ذهبا أو فضة أو ورقا – هي قوام حياة الناس ، وأداة تعاملهم بيعا وشراء ، وهبة وإجارة ووصية وإرثا الخ أي أن قضاء حاجات معائشهم لايتم إلا بها لأنها أثمان لهذه الحاجات .

والتجارة بها تحولها إلى سلعة من السلع المعرضة للمناقصة والمزايدة حسب قاعدة العرض والطلب . وهذا يؤثر كثيراً في هذه (القيم) أو (الأثمان) التي هي قوام حياة الناس

وبها قضاء حاجاتهم المعيشية .

والملاحظ - بل الواقع المؤسف - أن المتاجرين بالعملة ، يشترونها عندما تهبط قيمتها ، ويحتكرونها إلى حين ، حتى إذا ارتفعت قيمتها عرضوها للبيع ليربحوا الفرق بين سعر الهبوط وسعر الارتفاع ، ويعاودون الكرة تلو الكرة تماماً كما يفعل التجار بالسلع الأخرى الغذائية والكسائية وأمثالها .

وفي هذه الممارسة - أي الاتجار بالعملة - مضرة تلحق بالمستهلكين من سائر الناس ذوي الحاجات المعيشية المتعددة . ومن هنا كان القول بتحريمها هو الصواب .

ونذكر في ختام إجابتنا قولاً لشيخ الإسلام ابن تيمية - وهو : (الدراهم والدنانير أثمان للمبيعات . والثمن هو المعيار الذي تعرف به تقويم الأموال فيجب أن يكون محدودا مضبوطا لايرتفع ولاينخفض)[١١] .

---

(١١) إعلام الموقعين جـ ٢ ص ١٥٦ .

الفهرست

صدر من هذه السلسلة

الرقم	العنوان	المؤلف
١	تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣	الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤	الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦	السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧	حقوق المرأة في الاسلام	الدكتور محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩	القراءات أحكامها ومصادرها	الدكتور شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١	الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥	الاسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	الدكتور محمد شوقي الفنجري

٢٨ــ وحي الله ــــــ الدكتور حسن ضياء الدين عتر

٢٩ــ حقوق الانسان وواجباته في القرآن ــــــ حسن أحمد عبد الرحمن عابدين

٣٠ــ المنهج الاسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ــــــ الأستاذ محمد عمر القصار

٣١ــ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ــــــ الأستاذ أحمد محمد جمال

٣٢ــ الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج ــــــ الدكتور السيد رزق الطويل

٣٣ــ الاعلام في المجتمع الاسلامي ــــــ الأستاذ حامد عبد الواحد

٣٤ــ الالتزام الديني منهج وسط ــــــ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

٣٥ــ التربية النفسية في المنهج الاسلامي ــــــ الدكتور حسن الشرقاوي

٣٦ــ الاسلام والعلاقات الدولية ــــــ الدكتور محمد الصادق عفيفي

٣٧ــ العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية ــــــ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

٣٨ــ معاني الأخوة في الاسلام ومقاصدها ــــــ الدكتور محمود محمد بابللي

٣٩ــ النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ــــــ الدكتور علي محمد نصر

٤٠ــ من التراث الاقتصادي للمسلمين ــــــ الدكتور محمد رفعت العوضي

٤١ــ المفاهيم الاقتصادية في الاسلام ــــــ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر

٤٢ــ الأقليات المسلمة في أفريقيا ــــــ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

٤٣ــ الأقليات المسلمة في أوروبا ــــــ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

٤٤ــ الأقليات المسلمة في الأمريكتين ــــــ الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

٤٥ــ الطريق إلى النصر ــــــ الأستاذ محمد عبد الله فودة

٤٦ــ الاسلام دعوة حق ــــــ الدكتور السيد رزق الطويل

٤٧ــ الاسلام والنظر في آيات الله الكونية ــــــ د. محمد عبد الله الشرقاوي

٤٨ــ دحض مفتريات ــــــ د. البدراوي عبد الوهاب زهران

٤٩ــ المجاهدون في فطاني ــــــ الأستاذ محمد ضياء شهاب

٥٠ــ معجزة خلق الانسان ــــــ الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان

٥١ــ مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية ــــــ الدكتور سيد عبد الحميد مرسي

٥٢ــ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي ــــــ الأستاذ أنور الجندي

٥٣ــ الشورى سلوك والتزام ــــــ الدكتور محمد أحمد البابلي

٥٤ــ الصبر في ضوء الكتاب والسنة ــــــ أسماء عمر فدعق

٥٥ــ مدخل إلى تحصين الأمة ــــــ الدكتور أحمد محمد الخراط

٥٦ــ القرآن كتاب أحكمت آياته [٣] ــــــ الأستاذ أحمد محمد جمال

٥٧ــ كيف تكون خطيباً ــــــ الشيخ عبد الرحمن خلف

٥٨ــ الزواج بغير المسلمين ــــــ الشيخ حسن خالد



مطابع رابطة العالم الاسلامي ـ مكة المكرمة